▫ التفاؤل حياة ▫ الوقف: فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية ▫ الدعاة بين وصاية المثقفين والأتباع



AL BAYAN

السنة الحادية والعشرون . العدد ٢٢٨هـ . شعبان ١٤٢٧هـ . سبتمبر ٢٠٠٦ م

▫ التيار الأنثوي: تراجعات الرموز بعد زمن التيه.

▫ تداعيات حرب لبنان على القضية الفلسطينية والمسجد الأقصى.



لبنان
عندما تذهب السكرة... وتجيء الفكرة



أكثر من ٢٨٠٠ إصدار

تحت سقف واحد ضمن ١٤ وسيلة

دعوية متنوعة من وسائل الدعوة الى الله

في خدمة المتبرعين بالكتاب

يسرد أن يقدم لمكاتب الدعوة والمكتبات والجهات الخيرية

ولكل من يرغب في التوزيع الخيري خلال شهر رمضان المبارك



في الفترة من ٧/٢٠ - ٩/٢٠/١٤٢٧هـ بمدار الوطن

بشرى سارة لعملائنا الكرام

أكثر من ٢٤٠ إصدارا رمضانيا تتناول ما يحتاج إليه المسلم في رمضان من فقه، ورقائق، وفضائل الأعمال

أولا : الحقائب الدعوية (سلوفانية فاخرة)



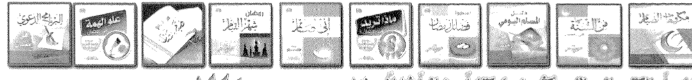
ثانيا : المطويات الدعوية : أكثر من ٩٠ مطوية رمضانية ومنها :



ثالثا : القراءة للجميع : أكثر من ٣٥ كتيب رمضاني متنوع ومنها :



رابعا : الكروت الدعوية : أكثر من ٥٠ كارت دعوي رمضاني ومنها :

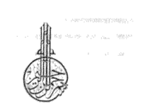


خامسا : الكتب والرسائل : أكثر من ٤٠ كتابا رمضانيا شاملا ومنها :



أسعار خاصة للتوزيع الخيري

الرياض - الملز ٤٧٩٢٠٤٢٤ (٥ خطوط) - فاكس ٤٧٢٣٩٤١ فرع السويدي ٤٢٦٧١٧٧ فاكس ٤٢٦٧٣٧٧
فرع جدة ٠٢٦٨٧٠٦٧٩ فاكس ٠٢٦٨١٧٢٨٦ فرع أبها : ت . ف ٠٧٢٢٤٢٩٣٩ فرع المدينة المنورة : ت . ف ٠٤٨٢٤١٨٩١
الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ المنطقة الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ المنطقة الشرقية : ٠٥٠٣١٩٢٢٦٨
المنطقة الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٢٠٧٢٨ التوزيع الخيري للمنطقتين الشرقية والجنوبية : ٠٥٠٨٣٩٩٨٥٧
التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ للمكتبات الخارجية والمعارض ٠١٤٧٢٨١٧٢ - ٠٥٠١٧٢٧٧٢٩ للتسويق للجهات الحكومية ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧
البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com موقعنا على الانترنت : www.madar-alwatan.com





مجلة البيان

إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

المراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

السعودية:

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.

هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:
editors@albayan-magazine.com

الاشتراكات:
sub@albayan-magazine.com

التسويق:
sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

- **الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
- **الإمارات العربية المتحدة:** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف : ٣٩١٦٥٠١ ، فاكس ٢٦٦٦١٢٦ .
- **سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠ .
- **البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
- **السعودية:** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- **السودان:** الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٣ – فاكس ٧٩٣٢٨٤ – ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
- **قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ – ٤٥٥٧٨١١ – ٤٥٥٧٨١٢ – فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
- **الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
- **المغرب:** سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- **اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع ، صنعاء : ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥.

طبعت بمطابع الاهرام التجارية - ٦ اكتوبر

الحسابات:

- **السعودية:** شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
  - ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ـ ١٠٩
  - ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- **الإمارات:** بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- **قطر:** بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١



أين العرب..؟!

مجازر متتابعة تفوح منها روائح الدماء والأشلاء، ولا يُرى إلا الدمار والقتل..!

مئات القتلى وآلاف الجرحى، والرعب يملأ المنطقة، والقصف الذكي لا يعرف إلا النساء والأطفال والشيوخ، أكثر من عشرين طفلاً تتناثر أجسادهم في مجزرة قانا وحدها..!

عوائل بأكملها تُسحق وتُدمَّر، قرى واسعة تُدك وتُسوى بالأرض، ولا يُسمع إلا أنين المخنوقين تحت الأنقاض تنقله الفضائيات أمام بصر العالم وسمعه..!!

الطغيان (الصهيوأمريكي) يدمر البنى التحتية في غزة ولبنان، ويتوسع في استخدام القنابل العنقودية والفسفورية التي يزعم بعضهم أنها محرمة دولياً..!!

وتأتي فتوى حاخامات اليهود، رداً على الانتقادات الدولية لمجزرة قانا قائلة: (إن كل الكلام حول الأخلاق يضعف الروح المعنوية للجيش والأمة، ويكلفنا دماء جنودنا ومدنيينا).

وتذكرنا هذه الفتوى بخطاب رئيس الوزراء البريطاني (توني بلير) الذي خاطب به الشعب الأمريكي قائلاً: (لا تخجلوا من قيَمكم)!

وتنفرد الولايات المتحدة الأمريكية في صياغة الموقف الدولي لتبقى المنظمات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة عاجزة حتى عن مجرد الإدانة.

وبالتأكيد لا زال الأمريكيون يتساءلون بكل غطرسة: لماذا يكرهوننا..؟!

أمَّا إن سألت عن العرب! فنبشرك أن العنتريات العربية لا زالت تقف مرابطة بكل صلابة عند قاعدة بطولات الشجب والاستنكار، لكنها هذه المرة جاءت على استحياء، لتزداد الهوّة بينها وبين شعوبها المقهورة تارةً بعد أخرى.

ولسان حال اليهود يقول للعرب:

لا تنطقوا حرفاً ففي قانوننا	أنَّ الثغور الناطقات تكمَّمُ
وإذا ضربناكم فلا تتحركوا	وإذا سحقناكم فلا تتألموا
عربٌ وأجمل ما لديكم أنكم	سلمتمونا أمركم وغفلتمُ

إن فضائح النظامين الدولي والعربي تجاوزت الحدود، ولا نظنها بحاجة إلى مزيد من الإيضاح، لكن ما المخرج من هذا المأزق..؟!

نحسب أن الشعوب قد اختارت طريقها، وانحازت لخيارها الإسلامي، لكنها أحوج ما تكون للعلماء الربانيين والدعاة المخلصين الذين يرتقون بجماهير الأمة، ويوظفون طاقاتهم في نصرة الدين وأوليائه الصالحين، بعلم راسخ ونهج سديد.

سعر العدد:
السعودية ١٠ ريالات — قطر ١٠ ريالات — الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس — اليمن ١٠٠ ريالاً — الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٤ جنيهات — السودان ٣٠٠ دينار — البحرين دينار واحد
المغرب ١٢ درهماً — سلطنة عمان ٨٠٠ بيزة — فلسطين نصف دولار أمريكي
أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلهما

الاشتراكات:
السعودية ودول الخليج ١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا ٤٧ يورو
أوروبا ٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا ٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم ٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية ٦٠ يورو



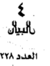
عندما تذهب السكرة... وتجيء الفكرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فقد فجَّر العدوان اليهودي على أرض لبنان المسلمة عدداً من القضايا والتساؤلات والاختلافات على ساحات مختلفة، لكون هذا العدوان جاء من طرف متفق على عداوته ووجوب محاربته، بينما جاءت المواجهة من طرف مختلف عليه من حيث أمانته على مصالح الأمة العامة، وتزايد الشكوك حول أجندته الخاصة.

وربما يظل هذا الاختلاف قائماً لأمد غير قريب، حتى تُظهر الأحداث الواقعة على الأرض، ما تخفيه الخطط والتدابير، مما هو مغيَّب مستور؛ فهذا شأن الفتن: إذا أقبلت لا يعرفها إلا العقلاء، وإذا أدبرت عرفها كل الناس. والفتنة هنا تتلخص في أن (حزب الله) هو صناعة إيرانية خالصة في أهدافها ووسائلها وإمكانياتها، ولا يكاد يجادل في ذلك إلا مكابر. وقد أدرك العارفون من خاصة وعامة أن الدولة الإيرانية لم تكن يوماً أمينة على مصالح الأمة بشكل عام؛ فالأمانة لا تتجزأ ولا يمكن أن تُخلِص إيران للأمة في لبنان بينما هي تخونها في العراق وأفغانستان، ولا يمكن في الوقت نفسه أن يقاتل الإيرانيون أعداء الأمه - لصالح الأمة - في لبنان، بينما يقاتلون إلى جوار أعدائها في العراق وأفغانستان.

ومما زاد في الفتنة والالتباس أن ما يعرف بـ (المقاومة اللبنانية) اليوم، هي نفسها التي زرعتها إيران وأحلَّتها محل المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان بدءاً من عام ١٩٨٢م، وشارك الشيعة من خلال (منظمة أمل الشيعية) في حرب المخيمات ومجازر صبرا وشاتيلا، في محاربة الفلسطينيين واقتلاعهم من الجنوب اللبناني بالتحالف مع النصارى والنصيريين الذين يحكمون سورية. واليوم يرفع شيعة لبنان شعار (تحرير جنوب لبنان) على أنقاض شعار (تحرير كل فلسطين) الذي أُنهِيَ بإخراج المقاومة الفلسطينية (حركة فتح) من الجنوب اللبناني بعد تشتيتها في تونس واليمن والسودان؛ حيث لم تعد بعدها إلا رافعة الراية البيضاء مكان راية النضال والفداء، سالكة دروب الاستسلام من مدريد إلى أوسلو. ولم يكن هذا الدور التآمري الواضح ضد الفلسطينيين بالاشتراك مع اليهود والنصارى والنصيرية؛ إلا لقطع الطريق على المشروع



الجهادي الفلسطيني السّني، لحساب المشروع اللبناني الشيعي، ليبقى الشيعة في واجهة القضية الإسلامية الكبرى في عالم اليوم، وهي قضية فلسطين. لكن أقدار الله - تعالى - جاءت على عكس ما يشتهي المتآمرون؛ حيث انبعثت من داخل فلسطين مقاومة جديدة سنية، مارست خلالها منظمة حماس مقاومة حقيقية تحت راية نقية لا تتخفى وراء تقية أو أجندة خفية.

وللحقيقة فإن اختلاف الناس في شأن الحرب التي اندلعت بين دولة اليهود المعتدية وبين (حزب الله) لم يأت من فراغ... فالمتعاطفون معذورون؛ لأنهم لم يروا من كل الدول المحيطة بدولة الأعداء الصهاينة من ينكي فيهم بهذا الشكل من الإقدام والجرأة رغم ما لدول المواجهة تلك من جيوش جرارة على الحدود، تقف وراءها جيوش جرارة أخرى خلف الحدود، لها من الإمكانيات الإضافية ما كان يكفي للتنكيل بهذا العدو الجبان على مدى أكثر من خمسين عاماً أضعاف أضعاف ما حدث على أيدي المقاتلين من شيعة لبنان رغم ضعف قوتهم وضعف معداتهم مقارنه بقوات ومعدات تلك الجيوش.

■ أما المحذِّرون المتحفظون فهم يرفضون ابتداءً الطغيان الصهيو أمريكي في المنطقة، ويدركون أبعاد مشروع الشرق الأوسط الكبير ثم الجديد، ويوجبون مقاومته بكل ألوان المقاومة، ويفرحون بكل نكاية تثخن العدو وتزيد من جراحه وآلامه؛ ويرفضون أيضاً استهداف لبنان بالتدمير الوحشي الذي أهلك الحرث والنسل، كما يرفضون سلبية الأنظمة العربية وعجزها.

■ وهؤلاء المحذرون المتحفظون لديهم قناعة راسخة بطغيان اليهود واستكبارهم ونقضهم للعهود والمواثيق، ويدركون أن لغة القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها الأعداء؛ فالضعفاء والعجزة لا مكان لهم في ظل شريعة الغاب.

■ ومع تحذيرهم من الانسياق الكامل وراء العواطف والظواهر فإنهم معذورون؛ لأنهم لم يستطيعوا تجاهل الحقيقة القائلة بأن دماء مئة ألف من أهل السنة التي تراق في العراق على أيدي أولياء إيران في العراق لم تلقَ أي إدانة من أولياء إيران في لبنان.

■ وهم معذورون كذلك عندما يرون أن هناك مزايدة واضحة على المجاهدين الحقيقيين المخلصين للأمة سواء كانوا في فلسطين أو العراق أو أفغانستان؛ فبينما كان موقف المقاومة اللبنانية الشيعية مخزياً من المقاومة الإسلامية في العراق حتى قال (نصر الله) عنهم إنهم (صداميون تكفيريون)؛ فإنه أيضاً - أي نصر الله وأتباعه - لم يُعرَف لهم موقف تضامني واضح من المقاومة الفلسطينية غير الشعارات والتصريحات التي قصارى ما تفعله في النهاية أن تصور المقاومة اللبنانية على أنها هي القدوة والمثل الأعلى للمقاومة الفلسطينية، كما ردد زعيم (حزب الله) غير مرة.

■ والمحذِّرون المتحفظون معذورون أيضاً وهم يرون أن (النعرات الطائفية) التي ينادي بعضهم بعدم إثارتها مع (إخوانهم الشيعة) لم يثرها إلا هؤلاء المتشيعون، ليس بالكلمات والتصريحات فقط، وإنما بالاغتيالات والتحرشات والتحالفات مع كل الأعداء ضد مخالفيهم في الفكر والمذهب، دون أن تكون هناك أي مبادرة لإيقاف هذه النعرات من إيران، ولا ممن يأتمر بأمر إيران.

■ والمحذرون المتحفظون معذورون كذلك وهم يرون خيوطاً واضحة تربط بين توقيت ما حدث في لبنان، مع توقيت ما يحدث في العراق ولبنان؛ حيث غطت غيوم تلك الحرب على أخطر ملفات المرحلة الراهنة وهي ملف اغتيال الحريري والملف النووي الإيراني وملف (التطهير) العرقي في العراق، وكلها ملفات تصب فقط في مصلحة الطائفة الشيعية إمامية كانت أو علوية (نصيرية).

■ والمحذِّرون المتحفظون أيضاً معذورون وهم يشاهدون ويسمعون ويفهمون بما يصل إلى اليقين، أن منظومة الفكر الشيعي هي منظومة مناوئة لأهل الحق في الأمة بدءاً من أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وغيرهم من عموم الصحابة رجالاً ونساءً - رضي الله عنهم أجمعين - إلى حد تكفيرهم والمناداة بالبراءة منهم ومن تابعيهم، ومن سار على نهجهم من أهل السنة في كل مكان بزعم أنهم (النواصب) أعداء أهل البيت، مع التوعد الشديد والأكيد بالثأر والانتقام منهم رجالاً ونساءً، أمواتاً وأحياءً... هذه المنظومة الفكرية المنحرفة بل الموغلة في الانحراف والابتعاد هي هي... نعم! هي هي المنظومة الفكرية نفسها التي يدين بها ويعمل لها شيعة اليوم ومن ضمنهم منسوبو (حزب الله)، هؤلاء الذين اختطفوا لأنفسهم تسمية قرآنية، حسم القرآن أوصاف حامليها، ملخصاً إياها في قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

فالذين (يتولون) الله ورسوله والذين آمنوا - وعلى رأسهم

الصحابة - هم حزب الله، ولا يمكن أن ينطبق وصف (حزب الله) على الذين (يتبرؤون) من الذين آمنوا وعلى رأسهم الصحابة - رضي الله عنهم - هذا منطق القرآن الذي لا يُقْبَل تجاوزه او الجدال فيه.

■ والمحذِّرون المتحفظون يخافون على الأمة من أن يتحول الانبهار بـ (بطولات ما يعرف بـ «حزب الله») إلى انبهار بالمنظومة الفكرية التي يتبناها ويعمل لحسابها هذا الحزب؛ وفي هذا ما فيه من خطر يعلم الجميع ضرره الفادح، وهو خطر المد الفكري الشيعي الذي يُتَوَقَّع أن ينتعش بعد انتهاء الحرب؛ حيث ستنحسر آثارها العسكرية عن آثار فكرية سيحرص القوم على استغلالها واستثمارها. والتاريخ يثبت في القديم والحديث أنه ما من بطولة شخصية، حقيقية كانت أو وهمية، إلا وتحولت في الغالب إلى (منظومة) فكرية أو روِّجت لها، هذا ما حدث مع (كمال أتاتورك) الذي مهدت بطولاته المزيفة للقومية الطورانية والفكرة العلمانية في الديار التركية، وهو ما حدث أيضاً مع (جمال عبد الناصر) الذي ساهمت بطولاته الوهمية أو المضخَّمة في دفع فكرة القومية العربية، ويقال مثل هذا أيضاً عن (هتلر) والنازية، و (ستالين) والشيوعية، و (الخميني) والأفكار الثورية الشيعية، ونحو هذا كثير.

■ والمحذِّرون المتحفظون، يشفقون على الأمة من أن تقع في إثم خذلان المجاهدين الحقيقيين في فلسطين والعراق والشيشان وأفغانستان وغيرها؛ أولئك الذين لن يضرهم - بإذن الله - من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك قائمون، فهؤلاء هم الأبطال حقاً، وهم أنصار الدين حقاً، وهم حزب الله حقاً، شرعاً وعقلاً؛ لأنهم هم الذين يجاهدون ويبذلون ويضحون، دون حسابات خاصة، ودون تبعية أو عصبيه لأية حمية، عنصرية كانت أو مذهبية، ودون أن تكون وراءهم أيضاً قوة دولية أو إقليمية أو محلية، تقف معهم أو تدربهم أو تسلحهم أو تمولهم، ودون أن يكون لهم ظهير ونصير غير الله تعالى، في عالم يتنكر لهم، وعامةٍ لا تعرف قدرهم، وخاصةٍ قلما تنتصف لحقهم. إن أولئك الأحرار الأبرار، هم أرباب البطولة الحقة الذين أرغموا أنف العدو الكبير - أمريكا - التي تساند العدو الحقير - الصهاينة - دون أن يكون لهم جيش ولا دولة ولا أرض ولا مصدر دائم للإعداد والإمداد.

■ والمحذرون المتحفظون - مع ذلك كله - يرون المبادرة إلى إغاثة المنكوبين المستضعَفين، ومدّ يد العون للشيوخ والنساء والأطفال، وتخفيف جراحاتهم ومعاناتهم؛ فرفع الظلم مطلوب شرعاً.

ستذهب السكرة وتجيء الفكرة. وعندها:

■ سيرى الناس أن هذه الحرب قد خطط لها طرفان رئيسان، هما المستفيدان الوحيدان مما جرى بسببها من دمار وخراب:

الطرف الأول: هم الأمريكيون الذين قال مسؤولوهم: إن هذه الحرب، هي البداية لتشكيل (الشرق الأوسط الجديد) الذي يريدون فيه تأمين قاعدتهم العسكرية الكبرى (في الأرض المحتلة).

والطرف الثاني: هو إيران التي أرادت أن تشغل العالم عن مخططها الإجرامي في العراق، وعن برنامجها الرامي إلى امتلاك السلاح النووي في أقرب وقت ممكن؛ حيث اشترت وقتاً ثميناً بهذه الحرب، وتركت للشعب اللبناني دفع فاتورته من دمائه وأمواله واستقراره ومقدراته.

■ **وعندما تذهب السكرة وتجيء الفكرة:** سيكتشف الناس أن أحداث لبنان، ما كانت إلا بداية لمرحلة جديدة من مشروع مد شيعي قديم جديد، يريد ضم لبنان إلى هيمنة إيران، مثلما حدث في العراق ليتحقق بذلك ما سبق أن خطط له أصحاب مشروع (إيران الكبرى) الممتدة من البحرين إلى حدود فلسطين، في هلال شيعي يسمح بتطويق الجزيرة العربية مهد الإسلام الصحيح.

■ **وعندما تذهب السكرة وتجيء الفكرة:** سيعلم الناس أن هناك مشروعين يتنافسان على قيادة الأمة نحو التغيير: أحدهما: يقوم على الحق والسُّنة، والآخر: يقوم على الباطل والبدعة، وأن المشروع الأول الذي أُسِّس على الحق من أول يوم، هناك إصرار على الإضرار به، والتغطية عليه لحساب (مشروع الضِّرار) الآخر المشيَّد على أنقاض أعراض الصحابة، حَمَلَة الدين، وواسطة الرسالة، وسادة أهل الجنة بعد الأنبياء.

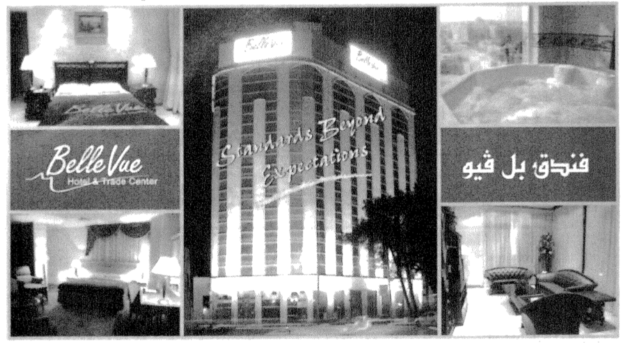
إن الحق أبلج والباطل لجلج، وحُق لقوم جعلهم الله شهداء على الناس ليكون الرسول عليهم شهيداً ألا يضيع الحق فيهم، انسياقاً وراء العواطف، والتفافاً على الصواب، بما يسوِّغ في الناس تعظيم البدعة، وتوهين السنة مع من يحمونها من مجاهدين وعلماء ومصلحين، تطاولت عليهم الألسن التي تقاصرت عن غيرهم من الذين لا يُرجى نفعهم ولا يُتوقع إخلاصهم للسواد الأعظم من الأمة.

فاللهم ألهمنا رشدنا، واهدنا سواء السبيل، وثبتنا عليه حتى نلقاك، غير خزايا ولا مفتونين ولا مبدلين ولا مغيرين... آمين!





اكتشفوا مزيجاً من الأناقة اللامحدودة والضيافة العربية التقليدية الأصيلة في فندق بل فيو



WELCOME TO YOUR HOME IN AMMAN

فندق بل فيو

أهلاً بك في بيتك في عمان

أكتشف المناظر الساحرة من جميع أجنحة و غرف بل فيو. فندق من الدرجة الأولى وذو طابع مميز في أفضل موقع في عمان لتوفير أكبر قدر من الراحة ولجعل إقامتكم معنا لا تنسى

Discover the charming panoramic view of Amman from all suites and rooms of *BelleVue* hotel, a deluxe hotel conveniently, Located to cater to your needs and to ensure a memorable stay.

٩٣ غرفة + جناح، ٤ شقق فندقية فخمة، مجفف شعر، خزانة داخل كل غرفة، ثلاجة صغيرة، نظام التكييف والتدفئة المركزية، ستالايت، شاشة تلفزيون ديجيتال مسطحة، خط هاتف مباشر، غرف اجتماعات واحتفالات، لوبي، نادي صحي، مركز رجال الاعمال، كراج سيارات، خدمة وقوف السيارات، خدمة غسيل وكي الملابس، خدمة الفاكس والبريد الإلكتروني، ٣٠ دقيقة من والى مطار الملكة علياء الدولي، خدمة النقل من والى المطار (حسب الطلب)، صالة كبار الزوار، خدمة الانترنت اللاسلكية.

93 Deluxe rooms+ suites, 4 Royal apartment, Hair dryers, In-room safe., Mini fridge, HVAC system, Satellite, Digital flat-screen TVs, Direct dial phone, Conference & banquet rooms, Lobby lounge, Health club, Business center, Secured & covered car parking, Valet parking, Laundry services, Fax & E-mail services, 30 Minutes from Queen Alia International Airport, Airport Pickup (Upon Request), V.I.P. Lounge, Wireless internet.









غرف وأجنحة بل فيو		
غرفة مميزة مفردة		
غرفة مميزة مزدوجة		
أجنحة مميزة	(غرفة نوم+ غرفة جلوس+ حمام)	استخدام مفرد أو مزدوج
جناح بل فيو	(غرفة نوم + صالة + حمام)	استخدام مفرد أو مزدوج
أجنحة أميرية	(غرفتين نوم+ غرفة جلوس+ حمام)	استخدام لأربعة أشخاص
جناح أملاك	(غرفتين نوم + غرفة جلوس + حمامين)	استخدام لأربعة أشخاص
ستوديو أملاك	(غرفتين نوم + حمامين + مطبخ صغير)	استخدام لأربعة أشخاص
أجنحة ملكية	(غرفتين نوم + غرفة جلوس + مطبخ صغير +غرفة طعام+ حمام مع جاكوزي)	استخدام لأربعة أشخاص

أجنحة السحاب الملكية

شقق فندقية تتراوح مساحتها ما بين ١٥٠ م٢ - ١٧٠م ٢

نظام (أ) : يتألف من ثلاثة غرف نوم كل غرفة بحمامها الخاص وجاكوزي داخل حمام غرفة النوم الرئيسية، وحمام للضيوف مع مطبخ مجهز بكافة التجهيزات وغرفة سفرة وصالة واسعتين بالإضافة الى التراس الخارجي والذي يطل على أجمل مناظر العاصمة عمان

نظام (ب) : يتألف من غرفتين نوم كل غرفة بحمامها الخاص وجاكوزي داخل حمام غرفة النوم الرئيسية وحمام للضيوف بالإضافة الى تجهيزات المطبخ الكاملة والتراسات المفتوحة وغرفة السفرة

نظام (ج)، وهي عبارة عن (جناح خاص لرجال الأعمال) تتكون من غرفة نوم كبيرة مع حمام وجاكوزي، صالة وصالون ، حمام للضيوف، بالإضافة الى مطبخ صغير

Belle Vue Hotel & Trade Center

Tel: (962 6) 4616144 Fax: (962 6) 4637651 P.O.Box:840385 Amman 11184 Jordan

E-mail: info@bellevue.com.jo - www.bellevue.com.jo



بين سد الذرائع والعمل بالمصلحة

عبد العزيز بن إبراهيم الشبل

ـ فضيلةَ الشيخ: شاع بين الناس في الآونة الأخيرة ما يعرف بـ...، ولا يخفى على فضيلتكم ما في... من الأخطار؛ فما رأيكم في حكم هذه المسألة؟

ـ حرام.

ـ يتساءل البعض عن دليل التحريم، ويزعم البعض الآخر أن هذا من التشدد في الدين.

ـ لا يوجد دليل صريح في هذه المسألة، وكما تعلم فالنصوص الشرعية لا تحيط بجزئيات الأحكام، وإنما تدل على الأحكام بعمومها، والنص الشرعي له منطوق ومفهوم، و...، يقول ابن تيمية: «ولو تأملنا هذه المسألة لوجدناها ذريعة لإفساد المجتمع، فهي حرام لذلك».

وفي الجانب الآخر:

ـ فضيلةَ الشيخ: ... فما الحكم الشرعي لهذه المسألة؟

ـ حلال.

ـ لكن بعض المفتين يقول: إن هذا العمل حرام، ويذكر قول النبي ﷺ...، فما رأي فضيلتكم؟

ـ صحيح أن الحديث المذكور ورد عن النبي ﷺ، ولكن لو نظرنا إلى المجتمع، وتغير حاجات الناس ومصالحهم، لرأيت أننا لا بد أن نقول بالجواز مراعاة لمصلحة المجتمع...

ـ حتى لو ورد عن النبي ﷺ ما يفيد التحريم؟

ـ يا أخي! الحديث المذكور لا يدل صراحة على حكم هذه المسألة، صحيح أنه يدخل في عمومه، وهو ما يتبادر إلى الذهن من الحديث، لكن لا بد أن تكون لنا قراءة جديدة للنصوص الشرعية، ولا يمكن أن نقرأ النصوص الشرعية بعيداً عن المقاصد الشرعية لها، يقول الشاطبي: «وكما تعلم فالدين كله راجع إلى إعمال المصالح ودرء المفاسد».

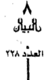
المشهد السابق مشهد متكرر في ساحة الفتوى، وكثيراً ما يعلل بعض المفتين فتاواهم بسد الذرائع، أو بإعمال المصالح، وبات بعضهم إذا أراد أن يحرِّم شيئاً ـ لا يجد دليلاً على تحريمه ـ يتكئ على سد الذرائع، ومن أراد أن يبيح شيئاً ـ ووقف الدليل الشرعي في وجهه صريحاً بالتحريم ـ يذهب إلى إعمال المصالح، حتى غدا عندنا منهجان واضحا المعالم في الفتوى ـ بالإضافة إلى المناهج الأخرى ـ: منهج: يوسِّع دائرة الذرائع فيضيق على الناس ما أباحه الله. ومنهج: يتمسك بالمصالح المزعومة مغفلاً النظر فيما سواها.

وحدث نتيجة ذلك ردة فعل طبعية لهذين المنهجين: فتبرَّم بعضهم بسد الذرائع حتى عدَّه أكبر سد في العالم، وعد آخرون المصالح طاغوتاً يضاف إلى الطواغيت الجاثمة على صدور المسلمين.

وهذا أدى ببعض الباحثين والمفتين إلى التحرُّز من تعليل الأحكام الشرعية بسد الذرائع، حتى لو كانت الذريعة واضحة كالشمس؛ فلو وُجدت معاملة مالية مستحدثة تؤدي إلى الربا وإلى ما حرمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكانت الحيلة فيها أوضح من حيلة اليهود في صيدهم الحيتان يوم السبت ما تجرأ أن يقول بالتحريم؛ خوفاً من أن يوصم بأنه (صاحب أكبر سد في العالم).

وعلى الطرف الآخر تجد مسألة من المسائل لا يوجد فيها دليل صريح، بل قد يوجد دليل يشير إلى الإباحة، ومع ذلك تجد بعض الباحثين والمفتين يتحرز من القول بالإباحة استناداً إلى المصلحة الشرعية، خوفاً من أن يوصم بأنه (قليل علم بالنصوص، ولَمَّا أعيته النصوص اتجه إلى المصالح) و (أنه مفتٍ عصراني).

ولو أخذت فتوى لمن يستخدم (سد الذرائع) بكثرة، وأردت أن تستدل لكلامه بالمصالح لما أعجزك ذلك، وكذلك العكس،



وخذ مثالاً لذلك: ما يسمى بالتورُّق المبارك، فإنك تستطيع أن تقول بالإباحة استناداً إلى المصالح؛ فالناس محتاجون إليه، ومصالحهم تتعلق به، وإن أردت التحريم قلت: إنه ذريعة واضحة إلى الربا، وتستطيع أن تعكس فتقول: إنه مباح، ولو لم نقل بذلك لانسدت وسائل التمويل في وجوه المسلمين مما يؤدي إلى تركهم للمصارف الإسلامية واتجاههم إلى البنوك الربوية فنقول بالجواز سداً لذريعة اتجاه الناس إلى الربا، وتقول: إنه محرم؛ فمن مصلحة الاقتصاد الإسلامي أن نقول بذلك، ولو قلنا بهذه الوسيلة لألغينا (كل أو جل) وسائل التمويل الإسلامية الرائدة التي جعلت المصارف الإسلامية تنافس حضارياً البنوك التقليدية، وجعلت المسلمين يشاركون في تقديم حلول لمشاكل العالم المعاصر، وهذه الطريقة تلغي الفروق بين المصارف الإسلامية والربوية، مما يجعل المصارف الإسلامية عديمة الجدوى[1].

وعاد الخلاف إلى التلاعب بالألفاظ، لا الاستدلال بالأصول الشرعية.

فهل المشكلة في العمل بسد الذرائع، أم المشكلة في العمل بالمصالح الشرعية؟

● أين تكمن المشكلة؟

الحقيقة أن المشكلة ليست في (سد الذرائع) وليست كذلك في (إعمال المصالح)، وكلاهما قاعدة شرعية قررتها أصول الشريعة، وعمل بها العلماء الراسخون.

ولكن المشكلة تكمن في تحديد المصطلح، ثم في التطبيق الخاطئ للقاعدة الشرعية، وأحياناً لا توجد مشكلة أصلاً؛ إذ المسألة لا تعدو أن تكون من الخلاف اللفظي، أو الخلاف السائغ.

وهذا الكلام ينطبق على أصول شرعية أخرى: كالعمل بالرأي والاستحسان واعتبار العرف.

فالعمل بالرأي نجد في كلام السلف ذمه ومدحه، ولكننا إذا حققنا كلامهم - كما فعل ابن القيم رحمه الله -[2] نجد أن الذم والمدح لم يردا مورداً واحداً.

فمن ذمه قصد به الرأي الفاسد المصادم للنصوص أو القول في الدين بالخَرْص[3] والظن مع التفريط في معرفة النصوص، ومن مدحه أراد به الرأي الصحيح الموافق للنصوص الشرعية، كآراء الصحابة، أو الآراء التي فيها تفسير النصوص، أو إعمال الرأي في المسألة عند عدم الدليل بعد بذل الجهد في البحث عنه.

وإذا تقرر ما سبق فإن من ذم الرأي كان مصيباً، ومن مدحه كان مصيباً، ولكن كلام هؤلاء وهؤلاء لم يرد مورداً واحداً، وعند تحرير المصطلح يتبين لنا أن الخلاف لفظي.

ومع اتفاقهم على هذا التأصيل إلا أنه وقع الخلاف بينهم في المسائل التي أعملوا فيها الرأي، إما لاشتراط أحدهم ما لم يشترطه الآخر، وإما لاختلاف أفهامهم أو اختلاف الظروف المحيطة بكل مسألة..[4] فلو أخذنا - على سبيل المثال - مسألة من مسائل الفرائض وهي مسألة الجد والإخوة لوجدنا أن المسألة ليس فيها دليل قاطع، والصحابة عملوا فيها بالرأي مع اتفاقهم على حدود الرأي الذي يُعمل به، ومع ذلك اختلفوا في هذه المسألة؛ فمنهم من عدّ الجد أباً وحرم الإخوة من الميراث، ومنهم من شرَّك بين الإخوة والجد.

وكذلك إذا نظرنا إلى مسألة العمل بالاستحسان، فقد ردّه بعض الأئمة وشنَّع القول فيه، حتى قال الشافعي: من استحسن فقد شرَّع. ومع ذلك نجد أن بعض الأئمة الكبار كأبي حنيفة يقول به، بل نجد في كلام من رده العمل به، ووُجد في كلام الإمام الشافعي نفسه الأخذ به، فهل اختلافهم حقيقي؟

عند إمعان النظر في كلامهم نجد أن من ردّه فإن كلامه يدور حول معنى من المعاني، وهو: العمل بالتشهِّي والهوى من غير دليل، وهذا لم يقل به أحد ممن يعتد بقوله لا أبو حنيفة ولا غيره، والأئمة - رحمهم الله - أجلّ من أن يقولوا بذلك، وكذلك من فسر الاستحسان على أنه دليل ينقدح في ذهن المجتهد لا يستطيع التعبير عنه.

وأما من عمل به فقد أراد العدول عن الحكم أو الدليل إلى حكم أو دليل أَوْلى منه، أو القول بأقوى الدليلين.

وهذا المعنى لا ينبغي أن يخالف فيه أحد، فعاد الخلاف إلى اللفظ لا إلى الحقيقة، وتبين أن الكلام لم يرد مورداً واحداً[5].

ولهذا قال أبو حامد الغزالي: «وردُّ الشيء قبل فهمه محال، فلا بد أولاً من فهم الاستحسان...»[6].

---

(١) وخذ مثالاً آخر لاستخدام سد الذرائع: عندما قننت بعض الدول العربية قانون الأحوال الشخصية وجعلت مستنده الشريعة الإسلامية وكان الغالب على الدول الإسلامية العمل بالمذهب الحنفي، وكانت بعض الأحكام المأخوذة من الفقه الحنفي لا تتناسب مع واقع الناس، فأخذ واضعو قانون الأحوال الشخصية بعض الأحكام من المذاهب الأخرى، وكانوا يعللون سبب ترجيحهم للمذهب الآخر أحياناً بالمصالح أو سد الذرائع، ولئن كان ظاهراً تعليلهم ذلك بالمصالح فقد يخفى التعليل بسد الذرائع ولذلك أسوق لك مثالاً على ذلك: (لما كانت إباحة التعدد مشروطاً فيها شرعاً المقدرة على الإنفاق على الزوجات جميعاً، وكان القانون قد أخذ بقول من قال بالتفريق لعدم الإنفاق فقد منع المتزوج من الزواج بأخرى إذا كان لا يستطيع الإنفاق على زوجتيه على قاعدة «سد الذرائع»...) انظر: شرح قانون الأحوال الشخصية للسباعي (١/١٦ - ١٩).

(٢) إعلام الموقعين (١/٧٢ وما بعدها).

(٣) الخرص: الكذب.

(٤) أسباب الخلاف عموماً ألف فيها العلماء قديماً وحديثاً تآليف مفردة أو ضمن بعض مصنفاتهم، فممن تكلم فيها ابن السيد البطليوسي وابن رشد الحفيد وابن تيمية وابن جزي والدهلوي.

ولكن مع ذلك لا أريد الكلام عن أسباب الخلاف، وإنما أريد أن أشير إلى سبب اختلاف العلماء في المسألة مع اتفاقهم على مورد المسألة - الرأي أو الاستحسان مثلاً - ومع ذلك يقع الخلاف.

(٥) انظر: أصول الجصاص (٤/٢٢٣ - ٢٢٦) والمعتمد لأبي الحسين البصري (٢/٨٣٨)، وبذل النظر للأسمندي (٦٤٧) والمستصفى (١/٢٧٤-٢٨٣)، وشرح اللمع (٢/٩٦٩) والوصول إلى الأصول لابن بَرهان (٢/٣٢٢) وروضة الناظر (٢/٥٣١ - ٥٣٦)، والمحصول (٢/٥٦١)، وشرح تنقيح الفصول (٣٥٥ - ٣٥٦).

(٦) المستصفى (١/٢٧٤).

وقال الشيرازي: (فإن كان مذهبهم على ما قال الكرخي «أي العدول بحكم المسألة عن حكم نظائرها لدليل يخصصها» وعلى ما قال الآخر، وهو القول بأقوى الدليلين، فنحن نقول به، وارتفع الخلاف)(١).

وقال ابن قدامة: (فلا فائدة في الاختلاف في الاصطلاحات مع الاتفاق في المعنى)(٢).

وقال ابن السمعاني: (ذكر الأصحاب أن القول بالاستحسان في أحكام الدين فاسد.. وكذلك القول بالمصالح والذرائع والعادات من غير رجوع إلى دليل شرعي باطل.. ثم قال: واعلم أن مرجع الخلاف معهم في هذه المسألة إلى نفس التسمية، فإن الاستحسان على الوجه الذي ظنه بعض أصحابنا من مذهبهم لا يقولون به، والذي يقولونه لتفسير مذهبهم: أنه العدول في الحكم من دليل إلى دليل هو أقوى منه؛ فهذا لا ننكره..)(٣).

وعلى ذلك فلا يجوز للمفتي أو الباحث أن يترك هذه الأصول الشرعية؛ لأن فلاناً قال بها، أو لأن القائل بهذه المسألة هم من أصحاب التوجه الفلاني، بل على المفتي أن يصدع بالحق أياً كان، إذا كان يرى أن هذا هو الحق، وأن هذا الحق يجب قوله الآن.

حتى لو كان الحق فيه تيسير على الناس؛ ففي عمل الناس آصار لم يأمر بها الله؛ فهل الشريعة جاءت بالحَرَج والأغلال والآصار حتى نمتنع عن قول الحق من أجل ذلك؟

وحتى ولو كان الحق مخالفاً لأهواء الناس وما ألفوه ولانت جلودهم له؛ إذ الشريعة لم تأت موافقة لأهواء الناس، ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ولنتخيل لو جاء أحد المفتين فقال بجواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة، ودفع الزكاة للكفار دفعاً لأذاهم المتحقق عن المسلمين، وما موقف بعضهم لو سمع من يقول بعدم قتل بعض المنافقين والمرتدين لئلا يتحدث الناس أن (المسلمين) يقتلون أصحابهم، وما عمله لو عقد بعض الولاة صلحاً كصلح الحديبية، أو نهى عن سب آلهة المشركين لئلا يترتب على ذلك ضرر أكبر، أو امتنع عن إقامة حد السرقة لسبب شرعي مقبول - كما وقع عام الرمادة - أو أجاب دعوة لأحد قسس النصارى، أو سمح بإقامة بعض الأنشطة في المساجد - وإن كانت رياضية - كما فعل الحبشة في المسجد النبوي، أو اتبع الأعراف الدولية السائدة - التي لا تخالف أصول الشريعة - كما اتخذ النبي ﷺ خاتماً، وامتنع عن قتل الرسل، وأخبر أنه لو دُعي إلى الحلف الذي عُقد في بيت ابن جدعان - حلف لنصرة المظلوم - لأجاب، وخاطب هرقل بعظيم الروم، ألن يرمى هذا المفتي بالتساهل وتمييع الدين، والإعراض عن النصوص الشرعية؛ تمسكاً بالمصالح؟

وعلى النقيض لو قال أحد العلماء بتحريم بعض الألفاظ لئلا يتوهم منها معنى آخر (لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) ولو هدم مسجد ضرار كما هدم النبي ﷺ مسجد الضرار، أو أمر امرأة - حتى وإن كانت موثوقة - بعدم إلانة القول لئلا يطمع الذي في قلبه مرض، أو قطع شجرة أو هدم حجراً خوفاً من تبرك الناس به كما فعل عمر بشجرة الرضوان، أو منع من الحيل الربوية، ألن يوصف بالتشدد، واتخاذه لأكبر سد في العالم؟

بل لو تغير اجتهاده من وقت لآخر؛ لأنه أمعن النظر في المسألة مرة أخرى، كما تغير اجتهاد عمر بن الخطاب في مسألة الإخوة الأشقاء مع الإخوة لأم (المسألة اليَمِّيَّة أو الحمارية)، أو تغير اجتهاده بناء على تغير العلة التي بني عليها الحكم، كما منع عمر المسلمين عن القتال في البحر، لعدم خبرتهم به، ثم أقدموا عليه لما وُجِد في المسلمين - بعد عمر - من يستطيع القيام بذلك، لو تغير اجتهاده من أجل ذلك ألن يوصم بالتناقض؟

ومع ذلك فكل ما سبق وسائل شرعية لا يجوز لنا تركها؛ لأنه يوجد في الناس من يعيبُ ذلك، أو لأنه يوجد من يستخدمها استخداماً خاطئاً، أو يتخذها وسيلة لهواه؛ فقد يوجد من يريد تعطيل الحدود استناداً إلى عدم قتل النبي ﷺ للمنافقين، وترك عمر لحدِّ السرقة عام الرمادة، لكن ذلك لا يعني أن ننطلق إلى الجانب الآخر، فنحرم الاقتداء بالنبي ﷺ في هذا الأمر، وقد يوجد من يهدم المسجد؛ لأنه لا يوافق توجهه السياسي؛ ولأن المسجد لم يعد بوقاً له، لكن لا يعني ذلك عدم هدم مساجد الضرار، وقد يوجد من يريد إلغاء الولاء والبراء استناداً إلى ما سبق، لكن ذلك لا يعني أن نترك سُنَّة النبي ﷺ أو نظلم الكفار لكي لا نقع فيما وقع فيه.

وكذلك يوجد من يمنع المرأة من الحقوق المشروعة ظناً منه أن في ذلك صوناً للمجتمع من الفساد، ولكن ذلك لا يعني أن نجعل المرأة تعمل في كل مجال، وأن نترك الحبل على الغارب، لئلا نوصف بأننا متحجرون، وكذلك لا يمنعنا ذلك من أن ندعو إلى إنصاف المرأة وإعطائها حقوقها لئلا نوصف بأننا عصرانيون.

● سد الذرائع:

المراد بسد الذرائع: أن يكون الفعل غير محرَّم، ولكنه يوصل إلى المحرَّم. يقول القرافي مبيناً معنى سد الذرائع: «حسمُ مادة وسائل الفساد دفعاً لها؛ فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة منع مالك من ذلك الفعل في كثير من الصور...»(٤).

الاستدلال لمسألة سد الذرائع(٥):

من الأدلة على العمل بسد الذرائع قوله - تعالى -: ﴿وَلا

(١) شرح اللمع (٢/٩٧٠). (٢) روضة الناظر (٢/٥٣٢). (٣) قواطع الأدلة (٤/٤١٥ و٥٢٠ - ٥٢١).

(٤) الفروق (٢/٣٢)، وانظر ما ذكره أيضاً في (٣/٢٦٦)، وقارن بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه إقامة الدليل على بطلان التحليل (٦/١٧٢-١٧٣ ضمن الفتاوى الكبرى طبعة دار الكتب العلمية) والبحر المحيط للزركشي (٨/٩٠).

(٥) المقال لا يتسع للتوسع في الاستدلال ولكن للمزيد من الأدلة راجع ما ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (٣/١٢٢-١٤٣) فقد ذكر تسعة وتسعين وجهاً للاستدلال لهذه القاعدة.

تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فسبُّ آلهة المشركين ليس محرماً في ذاته، وإنما هو محرم لما يفضي إليه.

وما روته عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت: فلولا ذاك أبرز قبره؛ غير أنه خشي أن يُتَّخَذَ مسجداً[1].

تحرير محل النزاع:

الذريعة تنقسم إلى أقسام:

١ - الذريعة التي توصل إلى المحرَّم قطعاً؛ فهذه محرَّمة قطعاً، كحفر بئر أو حفرة في الطريق العام، أو وضع المواد السامة في مياه المسلمين.

٢ - الذريعة التي لا تفضي إلى المحرَّم إلا نادراً، كزراعة العنب؛ فمع أنه قد يُتَّخذ خمراً، لكن ليس هذا الغالب في استعماله، وعلى ذلك فلا يقال بحرمته، وكذلك لا يمنع من المجاورة في البيوت خوف الوقوع في الزنا، وهذه غير محرَّمة بالإجماع.

٣ - الذريعة التي بين القسمين، كالحِيَل الربوية في البيوع، وهذه محل النزاع؛ فمالك - رحمه الله - كثر عنده المنع منها، حتى اشتُهر بسد الذرائع.

ولهذا يقول القرافي بعد أن قسَّم الذرائع إلى مُجْمَع على سده ومُجْمَع على عدم سده ومُخْتَلَف فيه: (وليس سد الذرائع خاصاً بمالك - رحمه الله - بل قال بها هو أكثر من غيره، وأصل سدها مجمع عليه)[2].

○ آراء العلماء في مسألة سد الذرائع:

اشتهر العمل بقاعدة سد الذرائع عن الإمام مالك[3] والإمام أحمد[4]، وعمل بها أصحابهما.

وكذلك اشتهر عن الإمام الشافعي أنه لا يعمل بسد الذرائع، وكذلك الحنفية اشتهر عنهم العمل بالحِيَل، وظاهر ذلك أنهم لا يقولون بسد الذرائع؛ فهل الحنفية والشافعية لا يعملون بسد الذرائع؟

الحقيقة أننا نجد عند الحنفية في فروع عدة تعليل بعض الأحكام بسد الذرائع، منها: البدء بقتال البغاة؛ فالبغاة مسلمون؛ والأصل ألا يقاتل المسلم ابتداء بل لا يقاتل إلا دفعاً، لكن المذهب عند الحنفية البدء بقتالهم إذا تحيَّزوا وتهيؤوا للقتال؛ وذلك لئلا يكون عدم قتالهم ذريعة لتقويتهم، ولعلهم إذا قووا لا يمكن دفعهم[5].

وعندهم يُكرَه لمن خاف الحَيْف أن يتولى القضاء لئلا يكون ذلك ذريعة إلى الظلم[6].

ومرادهم بالكراهة هنا كراهة التحريم؛ لأن الغالب الوقوع في المحظور[7].

وعللوا تركَ المعتدَّة الطيبَ والزينةَ والكحل والدهن المطيب وغير المطيب بأن هذه الأشياء دواعي الرغبة فيها وهي ممنوعة من النكاح فتجتنبها كي لا تصير ذريعة على الوقوع في المحرم[8].

وفي مسألة مصادرة السلطان لأرباب الأموال ذكروا أن ذلك محرم، ولا يجوز إلا لعمال بيت المال، والمراد بعمال بيت المال خَدَمَتُه الذين يجبون أمواله، ومن ذلك كَتَبَتُه إذا توسعوا في الأموال؛ لأن ذلك دليل على خيانتهم، وألحقوا بهم كَتَبَة الأوقاف ونُظَّارها إذا توسعوا وتعاطوا أنواع اللهو وبناء الأماكن..، لكن مع ذلك قال بعض الحنفية: «هذا مما يُعْلَم ويُكْتَم، ولا تجوز الفتوى به؛ لأنه يكون ذريعة إلى ما لا يجوز؛ وذلك لأن حكام زماننا لو أُفتوا بهذا وصادروا مَنْ ذُكِرَ لا يردون الأموال إلى الأوقاف...»[9].

وأما الإمام الشافعي - رحمه الله - فهو الذي اشتهر عنه عدم العمل بسد الذرائع، ولكن عند النظر في بعض المسائل التي ذكرها نجد أنه يعمل بسد الذرائع، مثل ما ذكره في مسألة منع فضل الماء؛ حيث قال - رحمه الله -: (منعُ الماء ليمنع به الكلأ الذي هو من رحمة الله[10] عامٌّ يحتمل معنيين: أحدهما: أن ما كان ذريعة إلى منع ما أحل الله لم يحل، وكذلك ما كان ذريعة إلى إحلال ما حرم الله تعالى...

(ثم قال): فإن كان هذا هكذا؛ ففي هذا ما يثبت أن الذرائع إلى الحلال والحرام تشبه معاني الحلال والحرام، ويحتمل أن يكون منع الماء إنما يُحَرَّم؛ لأنه في معنى تلف على ما لا غنى به لذوي الأرواح والآدميين وغيرهم، فإذا منعوا فضل الماء منعوا فضل الكلأ، والمعنى الأول أشبه. والله أعلم)[11].

فهل الشافعي لا يراعي الذريعة إلى المحرم مطلقاً، وهل مراعاته للذريعة في بعض المسائل يعدّ تناقضاً منه؟

قال تقي الدين السبكي بعد أن قرر مذهب الشافعي في مسألة العينة، وبعد أن ذكر كلام الشافعي السابق في مسألة منع فضل الماء: (قد تأملته (أي النص السابق) فلم أجد فيه

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (١٣٣٠) ومسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور.. (٥٢٩).

(٢) الفروق (٢/٣٢).

(٣) انظر الفروق (الموضع السابق).

(٤) التحبير للمرداوي (٨/٣٨٣١) وشرح الكوكب المنير (٤/٤٣٤).

(٥) تبيين الحقائق (٣/٢٩٤).

(٦) تبيين الحقائق (٤/١٧٦)، وانظر فروعاً أخرى في تبيين الحقائق (٤/٢٩٣).

(٧) البحر الرائق (٤/٢٩٤).

(٨) العناية (٤/٣٣٩).

(٩) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين (٥/٣٣٥)

(١٠) يشير إلى الحديث الذي ذكره بسنده قبل هذا الكلام بقليل، وهو: من منع فضل الماء ليمنع به الكلأ منعه الله فضل رحمته.

(١١) الأم (٤/٥١).

متعلقاً قوياً لإثبات قول سد الذرائع، بل لأن الذريعة تعطى حكم الشيء المتوصَّل بها إليه، وذلك إذا كانت مستلزمة له كمنع الماء؛ فإنه مستلزم لمنع الكلأ، ومنع الكلأ حرام، ووسيلة الحرام حرام.

والذريعة هي الوسيلة، فهذا القسم وهو ما كان من الوسائل مستلزماً لا نزاع فيه، والعقد الأول (أي في بيع العِينة) ليس مستلزماً للعقد الثاني؛ لأنه قد لا يسمح له المشتري بالبيع أو ببذلهما، أو يمنع مانع آخر؛ فكل عقد منفصل عن الآخر لا تلازم بينهما؛ فسدُّ الذرائع الذي هو محل الخلاف بيننا وبين المالكية - أمرٌ زائد على مطلق الذرائع وليس في لفظ الشافعي تعرُّض لهما، والذرائع التي تضمنها كلام لفظه لا نزاع في اعتبارها. (ثم ذكر كلام القرافي السابق ثم قال):

فالذرائع هي الوسائل وهي مضطربة اضطراباً شديداً: قد تكون واجبة، وقد تكون حراماً، وقد تكون مكروهة ومندوبة ومباحة. وتختلف أيضاً مع مقاصدها، بحسب قوة المصالح والمفاسد وضعفها، وانغمار الوسيلة فيها وظهورها، فلا يمكن دعوى كلية باعتبارها ولا بإلغائها، ومن تتبع فروعها الفقهية ظهر له هذا، ويكفي الإجماع على المراتب الثلاث المذكورة في كلام القرافي...)[1].

إذن الشافعي يوافق الإمام مالك والإمام أحمد في المنع من الذرائع المستلزمة للمحرم.

وإذا تقرر ما سبق فإن الذرائع المستلزمة للمحرَّم محرَّمة إجماعاً، والذرائع التي لا توصل إلى المحرم إلا نادراً مجمَع على عدم المنع منها، وما بين هاتين المرتبتين وقع الخلاف فيه بين أهل العلم.

لكن إذا كان يغلب على الظن إفضاء الذريعة إلى المحرَّم؛ فهل نقول بأن المنع منها محل إجماع بين أهل العلم؛ لأنه كثيراً ما يلحق العلماء الظن الغالب بالقطع في الأحكام؟

لا أستطيع القطع بذلك، لكن المظنون بأهل العلم القول بالمنع منها، وقد قال العز بن عبد السلام الشافعي: (ما يغلب ترتُّب مسبَّبه عليه وقد ينفك عنه نادراً فهذا أيضاً لا يجوز الإقدام عليه؛ لأن الشرع أقام الظن مقام العلم في أكثر الأحوال)[2].

فإذا كان هذا هو رأي إمام من أئمة الشافعية في كتاب ألفه في مصالح الأنام فغيره من باب أَوْلى أن يقول به.

والخلاف الذي يقع بين أهل العلم في بعض المسائل التي مردّها إلى مسألة سد الذرائع، إما أنه خلاف راجع إلى خلافهم في بعض شروط العمل بسد الذرائع، وإما أنه خلاف راجع إلى اختلاف نظرهم وفهمهم للمسألة أو للأمور المُحْتَفَّة بها، كما نجد الخلافَ عند علماء أهل السنة الذين يوجبون العمل بما صح من الأحاديث في الأحكام الشرعية؛ ومع ذلك نجد الخلاف عندهم في بعض المسائل التي اطَّلعوا كلهم على دليلها؛ وذلك لاختلافهم في بعض شروط الحديث الصحيح؛ فمنهم من يقبل زيادة الثقة إذا لم تخالف رواية من هو أوثق، ومنهم من لا يرى ذلك بل له تقعيد آخر في مسألة زيادة الثقة، أو أن خلافهم راجع إلى فهمهم أو طريقة استنباطهم الحكم من الحديث، مع أن الحديث واحد، والحديث قد اطلع عليه كلا الطرفين.

تنبيه ذكره القرافي: (اعلم أن الذريعة كما يجب سدها يجب فتحها، وتكره وتندب وتباح؛ فإن الذريعة هي الوسيلة؛ فكما أن وسيلة المحرم محرمة فوسيلة الواجب واجبة)[3].

● إعمال المصالح[4]:

والمصالح عموماً تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم شهد الشرع باعتباره، وهذا لا شك في إعماله؛ لأنه القياس.

٢ - قسم شهد الشرع بإبطاله، كالمصلحة الموجودة في الخمر والميسر من متاجرة بها وإنعاشٍ لاقتصاد البلد وجلبٍ للسياح، ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩] فهذا القسم لا شك في إبطاله.

٣ - ما لم يشهد نص معيَّن من الشارع باعتباره ولا بإهماله، وهو ما يسمى بـ (المصالح المرسلة) ككتابة المصحف بعد وفاة النبي ﷺ، وعهد أبي بكر إلى عمر بالخلافة، وحرقِ عثمان المصاحفَ سوى المصاحف التي كتبها، وتدوين الدواوين، واتخاذ السكة[5]، قلت: ومثلها في الوقت الحاضر الأنظمة التي تصدرها بعض الدول محققة لمصلحة الناس غير مصادمة للشرع.

وهذا القسم هو الذي وقع فيه الخلاف. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا فصل عظيم ينبغي الاهتمام به؛ فإن من جهته حصل في الدين اضطراب عظيم، وكثير من الأمراء والعلماء والعُبَّاد رأوا مصالح فاستعملوها بناء على هذا الأصل، وقد يكون منها ما هو محظور في الشرع.. وكثير منهم من أهمل مصالح يجب اعتبارها شرعاً بناء على أن الشرع لم يَرِدْ بها، ففوَّت واجبات ومستحبات، أو وقع في محظورات ومكروهات، وقد يكون الشرع ورد بذلك ولم يعلمه)[6].

---

(١) تكملة الجموع (الطبعة المنيرية) (١٠/١٤٨ - ١٤٩)، وانظر: سد الذرائع عند شيخ الإسلام ابن تيمية للمهنا (٧٩ - ١٠٩) فقد أجاد في تحرير رأي الشافعي في هذه المسألة.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٧٦)، وانظر حاشية الشرواني على تحفة المحتاج (١/٧٥).

(٣) الفروق (٢/٣٢).

(٤) انظر: المستصفى للغزالي (١/٢٨٤)، وشرح تنقيح الفصول (٣٥٠)، وشرح الكوكب المنير (٤/٤٣٣)، ونهاية السول مع سلم الوصول (٤/٣٨٥)، ويلحظ أن كثيراً من الأصوليين يتطرقون إلى المصلحة عند كلامهم في القياس عن المناسب المرسل.

(٥) السكَّة: العملة.

(٦) قاعدة في المعجزات والكرامات (ضمن مجموع الفتاوى)، (١١/٣٤٣ - ٣٤٤).



وهذا القسم - إن قلنا بإثباته[١] - نجد أن العمل به موجود في المذاهب كلها، ولكن الإشكال كالإشكال السابق؛ فإنه يوجد من توسع فيه، وأكثرُ من توسع فيه مالك ثم أحمد، ولا يكاد يخلو غيرهما عن اعتبار هذا الأصل في الجملة[٢].

والفقهاء الذين يمنعون العمل بالمصالح المرسلة سيضطرون إلى القول بموجبها عند التطبيق الفقهي وإن سموا عملهم هذا قياساً أو استحساناً أو غير ذلك؛ فالمؤدى واحد، وخذ مثلاً على ذلك إمام الحرمين فقد كاد يوافق الإمام مالك مع مناداته عليه بالنكير[٣].

وقال القرافي: (المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق؛ لأنهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهداً بالاعتبار، ولا نعني بالمصلحة المرسلة إلا ذلك، ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة: أن الصحابة - رضوان الله عليهم - عملوا أموراً لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد الاعتبار نحو كتابة المصحف ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير (ثم ساق أمثلة من فعل الصحابة، ثم قال): وذلك كثير جداً لمطلق المصلحة، وإمام الحرمين قد عمل في كتابه المسمى بالغياثي أموراً وجوَّزها وأفتى بها والمالكية بعيدون عنها، وجسر عليها وقالها للمصلحة المطلقة، وكذلك الغزالي في شفاء الغليل مع أن الاثنين شديدا الإنكار علينا في المصلحة المرسلة)[٤].

وفي الشروط التي وضعها بعض الفقهاء - كاشتراط الغزالي[٥] أن تكون المصلحة كلية قطعية ضرورية - تضييق لنطاق العمل بالمصالح قد يؤدي إلى إغلاق باب العمل بها، وعند التطبيق سيكون أوَل التاركين لتلك الشروط مَنْ وضعها.

وعند التأمل في التطبيق الفقهي للمصالح سنرى أن الصحابة والتابعين وأئمة الفقه عملوا بالمصالح وإن اختلفت ألفاظهم في الاستدلال لهذه المصالح، وسبب الخلاف الموجود في كتب الأصوليين يعود - كما ذكر بعض الباحثين[٦] - إلى عدم تحديد المراد باعتبار الاستصلاح أو عدم اعتباره عند نقلهم للخلاف، وكذلك إلى عدم التثبت في نقل الآراء.

ولا يعني ذلك اعتبار المصالح مطلقاً من دون ضابط، بل لا بد للعمل بالمصالح من شروط:

١ - فلا بد أن تكون موافقة لمقاصد الشارع محافظة على الضرورات الخمس (الدين والنفس والعقل والعرض والمال).

٢ - ويُشترَط لها ألا تعارض دليلاً شرعياً.

٣ - وألا تفوِّت مصلحة أعلى منها[٧].

٤ - كما يُشترَط للمصلحة أن تكون حقيقية - تجلب نفعاً وتدفع ضراً - لا موهومة، فلا بد لها من إطالة النظر والتأمل في جميع الأوجه قبل الحكم بالمصلحة.

٥ - ويُشترَط لها أن تكون عامة للناس أو لأكثر الناس، لا مصلحة لفئة معينة من الناس كمصلحة السادة أو التجار على حساب غيرهم[٨].

ولكن - ومع ما سبق ذكره - فسيبقى هناك إشكال في تحرير بعض الشروط وفي مجال تطبيق المصلحة. ومن المجالات التي ستكون سبباً للخلاف في بعض المسائل:

- التدرج في تطبيق أحكام الشريعة في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية؛ فهل التدرج في الشريعة يعدّ مصادماً للنصوص الشرعية التي أمرت بالعمل بالشريعة جملة وتفصيلاً، فلا بد من الأخذ بالشريعة جملة وتفصيلاً دون الانتقاء منها، والتدرج انتقاء؛ فهو أخذ لبعض الكتاب دون بعض، أم أنه موافق للشريعة التي جاءت أحكام عديدة منها بالتدرج كتحريم الخمر ومشروعية الجهاد؟ وهل الأحكام التي نزلت قبل الهجرة ونزل بعد الهجرة خلافها منسوخة؟ أم أنه يمكن للمسلمين إذا كانت حالتهم قريبة من المرحلة المكية أن يأخذوا ببعض أحكامها؟

- ترك بعض الأحكام الشرعية تركاً مؤقتاً مراعاة لمصلحة أعظم: هل يُعَدُّ ذلك مصادماً للنصوص الشرعية، أم يكون هذا الترك كترك قتل المنافقين، وترك حد السرقة عام الرمادة، فيكون مستنداً إلى دليل آخر ولا يعدّ مصادماً للدليل؟ وهذا ما يسميه كثير من الأصوليين بالاستحسان، ولكن حتى مع القول بمشروعية ذلك، ما ضوابطه؟

- الضرورة والحاجة العامة وتأليف القلوب ومراعاة الأوليات أمور يُعلل بها كثيراً ترك ظواهر النصوص، ولهذه الأمور ما يشهد لها شرعاً، لكن - أيضاً - هذه الأمور تحتاج إلى ضبط.

- أفعال الرسول ﷺ منها ما فعله بحكم العادة والجِبِلَّة، ومنها ما فعله من أجل التشريع، والذي فعله من أجل التشريع منه ما فعله لكونه مفتياً، ومنه ما فعله لكونه قاضياً، ومنه ما فعله لكونه إماماً اتبع فيه المصلحة الحالية. وعلى ذلك سيقع خلاف في تفسير بعض الأفعال: هل فعله لكونه مفتياً أم لكونه إماماً؟ ولعل من أوائل القضايا التي وقع فيها الخلاف قسمة الأرض المفتوحة؛ فقد كان النبي ﷺ يقسمها، ومع ذلك عمر لم يقسم أرض السواد، وخالفه في ذلك بعض الصحابة.

هذه لمحة عامة عن سد الذرائع والعمل بالمصالح، لم أرد منها الاستقصاء، ولكني أردت أن أبيِّن أن هذين الأصلين أصلان مهمان لا بد أن يفهمها المفتي جيداً ويعمل بهما وفق الضوابط الشرعية دون الالتفات إلى ما يقوله الناس، ومن دون ذلك سيضيع المستفتي بين سد الذرائع والعمل بالمصلحة.

والله أعلم، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) لأن هناك من اعترض على هذا القسم؛ لأنه ما من حكم إلا ولله فيه حكم شرعي؛ فلا يتصور وجود هذا القسم عنده. تأمل: التقرير والتحبير (٣/١٥١)، وحاشية العطار على شرح المحلي (٢/٣٢٨).

(٢) البحر المحيط (٨/٨٤)، وبعض الأصوليين ينقلون عن الإمام أحمد التوسع في العمل بالمصالح، ومع ذلك فإن ابن قدامة لم يعتدّ بالمصالح المرسلة (الروضة ٢/٥٤٢) وكذلك الفتوحي في الكوكب المنير (٤/٤٣٣)، والذي عرف عنه التوسع في العمل بالمصالح توسعاً خرق فيه الإجماع هو الطوفي، وعلى ذلك فليحرر مذهب الإمام أحمد في مسألة المصالح المرسلة.

(٣) ذكر ذلك ابن السبكي في جمع الجوامع (٢/٣٢٩ مع شرح المحلي) ولاحظ أن ابن السبكي شافعي كإمام الحرمين ومع ذلك قال هذه العبارة.

(٤) شرح تنقيح الفصول (٣٥١). (٥) المستصفى (١/٢٩٦). (٦) ضوابط المصلحة للبوطي (٣٤٧).

(٧) انظر: ضوابط المصلحة للبوطي. (٨) انظر: أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها للربيعة (٢٢٧).



مفهوم الدين بين الحقيقة والتحريف!



د. عدنان علي رضا النحوي
www.alnahwi.com - info@alnahwi.com

كلمة «الدين» كلمةٌ عمّت الشرق والغرب والتاريخ البشري واللغات المختلفة، والأمم والشعوب كلٌّ يدَّعي أن له ديناً ثم يعرض دينه الذي لديه.

ولكن هذه اللفظة في اللغات الأخرى غير العربيّة لها معنى خاص يختلف كلّ الاختلاف عن المعنى الذي تحمله هذه الكلمة في اللغة العربيّة. ومع ضغط الغزو الغربيّ على العالم الإسلامي، غزواً فكرياً وعسكرياً، تأثر كثير من المسلمين بالفكر الغربي ومصطلحاته ومدلولاته، واختلطت المعاني في كثير من الأذهان، وحسب الكثيرون أن كلمة «Religion» في الإنجليزيّة مثلاً، وأمثالها في لغات أخرى، تحمل نفس معنى كلمة «دين» في الإسلام وفي اللغة العربية. ولكنّ الحقيقة هي أن هنالك فرقاً واسعاً جداً بين كلمتي «دين» و«Religion». كلمة «دين» في اللغة العربيّة تحمل عدّةَ معانٍ وردت كلها في القرآن الكريم: الجزاء، المكافأة، ومنه: يوم الدين، ومنه اسم الله - سبحانه وتعالى - الدّيان. والدين: الملك، الحكم، السلطان، الطاعة، والمدينة: الأمّة، المدين: العبد، والدين: الجمع.

والكلمة الإنجليزية «Religion» لا تحمل إلا معنى الطقوس، ولا تحمل المعاني التي تحملها كلمة «الدين»؛ فمن الخطأ أن نترجم كلمة «Religion» بـ «دين»؛ فالفرق واسع، ولا يوجد لدى غير العرب لفظة تعادل كلمة «دين». والإسلام دينٌ يحمل جميع المعاني السابقة، لتجتمع كلها في المعنى الرئيس لكلمة دين: منهج كامل تام للحياة كلها، الدنيا والآخرة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمن مسؤولية المسلمين جميعاً أن يبيّنوا للعالم كله ما هو الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، وما معنى كلمة دين، وكيف أنها لا تُترْجم ولكن تشْرح معانيها، ليكون الشرح جزءاً من التعريف بدين الإسلام، الدين الذي يجمع أمور الحياة كلها: الاجتماعية، والتربوية، والنفسيّة، والاقتصادية، والسياسية، والتشريع الكامل، والحكم ونظامه، والدولة وسلطانها، والمسؤوليات للفرد والأسرة والأمة كلها، وجميع التكاليف التي نزل بها الوحي الكريم على محمد ﷺ، والشعائر، والعبادة كلها، والأمانة، والعمارة، والخلافة، وتعاون الشعوب على أساس إقامة دين الله، الإسلام، والدعوة إلى الله ورسوله وتبليغ الإسلام وتعهّد الناس كافة عليه لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن النار إلى الجنّة بإذن الله تعالى، وجهاداً في سبيل الله، وسائر المسؤوليات التي وضعها الله أمانة في عنق الأمة المسلمة:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن أهم المسؤوليات التي كلّف الله بها عباده أن يحملوا هذا الدين دعوة وبلاغاً وتعهّداً وجهاداً في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض كلها. فهذه هي حقيقة الأمانة والعبادة والخلافة والعمارة التي خَلَقَ الله الإنسان للوفاء بها في هذه الحياة الدنيا من خلال ابتلاء وتمحيص، ومن خلال عهد وميثاق، ليُحاسَب عليها الناس يوم القيامة.

إنّ هذا الدين الإسلامي جاء لهذه الغاية، ليحدّد مهمّة الإنسان في الأرض، والغاية التي خَلَقَه الله من أجلها.

والناحية الأخرى التي ترتبط بهذه القضيّة هي أن الله

ـ سبحانه وتعالى ـ وهو الواحد الأحد، ما كان ليبعث لعباده أدياناً مختلفة يتصارع الناس عليها، حين يريد الله من عباده كلهم أن يؤمنوا إيماناً واحداً ليدخلوا جميعاً في طاعته ورحمته ما أطاعوا والتزموا. فالدين عند الله واحد هو الإسلام، دين جميع الأنبياء والرسل الذين خُتموا بمحمد ﷺ.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

أما المصطلح الذي شاع بين الناس: «الأديان التوحيدية السماوية»، وما شابهه، فهو مصطلح خاطئ متناقض، لا يتناسب مع معنى التوحيد ولا معنى الألوهية، ولا معنى الدين، فالدين عند الله دينٌ واحد هو الإسلام.

ومن ذلك نرى أنه ـ خارجَ دين الله، خارجَ التوحيد ـ قد توجد أديان يصنعها البشر، إما من عند أنفسهم أو من تحريف دين الله مع الزمن. وهذه الأديان غير التوحيدية يمكن أن نضعها كلَّها في إطار «دين غير توحيدي» لا يدعو إلى الله ورسوله، ولا يتبنّى الوحي المنزّل من عند الله على رسله الذين خُتموا بمحمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين. فهنالك إذاً دين الله، دين التوحيد، دين واحد جاء برسالات متعدّدة مع الرسل والأنبياء، ودين غير دين الله:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

مفاصلةٌ وحسمٌ في الدين والمعتقد، لا مجال فيه للمراءاة أو المجاملات أو المساومات: دين الله دين واحد هو الإسلام، ودين الكافرين، ولا يوجد أديان متعددة، إلا في نطاق دين الكافرين!

وعند الخروج عن هذا التصوّر يضطرب الفكر ويختلط، وتضطرب التصورات، وتخرج أفكار ومصطلحات!

فحوار الأديان مثلاً مصطلح غريب حسب ما يُطرَح في واقعنا اليوم، وغريب من حيث كلمة «الأديان»! والله يقول: دين واحد! أفنكذّب الله سبحانه وتعالى؟!

وغريب من حيث كلمة «حوار»؛ ففي الإسلام دعوةٌ وبلاغ لتبليغ الدين الحق الواحد، وتعهُّد الناس عليه، كما أمر الله! فلا حاجة لحوار الأديان؛ فالأديان معروفة، وأصحاب كلّ دين يدعون إلى دينهم ولا يحاورون حوله. ولكن الحوار يمكن أن يدور حول طريقة التعامل لا حول الدين نفسه، ويظل الإسلام يدعو الناسَ كافة إلى الإسلام بوضوح وجلاء.

ولما كان اليهود والنصارى قد حرّفوا رسالة أنبيائهم، فخرجوا بذلك عن الدين الواحد للأنبياء والرسل جميعهم، سماهم الله «أهل الكتاب» إقراراً بأن الله أنزل على إبراهيم الصحف، وعلى موسى التوراة، وعلى عيسى الإنجيل، من عند الله رسالات متعدّدة لدين واحد هو الإسلام، دين جميع الرسل والأنبياء.

هذا ما نصّ عليه القرآن الكريم والسنة في سور متعددة، وآيات متعددة، وأحاديث واضحة، نصّاً صريحاً بيّناً لا خلاف فيه ولا يحتمل التأويل. وإذا كان هناك اختلاف فهو في الرسالات من حيث بعض التشريع، فقد كان كلُّ نبيٍّ يُرسَل إلى قومه خاصّة، يبلّغهم دين الإسلام، دين التوحيد الواحد، ويضع لهم من التشريع ما يحتاجه كل قوم.

ولما جاء النبيُّ الخاتم بمثل ما أتى به الأنبياء والرسل من الدين والتوحيد، مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، بأن جَمَعَ التشريع كله تشريعاً ربّانيّاً واحداً للبشريّة كلها إلى يوم القيامة، تشريعاً كاملاً وتامّاً وكافياً!

لا بدَّ من تثبيت هذا المفهوم في قلوب المسلمين وفي قلب كل مسلم، ليعي المسلم حقيقة دينه ومداه ومستواه، فلا يأخذه الضعف أو الجهل إلى أن يلهث وراء العلمانيّة والديمقراطية والحداثة، حتى يَعيا ويسقط دون أن يكسب الدنيا ولا الآخرة، ولا رِضا أهل الديمقراطية إلا رِضا استدراج مؤقت، ولا رِضا الله!

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن الرسول ﷺ قال: «مثلي في النبيين كمثل رجلٍ بنى داراً، فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لَبِنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه، ويقولون: لو تمَّ موضع هذه اللبنة؛ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة» أخرجه أحمد والشيخان والترمذي(١).

فالدين، من حيث الواقع والحقيقة والعقل، هو الحقيقة الكاملة لهذا الكون كلِّه، مشهده وغيبه، دنياه وآخرته، خلقه كله، خالقُه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، خالق كل شيء، له الملك كله، وله الأمر كله؛ وله الحمد كله. من هنا يُصبح الدِّين رسالةَ الأنبياء والرُّسل على مرِّ الزمن، خُتموا كلُّهم بالنبيِّ الخاتم محمّد ﷺ، وخُتمت الرسالات بالكتاب والسنّة كما جاءا باللغة العربية، ليكون كتابُ الله منهجَ حياة كاملاً تاماً للإنسان، للبشرية.

ومن خلال هذا المنهج الرّباني الكامل يبيّن الله لعباده كلِّهم مهمّة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، المهمّة التي خلقه الله للوفاء بها، ولتكون جزءاً رئيساً من هذا الدين العظيم، ليعرف كلُّ إنسان أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي خلقه، وهو الذي كلّفه بمُهمَّةٍ عظيمةٍ يقوم بها في الدنيا من خلال ابتلاءٍ وتمحيص، ومن خلال عهد وميثاق، فتكون الطريق أمام الإنسان في هذه الحياة الدنيا مشرقةً جليّةً، يمضي المؤمنون بذلك على

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته: رقم: ٥٨٥٧.

صراط مستقيم واحد، ممتدٌ إلى الدار الآخرة.

لذلك يعيش المؤمن في هذه الحياة الدنيا مطمئناً راضياً، واعياً لمهمته وتكاليفه الربّانيّة التي سيحاسَب عليها يوم القيامة بين يدي الله، يوم يضع الموازين القسط فلا تُظلَم نفسٌ شيئاً، ثمَّ يمضي الإنسان إما إلى جنَّة أو إلى نار.

هذا هو الدين الحق الذي يبيّن للإنسان كلَّ ما يحتاجه حتى ينجو من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة.

نعم! هذا هو الدين الذي جعله الله رحمةً منه لعباده، وفضلاً منه عليهم، وهدى ونوراً. فلا تجد فيه تناقضاً بل تماسكاً، وتجده ميسَّراً للذكر لمن ملك بفضل الله مفتاحين يفتحان له كتاب الله بإذن الله وبهدايته. هذان المفتاحان هما: إتقان اللغة العربية، وصفاء الإيمان وصدقه[1]. فإذا توافرا عند أي إنسان فإنَّ كتاب الله - تعالى - يُفتح له بهداية من الله. ولهذين المفتاحين آيات وأحاديث تدل عليهما وتبين أثرهما في تيسير القرآن للذكر:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

فلا يُعقل أبداً أن يكون الدين طقوساً تؤدّى على صورة ما، تنفصل بعد ذلك عن واقع الحياة الدنيا وأحداثها وميادينها، ثمَّ يصبح الإنسان بعد هذا الانفصال هو الذي يقرر، يعبد العقل حيناً، أو ما يسمّيه عقلاً، أو يعبد الأهواء والشهوات، أو يعبد المصالح المتضاربة المتنافسة، أو يعبد الأوثان وما يوحي به شياطين الإنس والجن.

هذا هو الدين! منهج حياة متكامل، يصل الدنيا بالآخرة، ليصبح عمل المؤمن الصادق كلُّه عبادةً صادقةً لله: أكلُه وشربُه وسعيُه، وجهادُه، ورضاه وغضبُه، وحبُّه وكراهيتُه، وعلمُه، وعملُه، كلُّه عبادةٌ خالصةٌ لله إذا صدقتْ النيَّة لله، وإذا خضع العمل كلّه لشرع الله، شرطان لا يُغني أحدهما عن الآخر، شرطان يجب أن يعملا معاً في وقت واحد.

هذا هو الدين! نجاةٌ في الدنيا والآخرة. بدونه يصبح الناسُ وُحُوشاً، يفتك بعضهم ببعض، ويهلك بعضهم بعضاً. لا تقوم بينهم عدالة ولا أمانة، ولا حُرِّية ولا مساواة، إلا من حيث الشعارات يطلقها المجرمون الوحوش، ليزيّنوا بها باطلهم، وليفتحوا بها ثروات الأمم لينهبوها، وليستأثر المجرمون الوحوش بخيراتها، ويَدَعُو الناس فقراء عالة عليهم!

هذا هو الدين الحق، دين الله، دين الإسلام، الدين الذي يقيم الحقَّ في الأرض بين الناس، ويقيم العدل الصادق الأمين، ويقيم الحريَّة المنضبطة لتوفّر الحريّة المنضبطة، لتحقق المساواة العادلة بين الناس.

وبغير هذا الدين الحق لا تقوم عدالة أبداً، ولا حريّة، ولا مساواة، فهذا كلّه يقيمه شرع الله.

كثير من الناس غاب عنهم التصوّر السليم للدين، ولمهمته في الحياة، فاضطربت تصوّرات الناس، أو بعض الناس اضطراباً واسعاً؛ فمنهم من جعل من الدين ومن معنى العبادة الطقوس والشعائر فقط. ومنهم من نادى بعزل الدين عن السياسة والحكم، أو عزل السياسة والحكم عن الدين. ومثل هذه التصوُّرات ابتدأت في الغرب على أثر اصطدام النصرانية بالوثنية، ثمَّ اصطدام الكنيسة برجال العلم وبالدولة والحكام، ثمَّ أخذت تمتدُّ إلى العالم الإسلامي بين المسلمين، حين انتشر الجهلُ بالكتاب والسنَّة واللغة العربيَّة، وقويت دعاية الغرب وغزوه الفكري والعسكري.

ومن أهمِّ التصوّرات الدينية التي غابت عن الناس معرفة الإنسان لمهمته في الحياة الدنيا، وللتكاليف الربّانيّة التي أمره الله بالوفاء بها، والتي سيحاسَب عليها بين يدي الله يوم القيامة. نسي الناس هذه المهمة الحقيقية ولهثوا وراء مصالحهم الدنيوية حتى يوافيهم الأجل وهم لم يوفوا بعهدهم مع الله ولا بالأمانة ولا بالعبادة ولا بحق الخلافة في الأرض.

وإذا كان القرآن الكريم قد أوجز مهمة الإنسان التي خلقه الله للوفاء بها في الحياة الدنيا بمصطلحات أربع: العبادة والأمانة والخلافة والعمارة؛ فإنه مع هذا الإيجاز فصَّل المهمّة تفصيلاً كاملاً، ثمَّ جمعت المهمة كلها في نشر دين الله في الأرض، ودعوة الناس كافَّة إليه، حتى تكون كلمة الله هي العليا وشرعه هو الأعلى. ومن أجل تحقيق ذلك شرع الله القواعد والوسائل والأساليب وفصّلها حتى يتيسَّر للإنسان الوفاء.

فمعرفةُ الدين وفهمه، وفهم تصوُّراته كاملةً سليمةً من مصدره الحق - المنهاج الربَّاني - أمرٌ أساسيٌّ في حياة الإنسان. وبغير هذا الفهم والعلم والالتزام يهلك الإنسان.

إنها مهمّة الإنسان المؤمن، الإنسان الداعية الصادق، أن يوفي بالأمانة بالتبليغ والتعهد وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ومن الهلاك إلى النجاة. وإن أي امتداد للفتنة وسوء فهم هذا الدين، يحمل المسلمون مسؤوليّته عن ذلك، ويحمل الدعاة والعلماء مسؤولية أكبر.

إنَّ البلاغ والبيان، والتعهد والبناء، والقوة والإعداد، مهمة كبيرة والتقصير بها إثم كبير، فلا يُشْغَلَنَّ الدعاة عنها بزخارف الدنيا وزينتها، فَيَهْلَكُوا ويُهْلِكُوا. إنَّ هذا الدين هو الحياة، هو النور، هو الهدى:

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

(١) يراجع: كتاب: «حتى نتدبَّر منهاج الله» للكاتب.



الوقف
فضيلة إسلامية وضرورة اجتماعية

أ. د. بركات محمد مراد

حظي الوقف باهتمام خاص من طرف علماء الفقه الإسلامي، باعتبار ما ورد في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، من الحض على الإنفاق في سبيل الله، والترغيب فيه. قال - تعالى -: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]. والوقف يعتبر باباً مهماً من أبواب البر والخير والإحسان؛ لأنه يجمع لصاحبه بين الحسنيين: جميل الذكر في الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، وهذا أقصى ما يتغياه المؤمن، ويتضرع إلى ربه للحصول عليه، وباعتباره أيضاً فرصة لاستدراك بعض ما فاته من واجبات فرّط فيها، أو من حقوق لم يؤدها، قبل أن يدركه الموت، فضلاً عن الدور الذي يقوم به في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

والدارس للحضارة الإسلامية يقف معجباً كل الإعجاب بدور الأوقاف في المساهمة في صناعة الحضارة الإسلامية والنهضة الشاملة للأمة. وإن من يقرأ تاريخ الوقف ليجد أنه شمل مختلف جوانب الحياة من الجامعات والمستشفيات إلى الأوقاف الخاصة بالحيوانات (مثل خيول الجهاد) التي لم تعد صالحة للاستعمال؛ فحينئذ تحال إلى المعاش وتصرف لها أعلافها وما تحتاج إليه من هذه الأوقاف... إلى الأوقاف على الأواني التي تنكسر بأيدي الخادمات حتى لا يعاقبن، فيجدن بدائل عنها في مؤسسات الوقف.

كما يشمل الوقف[١] الكثير من أوجه المنفعة للمجتمع؛ إذ يشمل وقف المساجد والحوانيت والأراضي والخانات، ودور العلم والمدارس والمستشفيات، والحبس على المقابر بتوفير الماء واللَّبِن

---

(١) الوقف يعني لغة (الحبس) مطلقاً سواء كان حسياً أو معنوياً، وهو مصدر وقف بمعنى حبست وأوقفت لغة غير مقبولة، حتى إن بعض العلماء أنكر وجودها في لغة العرب، ثم اشتهر إطلاق المصدر على الشيء الموقوف نفسه من قبيل إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، فنقول هذا البيت وقف أي موقوف، ولهذا جمع على أوقاف. انظر: زهير يكن: أحكام الوقف، ص ١١، بيروت المطبعة العصرية، بدون تاريخ. أما في الاصطلاح الفقهي فهو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، وهو على نوعين: أهلي ويقصد به وقف المرء على نسله أو ذريته أو أقربائه أو أولاده أو بعضهم. وخيري وهو الوقف على جهة بر ومعروف مثل المساجد والمدارس والملاجئ والمستشفيات، وغير ذلك. انظر نزيه حماد: معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء. المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ص ٢٨٨ عام ١٩٩٣م.

وخلافها، والأوقاف للغرض الحسن، ووقف البيوت الخاصة للفقراء، والسقايات، والمطاعم الشعبية التي يصرف فيها الطعام للفقراء والمحتاجين، ووقف الآبار في الفلوات لسقاية المسافرين والزروع والماشية، ووقف عقارات وأراضٍ زراعية يصرف من ريعها على المجاهدين أو يصرف - في حال عجز الدولة - على إصلاح القناطر والجسور.

وكثير من الأوقاف كان يصرف ريعه على اللقطاء واليتامى والمقعدين والعجزة والعميان والمجذومين، بل إن الوقف شمل ما حبس ريعه لتزويج الشباب والشابات الذين تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج والمهر، وشمل ما يقدم من حليب وسكر، حتى لقد جعل صلاح الدين الأيوبي في أحد أبواب القلعة بدمشق «ميزاباً يسيل منه الحليب، وميزاباً آخر يسيل منه الماء المذاب فيه السكر، تأتي إليه الأمهات يومين في كل أسبوع ليأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه من السكر والحليب»[1] حسب آليات ذلك الزمان.

ويمكن القول إن معظم دور العلم التي تأسست في القرن الرابع الهجري الذي يصفه آدم ميتز بـ (عصر النهضة في الإسلام) ثم المستشفيات والبيمارستانات والمدارس التي تأسست في العهد السلجوقي وحكم آل زنكي والأيوبيين في المشرق قامت بشكل أساس على الأوقاف. ثم إن مئات المؤسسات الاجتماعية والدينية كالجوامع والمدارس والخوانق والرُبُط والزوايا والتكايا التي يعددها «محمد كرد علي» في مدن بلاد الشام التي يعود بعضها إلى ما قبل العهد العثماني وبعضها الآخر إلى المراحل العثمانية الأولى، إنما نشأت واستمرت بفعل الدعم الذي أمّنته لها مؤسسة الوقف[2].

ولذلك يعد الوقف خاصية ملازمة للمجتمع الإسلامي عبر تاريخه الطويل، وكان بمثابة الطاقة التي دفعت به نحو النماء والتطور من خلال توفير المعينات المؤدية إلى تكوين مجتمع حضاري، تؤكد على ذلك الشواهد النصية المتناثرة في كتب التاريخ والسجلات والوثائق الخاصة بالأوقاف والمخلفات الآثارية التي توضحها نماذج الأبنية التي شيدت لتكون محوراً لأعمال الوقف من مثل المساجد والمدارس ومكاتب الأيتام والأسبلة والآبار والعيون. ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك أوقاف غاية في الطرافة والدلالة على سمو العاطفة الإنسانية في المجتمع الإسلامي، لا يعرف لها مثيل في المجتمعات الأخرى، فيما يذكر الدكتور مصطفى السباعي[3].

من ذلك هذه الأوقاف التي كانت بطرابلس لبنان لتوظيف شخصين يمران كل يوم على المرضى في المستشفيات للتسرية عن المرضى، وقد يتعمد هذان الشخصان الحديث بصوت خافت فيما بينهما عن تحسن صحة المريض لمساعدته على البرء إن كان مثل هذا الحديث مفيداً لحالته.

ولم يكن الوقف الأهلي الخاص بذرية الواقف بعيداً عن هذه الأهداف النبيلة؛ حيث كان المنتفعون به في أكثر الأحوال من المحتاجين، كما كان الواجب فيه النص في إنشاء الوقف على انتهائه إلى جهة خير لا تنقطع عند انقراض الذرية الموقوف عليهم. ولعل انتشار الأوقاف وتغلغلها على هذا النحو وأسسها القانونية المميزة لها عن الأوقاف المعروفة في الحضارات الأخرى قبل الإسلام هو الذي كان في ذهن الإمام الشافعي عندما قال قولته المشهورة: «لم يحبس أهل الجاهلية داراً ولا أرضاً تبرعاً بحبسها، وإنما حبس أهل الإسلام»[4].

وارتبط مسار الوقف في الإسلام بدرجة رئيسة بالفعل الاجتماعي؛ فكل أنماطه كانت موجهة نحو خدمة الإنسان، وتيسير الحياة له والتخفيف من معاناته؛ فهو بذلك يسبق التوجه الغربي المعاصر الذي يتركز على تقليص حجم الضرائب المقررة على ثروات الأفراد والشركات عندما تخصص جزءاً منه لصالح المجتمع، كما أنه يفوقه إنسانية؛ لأنه ينبع عن عقيدة وإيمان مصدرهما الإحساس بالآخر، والشعور بأن المال بغض النظر عن المتوافر منه لدى الأفراد، يجب أن يسخر لما فيه فائدة المجتمع عامة، ومن هنا كان ناتج الوقف مثمراً في تاريخنا القديم والوسيط؛ إذ تسابقت على تطبيقه فئات المجتمع كافة دون تحديد، فشارك فيه الحاكم والأمير والوزير والثري والعالم والإنسان العادي، فكانت الحصيلة هذه الثروة الحضارية التي ازدهرت مشرقة مشعة بالخير، استمرت في عطائها إلى زمن قريب عندما قلّت العناية بأمره حين ألقى الجهل بأهمية الوقف ودوره بظلاله على المجتمع الإسلامي، فتراجع الاهتمام به، وانحسر التوجه إلى استخدامه وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فظهرت كثير من المعضلات المعيقة لرقي المجتمع من مثل الأمية والمرض والفقر.

---

(١) انظر عبد العزيز الخياط: المجتمع المتكامل في الإسلام، ص ٢٣٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، عمان مكتبة الأقصى عام ١٩٨١م، وانظر أيضا وجيه الكوثراني: المجتمع المدني والمجتمع الهلي في الحضارتين العربية والإسلامية ص ٣٢، مجلة التسامح العدد ٨، سلطنة عمان، خريف عام ٢٠٠٤م.

(٢) يذكر محمد كرد علي نبذة عن كل مؤسسة من هذه المؤسسات ويورد ذكراً لـ ٦١١ مؤسسة في مدن الشام وحدها، من بينها ٣٠ مدرسة في دمشق وحلب، وعدد من المستشفيات، انظر محمد كرد علي: خطط الشام ج ٣، ج ٦ ص ٤٥ - ١٦٧ دار العلم للملايين عام ١٩٦٩م والمرجع السابق ص ٣٣.

(٣) انظر كتابه: (من روائع حضارتنا) حيث فعل بالعديد من الأساليب الوقفية المختلفة.

(٤) الإمام الشافعي: الم ٢/٢٧٥، وانظر د. محمد أحمد سراج: أحكام الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي ص ١٣٨، ١٣٩، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية عام ١٩٩٨م.



ولكن مع تزايد الصحوة الإسلامية في الربع الأخير من القرن المنصرم، وتعاظم آثارها الإيجابية على مختلف مقومات الحياة للأمة الإسلامية، بدأت الكثير من مظاهر الحياة الإسلامية تعود إلى ما كانت عليه، وكان من الطبيعي الاهتمام بأحد أهم السمات الإنسانية للأمة الإسلامية والتي صاحبت كل العصور الإسلامية - حتى في عصور الانحطاط - وهو الوقف.

ولذلك شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين الميلادي المنصرم نشاطاً ملحوظاً وتدفقاً مستمراً في الحديث والتنظير والتنظيم لإقامة الفعاليات والأنشطة الوقفية؛ فمن إقامة مؤتمرات وندوات تنادي بضرورة إيجاد آليات لتنشيط دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، كما كان الحال في العصور الإسلامية السالفة، إلى بروز تيار أكاديمي في الرسائل الجامعية والكتب الثقافية ينوه بضرورة نظام الوقف في عصرنا الحاضر، وصولاً بتأسيس مجالس وأمانات واتحادات للوقف في بعض الدول العربية والإسلامية، بدأت بالممارسة الفعلية في تنظيم وترتيب أوضاع الأملاك الوقفية في هذه الدول، بعدما غُيِّب الوقف كقيمة إنسانية بعد تخلف الأمة الإسلامية، وتمكن الاستعمار الغربي من هدم كثير من مقومات الحياة الإسلامية[1]، مما أدى إلى اضمحلال الوقف في عالمنا الإسلامي المعاصر. وعلى الرغم من ازدهاره في بلاد عربية وإسلامية قليلة مثل السعودية والكويت ومصر والإمارات والمغرب إلا أن هنالك فروقاً متسعة إن لم تكن شاسعة بين هذا وذاك، وشتان بين الكائن وما يمكن أن يكون!

● حقيقة الوقف ومشروعيته:

وقد دلت السنَّة الشريفة على مشروعية الوقف؛ فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر أحب أرضاً له من أرض خيبر، فقال: يا رسول الله! إني أحببت أرضاً بخيبر، لم أحب مالاً - قط - أنفس عندي منه؛ فما تأمرني؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها، فتصدق عمر على أن لا تباع، ولا توهب، ولا تورث، في الفقراء وذوي القربى، والرقاب، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم صديقاً غير متمول مالاً»[*] قال الإمام أحمد: «قد وقف أصحاب رسول الله ﷺ وهو فيهم بالمدينة ظاهرة؛ فمن رد الوقف فإنما رد السنة»[2].

ومن نماذج الوقف المبكر، ما روي أن عائشة - رضي الله عنها - وقفت داراً اشترتها وكتبت في شرائها: «إني اشتريت داراً وجعلتها لما اشتريتها له؛ فمنها مسكن لفلان وعقبه ما بقي، ولفلان وليس فيها لعقبه، ثم يرد إلى آل أبي بكر...»[3]. ولم يمنع الفقر محمد بن ناصر بن محمد بن علي، أبا الفضل، وكان من العلماء البارزين في بغداد وصفه ابن النجار بأنه كان ثقة ثَبْتاً حسن الطريقة متديناً فقيراً متعففاً نظيفاً منزَّهاً، في المشاركة في خدمة مجتمعه فوقف كتبه»[4].

ثم وجدنا كثيراً من الصحابة يصنعون صنيع عمر بن الخطاب، ووقفوا أموالهم على طريقته ومنهم أبو بكر وعثمان وعلي والزبير بن العوام ومعاذ بن جبل وأسماء بنت أبي بكر، وغيرهم كثير. حتى قال جابر بن عبد الله: «ما أعلم أحداً كان له مال من المهاجرين والأنصار إلا حبَّس من ماله صدقة مؤبَّدة لا تشترى أبداً، ولا توهب ولا تورث، فكان هذا اتفاقاً عملياً من الصحابة، فلو كان الوقف غير لازم لرجع بعض هؤلاء الواقفين عن وقفه، ولكنه لم يحدث، ولو رجع أحد منهم عما أوقف لنُقل إلينا، إضافة إلى أن فكرة حبس الأعيان عن التصرف التملكي والتصدق بمنفعته فيها أكبر ضمان للتمكن من إقامة دور العبادة والعلاج والعلم، والبر بالفقراء ومعالجتهم وتثقيفهم والتعاون على البر والتقوى، وتوثيق الصلة بذي القربى، ومد يد العون الدائمة لهم[5].

ويؤكد الدكتور خالد عبد الحكيم إسماعيل[6] أن جمهور الفقهاء يرى أن الوقف لازم بمجرد صدوره من الواقف، وليس له الرجوع فيه؛ ذلك أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «لا يباع أصلها، ولا يبتاع، ولا يوهب ولا يورث». وقد اتفق العلماء على أنه يصح الوقف على الأولاد والأقارب والفقراء والمساكين، وعلى سبل البر من بناء المساجد والقناطر، وعلى كتب العلم والفقه والقرآن، والمقابر والسقايات، وسبيل الله وغيرها.

إن الوقف له دور رئيس في سد حاجات المجتمع الإسلامي، فأسمى أهداف الوقف ترتيب الأجر والثواب المستمر للعباد في حياتهم وبعد مماتهم، من خلال الإنفاق والتصدق والبذل في

---

(١) د. سامي محمد الصلاحات: التجربة الوقفية لدولة الإمارات العربية المتحدة، مجلة أوقاف العدد ٥، السنة الثالثة أكتوبر عام ٢٠٠٣م.

(*) (رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف ١٩٨٢/ ٢ رقم: ٢٥٨٦).

(٢) الزركشي: شرح مختصر الخرقي ٤/ ٢٧.

(٣) القحطاني، ص ٢٣، ٢٤.

(٤) شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩، بيروت، دار إحياء التراث العربي عام ١٣٧٧هـ، وانظر يحيى محمود بن جنيد: الوقف والمجتمع، كتاب الرياض العدد ٣٩، مارس ١٩٩٧م.

(٥) انظر أحمد فراج حسين: أحكام الوصايا والوقف في الشريعة الإسلامية ص ٢٣٧، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية عام ١٩٩٧م

(٦) د. خالد عبد الحكيم إسماعيل: الوقف الخيري أنموذج التكافل الاجتماعي، العالمية العدد ١٨١، الكويت مايو ٢٠٠٥م.

وجوه الخير والبر. وهذا سبيل إلى مرضاة الله ورسوله، وطريق إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار. فالوقف نوع من القربات التي يستمر بها صدقة جارية إلى قيام الساعة. ويحقق الوقف مبدأ تكافل المجتمع وإيجاد عنصر التوازن بين الأغنياء والفقراء، ويضمن الوقف بقاء المال وحمايته ودوام الانتفاع منه، ويوفر سبل التنمية علمياً وعملياً بمفهوم تكاملي شامل.

وتعد الجوامع والمساجد أهم الأنماط التي حظيت بعناية الواقفين؛ حيث سُعِيَ إلى تعميرها وتشييدها وتزويدها باحتياجاتها من الفرش والبسط وخزائن الكتب والصرف على العاملين فيها. كما أن الحرمين الشريفين حظيا بنصيب وافر من الاهتمام من الواقفين على مر العصور، ولم يقتصر الوقف على عمارتهما وتوفير سبل الراحة لقاصديهما، بل تعدى ذلك إلى الاهتمام بالوقف على كافة أمور الحياة في المدينتين الشريفتين مكة والمدينة.

وقد اقتضت كثرة الأوقاف وتشعب جهات المنتفعين بها التفكير في إنشاء تنظيم إداري للإشراف على الأموال الموقوفة وضمان حسن التصرف فيها بما يحقق المصلحة العامة ومصلحة المنتفعين على السواء. ويرجع أقدم تنظيم إداري للأوقاف إلى العهد الأموي؛ إذ يذكر الكندي أن (توبة بن نمير) لما ولي قضاء مصر عام ١١٥هـ[١] اتجه إلى تسجيل الأحباس في ديوان خاص بها، وجعل ذلك تحت إشرافه، بناء على ما رآه من أنها صدقات مرجعها إلى الفقراء والمساكين، فقرر أن يلي الإشراف عليها حفظاً لها من أن يضع المنتفعون بها أيديهم عليها ويتوارثونها، فتضيع ثمرتها أو لا تصل إلى مستحقيها. ولم يكن صنيع (توبة) في الإشراف على الأوقاف عملاً فردياً، فقد تتابع القضاة على تولي شؤون الأوقاف بالنظر والإشراف ومحاسبة المسؤولين.

وفي العصر العباسي تنوعت الأوقاف واتسعت، بحيث أصبحت تجري في الأراضي الزراعية بعد أن ظلت منحصرة في الدور، وهذا هو ما يذكره (المقريزي) حيث قال: «إن الأحباس لم تكن إلا في الرباع وما يجري مجراها، وأما الأراضي فلم يكن سلف الأمة يتعرضون لها، حتى إن أحمد بن طولون لما بنى الجامع والمارستان والسقاية وحبَّس على ذلك الأحباس الكثيرة لم يكن فيها سوى الرباع ونحوها بمصر، ولم يتعرض لشيء من أراضي مصر (أي الزراعية)[٢].

ولم يعد في وسع القضاة الإشراف على الأوقاف لكثرتها بمرور الوقت، فقامت الدولة العباسية بتخصيص جهاز إداري لمتابعة الأوقاف والإشراف عليها، وكان رئيس هذا الجهاز يسمى (صدر الوقوف) وقد قوي هذا الجهاز الإداري في عهد الدولة العثمانية وزادت فروعه وصدرت له القوانين المنظمة لاختصاصه وأعماله وكيفيات ممارسة مسؤولياته والمحاسبة عليها[٤]، وقد انتقلت أكثر هذه التنظيمات والتشريعات إلى قوانين الأوقاف الحديثة المعمول بها في البلاد العربية والإسلامية التي كانت تضمها دولة الخلافة العثمانية.

وقد تضخم الجهاز الإداري المسؤول عن الأوقاف الأولى، وانقسم إلى ثلاثة دواوين أساسية: ديوان لأحباس المساجد، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر الأخرى، وديوان للأوقاف الأهلية. وقد بلغت أحباس المساجد وحدها في مصر في عهد الناصر محمد بن قلاوون ١٣٠ ألف فدان، فأراد هذا السلطان الاستيلاء على نصف هذه المساحة، ولكنه قُبِضَ قبل أن يتم له ما أراد طبقاً لما يذكره المقريزي في خططه.

● شروط اختيار النظار:

اهتم الفقهاء بأمر ناظر الوقف وحرصوا على التدقيق والتحري في حسن اختياره، فاشترطوا في توليته مجموعة من الشروط تتناسب وخطورة منصبه، وهذه الشروط منها ما هو محل اتفاق. فأما الشروط التي حظيت باتفاقهم فيمكن حصرها في العقل والرشد والأمانة والكفاية؛ فهم يحرصون على اشتراط العقل في الناظر؛ لأن فاقد العقل عاجز عن النظر لنفسه، عديم التمييز لما فيه المصلحة، فاسد التدبير، وليس أهلاً لأي عقد أو تصرف قولي، لعدم اعتبار عبادته؛ إذ لا يترتب عليها أي أثر شرعي.

ويشترطون فيه الرشد؛ لأن السفيه محجور عليه في إدارة امواله، وأموال غيره بالأوْلى. وأما عن كفاية الناظر[٤]؛ فهي من الشروط العامة في الوظائف والولايات لا فرق في ذلك بين الولاية على الوقف وغيرها، وهي من الشروط المهمة التي ينبغي توافرها في الناظر، حتى يتاتى له القيام بمهامه على الوجه الأكمل. ولما كانت الولاية على الوقف تدخل في باب التعاون على البر والتقوى، ولا ينهض بحمل ثقلها إلا الأمين القوي، فإن

(١) الكندي: تاريخ القضاة، ص ٢٤٤.

(٢) المقريزي: الخطط ٤/٨٣ نقلاً عن محاضرات في الوقف لأبي زهرة، ص ١٣. والربع الدار، جمعها رباع وربوع، كما جاء في القاموس المحيط.

(٣) انظر محمد محمد امين: تاريخ الأوقاف في مصر في عهد السلاطين المماليك؛ ومحمد عبيد الكبيسي: احكام الوقف في الشريعة الإسلامية ص ٢٩ وما بعدها.

(٤) المقصود بالكفاية قوة الشخص وقدرته على التصرف فيما هو ناظر فيه: انظر الخطيب الشربيني، مغني المحتاج ٢/٣٩٣. وانظر د. محمد المهدي: كيف تنجح مؤسسة الوقف، الوعي الإسلامي، العدد ٤٦٨ الكويت عام ٢٠٠٤م.

الفقهاء يرون أن الأمانة من الشروط المطلوبة في اختيار النظار، فهي لا تقل أهمية عن شرط الكفاية. قال - تعالى -: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]؛ فبهذا الشرط نضمن سلامة الوقف من السرقات وما ينجم عن ذلك من تبعات، كما أننا نضمن وصول المنافع والغلل إلى ذويها كاملة.

كما يضيف الفقهاء شروطاً أخرى لا غنى عنها مثل العدالة والإسلام. وليس للناظر أن يفعل شيئاً من أمر الوقف إلا بمقتضى المصلحة الشرعية، وعليه ان يفعل الأصلح فالأصلح، كما هو الشأن في وصي اليتيم؛ فإن هذا الأخير وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله، عليهم أن يتصرفوا بالأصلح فالأصلح، قال - تعالى -: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ولذلك ينبغي على الناظر «أن يتحرى في تصرفاته النظر للوقف والغبطة(*)؛ لأن الولاية مقيدة به»(١)، ومن مظاهر التصرف وفق المصلحة الابتعاد عن الإسراف والتبذير لأموال الوقف.

● وقف الكتب والمكتبات:

وكأنموذج من أنماط الوقف الإسلامية التي ساعدت على ازدهار العلم والثقافة في العالم العربي والإسلامي في العصور الوسطى، الكتب والمكتبات، ويعد وقف الكتب الأساس الذي قامت عليه المكتبة العربية، وهو يشمل وقف المكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس والمساجد والمشافي والمراصد والرُّبُط والخانقاهات. كما كان هناك نوع من الوقف يتمثل في وقف كتب عالم بعد وفاته على أهل العلم أو على ورثته، واهتم واقفو المكتبات المستقلة أو تلك التي كانت في مدارس أو مساجد بتوفير دخل مادي ثابت لها لصيانتها وترميمها، وتحمُّل التكاليف المادية للعاملين فيها، وخصص بعضهم ريعاً يساعد على نماء المجموعة وازدهارها عبر السنين.

وانتشرت خزائن كتب الواقفين في أجزاء العالم الإسلامي منذ القرن الهجري الرابع، وأصبحت تلك المكتبات قبلة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد، وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أصقاع العالم الإسلامي، وبلغ من انتشارها أن (أبا حيان النحوي) كان يعيب على من يشتري الكتب ويقول: «اللهُ يرزقك عقلاً تعيش به، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف»(٢).

وللدلالة على ضخامة عدد المكتبات الوقفية وشيوعها، نشير إلى أنه كانت في مدينة (مرو الشاهجان) خزائن للوقف، وذلك في القرن السابع الهجري، يقول عنها (ياقوت الحموي): «لم أرَ في الدنيا مثلها كثرة وجودة، منها خزانتان في الجامع إحداهما يقال لها «العزيزية» وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر الزنجاني. وكان فقاعياً للسلطان سنجر.. وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها، والأخرى يقال لها «الكمالية».. وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعيد محمد بن منصور في مدرسته، وخزانة نظام الملك الحسن بن إسحق في مدرسته للسمعاني، وخزانة أخرى في المدرسة العميدية، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها، والخزائن الخاتونية في مدرسته، والضميرية خانكاه هناك، وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثره بغير رهن، تكون قيمتها مائتي دينار، فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها، وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد، وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته، فهو في تلك الخزائن»(٣).

وهناك مئات من العلماء والمفكرين والأدباء قد وقفوا كثيراً من الكتب والمكتبات الكاملة أحياناً، نطالعها في معجم الأدباء لياقوت الحموي، وكتاب سِيَر أعلام النبلاء للذهبي، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني. ويقول الدكتور «يحيى محمود بن حيدر»(٤): وتحمل النصوص الوقفية على الكتب في الغالب معلومات تدل على عمق الحرص على هذه الظاهرة والاهتمام باستمرارها بوصفها وسيلة من وسائل توفير العلم لأبناء المجتمع؛ فمن ذلك تعيين ناظر يتولى التصرف في الكتاب وإتاحته للمستفيدين، وعدم حجزه أو منعه، والتشديد على من قد يتصرف في تغيير صفة الوقف عنه، وفي بعض الأحيان السماح بإعارته مدة محددة، كما أن بعض نصوص الوقف فيها ما يدل على تراجع عن التصرف في كتاب وقفي، وإعادة صفة الوقف إليه مرة أخرى، نزولاً على الحق، مما يدل على احترام المجتمع لهذه الظاهرة والحرص عليها.

● الحفاظ على قيمة الوقف واستثماره:

ولا ننسى أهمية الحفاظ على قيمة الوقف وعدم إهمال تنميته ورعايته؛ وذلك بالحفاظ على العقارات وما في حكمها من منشآت يتم بالصيانة والرعاية وعدم الإهمال، خاصة حين يكون الوقف أشجاراً ونباتات تحتاج إلى رعاية شاملة. وأما النقود فيكون الحفاظ عليها بوضعها في أوعية استثمارية عالية مضمونة القيمة، بعيداً عن التضخم وتقلبات الأسعار أو

(*) الغِبْطة: هنا بمعنى: حُسْن الحال.

(١) الونشريسي: المعيار المعرّب ٧/٢٥٨.

(٢) أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس ج ٢ ص ٥٤٣ دار صادر ١٩٦٨م.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق أمين الخانجي ٨/ ٣٦ مطبعة السعادة، إلخانجي عام ١٩١٦م.

(٤) انظر كتاب: الوقف والمجتمع، كتاب الرياض العدد ٣٩ مارس عام ١٩٩٧م.

إقراضها للمؤتمنين حسب شروط الواقف. وأما الحفاظ على الحلي المخصص للوقف فيتم عن طريق وضعه في مكان أمين وعدم تسليمه إلا إلى المؤتمنين عند الإعارة.

ومن هنا يرى الباحث «د. علي محيي الدين القره داغي»[1] أن على الدولة الإسلامية أن تضع الأنظمة والأجهزة لحماية أوقاف المسلمين والحفاظ عليها، وهو واجب كذلك على ناظر الوقف ومتوليه، بل على المسلمين جميعاً كل حسب إمكانه وصلاحياته.

وقد نص الفقهاء على إعطاء الأولوية من ريع الوقف لإصلاحه وتعميره وترميمه وصيانته بما يحافظ على قدرته على الانتفاع به، حيث يوجه الريع الناتج من الوقف إلى إصلاحه أولاً ثم إلى المستحقين، حتى إن الفقهاء قد نصوا على أنه إذا شرط الواقف ان يصرف الريع إلى المستحقين دون النظر إلى التعمير؛ فإن هذا الشرط باطل، وقال المرغيناني: «والواجب أن يبتدأ من ارتياع الوقف بعمارته شرط ذلك الواقف، أو لم يشترط؛ لأن قصد الواقف صرف الغلة مؤبداً، ولا تبقى دائمة إلا بالعمارة، فثبت شرط العمارة اقتضاءً».

وقال ابن الهمام: «ولهذا ذكر محمد ـ رحمه الله ـ في الأصل في شيء من رسم الصكوك، فاشترط أن يرفع الوالي من غلته كل عام، ما يحتاج إليه لأداء العُشر والخراج، والبذر، وأرزاق الولاة عليها، والعمالة، وأجور الحراس والحصادين والدارسين؛ لأن حصول منفعتها في كل وقت لا يتحقق إلا بدفع هذه المؤن من رأس الغلة». وقال شمس الأئمة: «وذلك وإن كان يستحق بلا شرط عندنا، لكنه لا يُؤْمَن جهل بعض القضاة فيذهب في رأيه إلى قسمة الغلة؛ فإذا شرط في صكه يقع الأمن بالشرط». ثم قال: «ولا تؤخر العمارة إذا احتيج إليها»[2].

فالواجب هو بقاء الوقف على حالته السليمة التي تستطيع أن تؤدي دورها المنشود، وغرضه الذي أوقفه الواقف لأجله؛ وذلك بصيانته وعمارته والحفاظ عليه بكل الوسائل المتاحة، بل ينبغي لإدارة الوقف (أو الناظر) أن تحتفظ دائماً بجزء من الريع للصيانة الدائمة والحفاظ على أموال الوقف.

أما استثمار الوقف؛ فإن الوقف نفسه استثمار؛ لأن الاستثمار يراد به إضافة أرباح إلى رأس المال لتكون المصاريف من الربح فقط، فيبقى رأس المال محفوظاً بل مضافاً إليه من الربح الباقي ليؤدي إلى كفاية الإنسان وغناه. وكذلك الوقف حيث هو خاص بالأمول التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء أصلها؛ ولذلك فالأشياء التي لا يمكن الانتفاع بها إلا باستهلاكها مثل الطعام، لا يجوز وقفها[3].

ولا شك أن استثمار أموال الوقف يؤدي إلى الحفاظ عليها حتى لا تأكلها النفقات والمصاريف، ويساهم في تحقيق أهداف الوقف الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، والتنموية، إضافة إلى أن الوقف الذي يراد له الاستمرار، ومن مقاصده التأبيد لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال الاستثمارات الناجحة، وإلا فالمصاريف والنفقات والصيانة قد تقضي على أصله إن لم تعالج عن طريق الاستثمار المجزي النافع.

ومواكبة لسُنَّة التطور لا بد من إنشاء أوقاف جديدة وبأشكال قانونية متعددة، ودخولها مجالات حيوية عصرية تحتاجها الأمة الإسلامية، وبأنماط متطورة قد تجاري المؤسسات الخيرية الحديثة المقتبسة من الأنظمة الغربية، وإن كان لا بد أن تخضع لضوابط أساسية مستخلصة من الأحكام الشرعية، ومن تراثنا الفقهي، تساعدنا في تطوير المؤسسات الوقفية، وتحديث أساليب العمل بها، وولوجها مجالات أخرى متقدمة، لتؤدي رسالتها الإنسانية المجيدة.

ولذلك يؤكد الدكتور أحمد شوقي الفنجري أن الإسلام أهدى للبشرية مؤسسة مالية هي مؤسسة الوقف؛ لكن تم تعطيلها في العالم الإسلامي، في حين نهضت في العالم الغربي تحت مسميات أخرى، حيث لا توجد أسرة أوروبية أو أمريكية إلا وتخصص تلقائياً نسبة ٢٪ من دخلها للمنظمات غير الحكومية والجمعيات الخيرية، كما ان رجال المال والأعمال في بلاد الغرب يوقفون من أملاكهم وأموالهم على أوجه البر، مثل الجمعيات والمستشفيات. ومن هنا ضرورة تفعيل دور هذا النوع من الأعمال الخيرية المتمثلة في الوقف والتي يمكن أن تخفف العبء عن ميزانية الدولة التي ارتفع العجز لديها إلى أرقام كبيرة، كما يمكن أن يمتد نشاط الوقف إلى مجالات هامة جداً في العصر الحديث مثل تمويل أبحاث علمية هامة صناعية أو طبية أو تنموية، إضافة إلى تفعيل مشاريع ثقافية هامة، مثل الإنفاق على التعليم، ومحو الأمية لملايين من المسلمين الذين يرزحون تحت وطأة الجهل والفقر والمرض.

● الضوابط الشرعية للاستثمار:

وقد حدد بعض العلماء الضوابط الشرعية لاستثمار أموال الوقف بعدة ضوابط هامة[4]:

(١) د. علي محيي الدين القره داغي: تنمية موارد الوقف والحفاظ عليها، مجلة أوقاف العدد ٧ ص ١٨ ـ ١٩ الكويت، نوفمبر عام ٢٠٠٤م.

(٢) ابن الهمام: الهداية مع فتح القدير، ٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) نقلاً عن د. رفعت العوضي: منهج الادخار والاستثمار، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ص ٧٣.

(٤) د. حسين حسين شحاته: المنهج الإسلامي لدراسة جدوى المشروعات الاستثمارية، دراسة مقدمة إلى بنك فيصل الإسلامي، إدارة البحوث والتدريب عام ١٩٩٢م، وانظر للباحث أيضاً: استثمار أموال الوقف، مجلة الوقف العدد ٦ يونيو عام ٢٠٠٤م، ص ٧٨، ٧٩.

١ ـ المشروعية: ويقصد به أن تكون عمليات استثمار أموال الوقف مطابقة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية؛ حيث يتم تجنب استثمار الأموال الوقفية في المجالات المحرمة شرعاً كالإيداع في البنوك بفوائد، أو شراء أسهم شركات تعمل في مجال الحرام.

٢ ـ الطيبات: ويقصد به توجه أموال الوقف نحو المشروعات التي تعمل في مجال الطيبات؛ لأن الوقف عبادة، ويجب ان تكون طيبة؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

٣ ـ الأولويات الإسلامية: أي ترتيب المشروعات المراد تمويلها وفقاً لسلم الأولويات الإسلامية: الضروريات فالحاجيات فالتحسينات؛ وذلك حسب احتياجات المجتمع الإسلامي والمنافع التي سوف تعود على الموقوف عليهم.

٤ ـ التنمية الإقليمية: فتوجه الأموال للمشروعات الإقليمية للبيئة المحيطة بالمؤسسة الوقفية ثم الأقرب فالأقرب، ولا يجوز توجيهها إلى الدول الأجنبية ما دام الوطن الإسلامي في حاجة إليها.

٥ ـ تحقيق النفع الأكبر للجهات الموقوف عليهم: ولا سيما الطبقات الفقيرة، وإيجاد فرص عمل لأبنائها.

٦ ـ تحقيق العائد الاقتصادي المرضي الذي يمكن الإنفاق منه على الجهات الموقوف عليها: فالتوازن بين التنمية الاجتماعية والاقتصادية ضرورة شرعية في المؤسسات الوقفية.

٧ ـ المحافظة على الأموال وتنميتها: أي عدم تعريض الأموال لدرجة عالية من المخاطر والحصول على الضمانات اللازمة المشروعة للتقليل من تلك المخاطر، وإجراء التوازن بين العوائد والأمان.

٨ ـ التوازن: أي تحقيق التوازن من حيث الآجال والأنشطة والمجالات لتقليل المخاطر وزيادة العوائد، والاهتمام بالاستثمارات القصيرة والمتوسطة والطويلة الأجل.

٩ ـ تجنب الاستثمار في دول معادية ومحاربة للإسلام والمسلمين: وأن تكون الأولوية للاستثمار في الدول الإسلامية.

١٠ ـ توثيق العقود: أي أن يعرف كل طرف من أطراف العملية الاستثمارية مقدار ما سوف يحصل عليه من عوائد أو مكاسب، أو ما يتحمل من خسائر، وأن يكتب في عقود موثقة حتى لا يُحدث جهالة أو غرراً، فيؤدي إلى شك وريبة ونزاع.

١١ ـ المتابعة والمراقبة وتقويم الأداء: للاطمئنان على أن الاستثمارات تسير وفقاً للخطط والبرامج المحددة مسبقاً.

أما في المجالات والمشاريع التي يمكن الاستثمار فيها في العصر الحديث، فهي كثيرة مثل: الاستثمار العقاري، أو الاستثمار في إنشاء المشروعات الإنتاجية، أو الاستثمار في المشروعات الخدمية: التعليمية والطبية والاجتماعية، ومكاتب تحفيظ القرآن، والمستوصفات والمراكز الصحية، ودور الضيافة ودور اليتامى والمسنين والمرضى، ونحو ذلك.

◎ المحاسبة والمراجعة:

ولإنجاح مؤسسة الوقف لا بد من الاهتمام بالمحاسبة والمراقبة باعتبارها صمّام الأمان للاستثمارات الوقفية. والتدقيق في هذه المحاسبة يردع أيادي النُّظَّار المطلقة، حتى يدركوا أن هناك رقابة مرصدة عليهم، فيجنبهم الخوف من نتائجها السير في طريق الاستغلال غير المشروع لخيرات الوقف.

ومسألة المحاسبة هذه ليست أمراً غريباً عن الشرع؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يستوفي الحساب على عماله فيحاسبهم على المستخرَج والمصروف، بدليل ما جاء في الصحيح ان النبي الكريم استعمل (ابن اللتبية) على صدقات (بني سليم) فلما جاء رسولَ الله ﷺ وحاسبه، قال: هذا الذي لكم، وهذه هدية أهديت لي، فقال رسول الله ﷺ: «فهلاً جلستَ في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً!». ثم قام رسول الله ﷺ فخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: إني أستعمل رجالاً منكم على أمور مما ولأني الله، فيأتي أحدكم فيقول: هذا لكم وهذه هدية أهديت لي! فهلاً جلس في بيت أبيه وبيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً»[(١)].

وقد علق ابن حجر العسقلاني على هذا الحديث بقوله: «وفي الحديث من الفوائد أن... ومحاسبة المؤتمن» وفي موضع آخر قال ـ نقلاً عن غيره ـ: «حديث الباب أصل في محاسبة المؤتمن». والملاحظ ان الفقهاء قد درجوا في محاسبة نُظَّار الأوقاف على فرض حسن الظن بهم، وترجيح جانب الثقة على الشك، والعدالة على التهمة، وغلَّبوا رجاء الخير فيهم على توقُّع الشر منهم؛ ولذلك ـ كما يقول الدكتور محمد المهدي[(٢)]: «نجدهم لم يوجبوا المحاسبة في أدوار زمنية محددة، خوفاً من التظنن بهم إلى الزهد في قبول إدارة الأوقاف، فتفوت بذلك المصالح المبنية على هذا الأمر».

ولهذه الاعتبارات جاءت اجتهاداتهم بخصوص أسلوب المحاسبة مختلفة من مذهب لآخر، وأفضل هذه الأساليب ما قرره الإمام ابن تيمية[(٣)] من أنه يمكن لولي الأمر أن ينصب ديواناً لمحاسبة النُّظَّار ويقتطع من أموال الوقف لذلك الديوان ما يستحقه من نفقات مالية للعاملين فيه، ليؤدي عمله على

(١) من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب محاسبة الإمام عماله ٨/٤٦٥.
(٢) د. محمد مهدي: كيف تنجح مؤسسة الوقف، الوعي الإسلامي، العدد ٤٦٨.
(٣) محمد أبو زهرة: محاضرات في الوقف، ص ٣٦١.

الوجه المطلوب... فقد سئل - رحمه الله - عن أوقاف مختلفة على مدارس ومساجد ورُبُط وغيرها: هل لولي الأمر أن يقيم ديواناً لمحاسبة النظار والنظر في تصرفاتهم، ويحقق عليهم ما يجب تحقيقه من الأموال المصروفة والمتبقية؟ فأجاب: نعم! لولي الأمر أن ينصب ديواناً عليهم لحساب الأموال الموقوفة عند المصلحة، وله أن يفرض على عمله ما يستحقه مثله من كل مال يعمل فيه، بقدر ذلك المال واستيفاء الحساب، وضبط مقبوض المال ومصروفه من العمل الذي له أصل»(١).

فهذا النص - وكما يقول الباحث محمد المهدي - يفيد بوضوح تام أن لولي الأمر إنشاء ديوان لمحاسبة النظار، وأن البيان الذي يقدمه الناظر لا بد أن يكون مفصلاً مستوفياً للحساب، لا إجمال فيه؛ ليعرف منه موارد الوقف ومداخيله، ووجوه الإنفاق. ويرى الباحث أن هذا الجواب الذي جاء به ابن تيمية أَوْجَهُ ما قيل في محاسبة النظار؛ لأن فيه احتياطاً يمكن أن يسهم إلى حد كبير في إنجاح مؤسسة الوقف في التطبيق المعاصر، ولا سيما وهو يلتفت إلى صفة الناظر من كونه أميناً أو متهماً.

والديوان بطبيعة الحال لا يحكم بصدق أو تكذيب ما جاء في ذلك الكشف إلا بعد التأكد بالحجج والمستندات، وهذا ما جنح إليه الشيخ (أبو زهرة) حيث رأى ألا يُقبَل من النظار شيء من الصرف للموقوف عليهم أو غيرهم ممن له ولاية على مرافق الوقف ومصالحه، إلا إذا كان معه ما يثبته من أدلة لا شك فيها، ولا مجال للظن في مدى حجيتها، ولا مطعن لطاعن في قبولها، سواء كان الناظر معروفاً بالأمانة أم لا(٢). فمحاسبة النظار يجب ألا تقام على فرض حسن الثقة، بل يجب أن تقام على أساس الاحتراز من الخيانة، وتوقيها قبل حدوثها.

● الوقف ضرورة اجتماعية:

إن الوقف بكونه نوعاً من التمويل الذي جاء به النظام الإسلامي، يمكن الاستفادة منه في تحريك المال وتداوله؛ وذلك لأن الأموال المدخرة عند الأغنياء إذا أوقفوها بحيث تستغل استغلالاً تجارياً يدر ربحاً على الموقوف عليهم، فإننا بذلك الاستغلال التجاري وجهنا جزءاً من المال إلى السوق التجارية، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى زيادة في الطلب، وعندما تحدث الزيادة في الطلب يترتب على ذلك زيادة في الإنتاج لتلبية رغبات الطالبين، وينشأ عن زيادة الإنتاج قلة في التكاليف بالإضافة إلى المنافسة التي تتوجه اتجاهين - على ما يذكر الباحث (أيمن محمد عمر)(٣): تنافس على النوعية، وتنافس على الكمية. هذا التنافس ينتج عنه إقامة هذه المنشآت التجارية مما يترتب على ذلك تشغيل أيدٍ عاملة كانت في السابق تعاني البطالة وقلة العمل، وهذه الأيدي العاملة يتحرك في يدها المال ويصبح لديها احتياجات، فتزيد الطلب على السلع في الأسواق بسبب توفر السيولة النقدية، وهكذا نلاحظ ان العملية أصبحت متوالية ونشطة.

يقول الدكتور شوقي دنيا: «شيوع ظاهرة الوقف في المجتمع الإسلامي والتنوع الكبير في الأموال الموقوفة والجهات الموقوف عليها، ولّد حركة استثمارية شاملة من خلال إنشاء الصناعات العديدة التي تخدم أغراض الوقف، ومن ذلك على سبيل المثال: صناعة السجاد، وصناعة العطور والبخور.. هذه الصناعات خادمة ومكملة، ومن عمل فيها من عمال وفنيين، وما تولد عنها من دخول ومرتبات وأثمان، كل ذلك يعد إضافات مستمرة إلى الطاقة الإنتاجية القائمة، أو بعبارة أخرى: يعد مزيداً من الاستثمارات الإنتاجية، التي تعتبر دعامة لأي تقدم اقتصادي(٤).

وبذلك يكون النظام الاقتصادي الإسلامي في تشريعه للوقف قد حقق عنصر التوازن من خلال التوزيع العادل للثروة بإيجاد مصارف متعددة لتقليب وتدوير المال في الأيدي، وعمل على إعادة دوران لحركة المال، لا سيما إذا أخذنا باعتبارنا أن الفقراء أكثر عدداً من الأغنياء، ومن ثَمَّ سيكون بذلهم للأموال الداخلة عليهم متوافقاً مع عددهم ومتطلباتهم الكثيرة، مما يؤدي إلى تداول المال بين أكبر عدد من المنتفعين(٥).

ولكن يجب توجيه أموال الوقف توجيهاً سليماً نحو المشاريع ذات النفع العام وما يحقق مصلحة المجتمع بأسره؛ فإذا كانت حاجة الأمة إلى نوع محدد من المشاريع، كالمشاريع الزراعية أو الصناعية أو التجارية، كان من الواجب أن توجه هذه الأموال إلى الاستثمار في هذه المجالات ولا سيما أن الوقف يهدف فيما يهدف له توليد دخل نقدي مرتفع، بحيث يضمن فرصاً أفضل لخدمة المجتمع وتلبية احتياجاته على الوجه الأكمل.

ومن المفيد أن ننبه إلى خصوصية مؤسسة الوقف النامي التي تتمثل أساساً في نقدنة Monetisation

(١) المصدر السابق ص ٣٦، ٣٦١.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٣.

(٣) د. أيمن محمد عمر: الوقف ودوره في التنمية الاقتصادية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد,٦، الكويت مارس عام ٢٠٠٥م.

(٤) شوقي دنيا: أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة ص١٣٩، وانظر فاروق بدران، بحوث مؤتمر الإسلام والتنمية ص ١٠٥، أنس الزرقا: الوسائل الحديثة للتمويل والاستثمار، ص ١٨٧.

(٥) انظر فؤاد السرطاوي: التمويل الإسلامي ودور القطاع الخاص، ص ٤٤، بابالي: خصائص الاقتصاد الإسلامي وضوابطه الأخلاقية ص ١٨. نقلاً عن د. أيمن محمد عمر: الوقف ودوره في التنمية الاقتصادية.

الأصول الوقفية بغية استثمارها في مشاريع مربحة وتحقيق عوائد إضافية تساعد على تعزيز التراكم في المصب Accumulation enaval بعد التراكم في المنبع Accumulation en amont الذي يحدث عند تعبئة الموارد الوقفية ابتداء.

ولا ننسى دور الوقف في تنمية رأس المال البشري، والذي يقصد به: كل ما يمتلكه الإنسان في نفسه من مقومات تسهم في النشاط الاقتصادي وتنميته، مثل: الخبرة والمهارة والمعرفة والقدرة البدنية[١]. هذه المقومات التي يقوم عليها رأس المال البشري لا تقل أهمية في التنمية الاقتصادية عن المقومات المالية ولا سيما إذا علمنا أن الفكر الاقتصادي المعاصر عد الإنفاق على التعليم والصحة إنفاقاً استثمارياً. وكما علمنا أن الأوقاف شملت جوانب متعددة بما فيها التعليم والصحة من خلال وقف المدارس ودور التعليم المختلفة، والمصحات والمستشفيات، أو الإيقاف عليها.

ففي مجال الصحة مثلاً كان في المجتمع الإسلامي وقوف عديدة على المستشفيات والمصحات العامة، كفلت لنزلائها العلاج والغذاء وكل ما يُحتاج إليه للمحافظة على صحتهم ووقايتهم من الإصابة بالأمراض، وتجاوز الوقف ذلك إلى وقف المستشفيات التعليمية التي تهدف إلى تطوير الخبرات العملية لطلبة العلوم الطبية، بل بلغ الأمر في بعض المراحل إلى وقف مدن بأكملها على الطب وأهله، خدمة لهم ولمن ينتفع من ورائهم من مرضى ومحتاجين[٢].

ولا شك أن الخدمات التعليمية والصحية وملحقاتها تستهلك نسبة كبيرة من الإنفاق العام، فكان للوقف على الشؤون التعليمية والصحية أثر واضح في تخفيف العبء عن الميزانية العامة للدولة، ولا سيما أن الفئة الكادحة في المجتمع تمثل النسبة العالية من أفراده، وهؤلاء في الغالب يعتمدون على ما توفره لهم الدولة من خدمات تعليمية وصحية، ومن هنا كان الوقف كفيلاً بتحمل جزء لا يستهان به من الخدمات التعليمية والصحية لأفراد المجتمع والتي تعد من أهم مقومات التنمية البشرية التي يسعى المجتمع الإسلامي إلى الارتفاع بها، خاصة مع عدم توفر العلاج الجيد أمام الجماهير الفقيرة من الأفراد. فالمستشفيات والمراكز الطبية الحكومية آخذة في الانكماش من جهة، كما أن خدماتها الطبية متدنية من جهة أخرى، لقلة الإمكانات وسوء الإدارة، كما أن المستشفيات والمراكز الطبية الخاصة (الاستثمارية) باهظة العبء والتكلفة، وهو ما يحول بين الفقراء ودخولها والاستفادة منها. ومن ثم يشيع المرض ويتوطن بين الفقراء، فيضعف من قدرتهم الإنتاجية، ومن ثَمَّ يزيدهم فقراً، فلا مناص من كسر هذه الحلقة المفرغة من اللجوء إلى المؤسسات المدنية والجمعيات الوقفية الخيرية للإسهام الجاد في العلاج وتقديم الخدمات الطبية، ويعتبر الوقف مرشحاً للقيام بهذا الدور الذي طالما قام به في تاريخ الأمة البعيد، والآن يمكن أن تنشأ مشاريع وقفية حديثة ذات طابع خاص.

ومن الأهمية أن نعلم ـ وفي ظل الأوضاع الدولية الراهنة ـ أن العالم الإسلامي المعاصر يعيش تخلفاً خطيراً في التعليم والبحث العلمي، وما يرصد لذلك في موازنات الدول الإسلامية من الضآلة بمكان، وهو الأمر الذي يعمق من التخلف العلمي في هذا العالم، مما يزيد من تخلفه الاقتصادي ويرمي بعقبات كؤود أمام تقدمه وتنميته. واختلال اقتصاد العلم والمعرفة وما يطلق عليه الاقتصاد الجديد للمكانة الأولى في مقومات تقدم الأمم المعاصرة أمر معروف مشهود؛ فكيف تُموَّل هذه المرافق والمراكز البحثية في ظل شح الإيرادات العامة؟ فلا مناص للوقف من القيام بهذه المهمة، وخاصة أن الواقع المعيش للمجتمعات الإسلامية يؤكد أن أكثر فئات المجتمع فاعلية هي تلك التي نالت نصيباً من العلم والمعرفة؛ فالتجار والكتبة والمحاسبون والصيارفة، وغير ذلك من المهن التي عرفتها المجتمعات المتحضرة، هم في غالبيتهم من الطبقة المتعلمة، ولعل نجاحها في قيادة التقدم يرجع إلى أنهم سخروا قدراتهم العلمية لتطوير اعمالهم وصناعاتهم ومهنهم، بما يعود نفعه عليهم بالخصوص إذا صادف موهبة بشرية، ارتقى بها في سلم الإبداع والتطوير.

وهكذا نجد أن الوقف بفاعلية نظامه[٣] قد أوجد إطاراً تكاملياً تضامنياً مشتركاً بين المجتمع والدولة؛ حيث لا يعمل هذا النظام لحساب مصلحة طرف دون طرف آخر؛ فلم يعمل على تقوية المجتمع في سبيل إضعاف الدولة، أو بسط نفوذ الدولة على حساب الحقوق الاجتماعية، وإنما عمل على إيجاد التوازن، بل وتقويته بين المجتمع والدولة، مما كان له الأثر الأكبر في استقرار وقوة الكيان السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة.

(١) د. محمود بو جلال: دور المؤسسات المالية الإسلامية في النهوض بمؤسسة الوقف في العصر الحديث، مجلة الوقف العدد٧، الكويت ص ١١٦ نوفمبر عام ٢٠٠٤م.

(٢) انظر شوقي دنيا: أثر الوقف في إنجاز التمية الشاملة، ص ١٣٦.

(٣) انظر إبراهيم البيومي: فاعلية نظام الوقف في توثيق التضامن بين المجتمع والدولة في دول الخليج العربي، ص ٨، ٩، وانظر د. أيمن محمد عمر: الوقف ودوره.



الدعاة بين التحديد والتأطير

ماجدة محمد شحاته
almajedh@yahoo.com

■ مخطئٌ من يظن براءة أي منظومة دعوية من أي عيب، أو خلوها من أي خلل أو دخن، بدءاً من القيادة حتى قاعدة المثلث الهرمي الذي يمثل المنظومة بكل صفوفها؛ إذ إن ذلك يجافي الفطرة وطبائع الأشياء.

قد تتباين الأخطاء والعيوب في كمِّها وحجمها، ولكن تبقى هذه الحقيقة التي لا بد أن نعيها بصدر رحب يتسع لقلم ناقد، وعين ناقدة، ولسان آخذ، أولاً: على مستوى أفراد المنظومة، وثانياً: على مستوى الآخر. فليس هناك من هو مبرأ من العيب، ولا يوجد من هو مكتمل الأخلاق كامل العقل، فمن كلٍّ يُؤخذ ويُرد إلا المصطفى ﷺ. وليس معنى تكامل المنظومة الدعوية في أن قيادتها، أو صفوفها العليا والدنيا تتساند فيما بينها بحيث يسد كلٌ فراغاً في جانب من الجوانب، حتى تبدو في صورتها النهائية خلْواً من الخلل والنقص، ليس معناها أن المنظومة تصبح عصيّة على النقد، أو يصبح أفرادها - اتكالاً على ذلك - فوق النقد والأخذ والرد.

إن المسيرة الدعوية ما لم يسلِّم أفرادها بحقهم جميعاً في التعبير عن رؤاهم الناقدة، وحق الآخر في مؤاخذات نافذة، فإنها بلا شك راكدة؛ وإن ظن الكثيرون أنها تسير بلا معوق... وأنها ماضية إلى بر أمانها.

وما ركودها إلا لانغلاقها على وجوهٍ بعينها يُطَمئن بعضهم بعضاً ألا مساس بالدعوة، وهي في مسيرتها إنما تلفظ فاعلية أخرى، ووقوداً فاعلاً لظنها خطر الرأي الجريء، والمبادرة الشجاعة تلفظ طاقات كان لا بد من توظيفها، وإن كان فيها جرأة على رأي، طاقات لا بد من استثمارها لتجري بها دماء جديدة؛ إذ في طموحها علو همة، وفي تصوراتها سمو فكرة، كان يمكن تأطيرها لا تحديدها؛ لتنطلق وفق إطار منظم نحو فكر مبدع وعقل محلق، ففرق كبير بين التحديد والتأطير، الأول: منطلقه العداء النفسي لطاقة متميزة يراد لها أن تخمد، فلا يكون لها وجود يفرض نفسه.

والثاني: يثق بنفسه، ولا يهمه إلا أن تتسع دائرة المشاركة، وأن يصبح الجنود جميعاً بخصال القواد وملكاتهم، لذا فهو يريد للطاقة أن تؤطر فلا تنحرف، يريد لها أن تنطلق بلا نزق أو تهور، يريدها أن تعلو في غير جنوح يُردي، أو طموح إلى فساد واستعلاء قد يُفضي إلى خسار.

■ التحديد: إيقاف للمد؛ لأنه على غير الرغبة، والتأطير: إطلاق للمد على عين تبصر، ووعي يرقب ويوجه.

■ التحديد: إعلان عن إفلاس فكري وعقلي وأخلاقي، والتأطير: بيان عن سمو نفسي يرجو الخير للناس جميعاً.

■ التحديد: انغلاق على الفكرة من غير تجديد، والتأطير: انفتاح من غير تحديد.

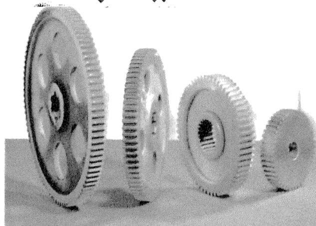
■ التحديد: يؤدي إلى التهميش، ورفض الآخر؛ وربما قتله واغتياله معنوياً، والتأطير: يؤدي إلى التفريخ، واستقطاب الآخر، وربما استعماله واستمالته.

■ التحديد ركود بالمنظومة حتى تتوقف فلا تجد من يحركها، فإذا حُرِّكت احتاجت إلى جهد كبير لا يملكه ساعتها ولو آحاد من أفرادها.

■ التأطير سير بالمنظومة هادئ متزن، قد يكون بطيئاً؛ لكنه أكيد في فاعليته؛ إذ يضم كل يوم كل ذي طاقة متميز. وبينما يعالج الخلل ويرسخ قيم الاستعلاء على النفس والذات نجد التحديد لا يعترف أو يقر بخلل، فهو يعمق الغرور من خلال ثقة كاذبة بفكرة مبهرة لكنها حُملت على أكتافٍ ظنت أنها وحدها الجديرة بها، وما سواها إنما يريد بها شراً، وما تدري أنه في مرحلةٍ ما لن تجد أكتافاً أخرى فلا تندثر؛ لأنها بالفعل مبهرة؛ إذ يلتقطها مؤمن بها، فيبعث فيها الروح من جديد وفق ضوابط أخرى، ومنهجية أكثر سعة، وأكثر إيماناً بجدوى المشاركة وتفعيل الطاقات بعيداً عن الخصوصية وحب الاحتكار.



غياب ثقافة (الموارد البشـ



محمد يحيى مفرح

Mym_muf@hotmail.com

○ مدخل عبر الواقع:

ليس لدى الكثير من الجهات الخيرية المتميزة إدارة خاصة بالموارد البشرية تهتم بالعنصر البشري قبْل دخوله إلى الجهة الخيرية من خلال ممارسة وظائف معينة مثل: توصيف الوظائف، وتخطيط القوى العاملة، والاختيار. كما تهتم بالعاملين أثناء وجودهم بالجهة الخيرية من خلال ممارسة عدد من الوظائف الأخرى أهمها: الأجور والحوافز والتدريب والترقية وتقويم الأداء. كما تهتم بالوظائف المتعلقة بترك العمل كالفصل أو الاستقالة أو الوفاة.

لا شك أن كافة أنشطة الجهات الخيرية وإداراتها تدار بواسطة الأفراد؛ ولذلك فهؤلاء الأفراد (موظفين ومتطوعين) لا بد أن يكونوا على مستوى مرتفع من الكفاءة حتى يمكنهم النهوض بأعباء هذه الإدارات، وممارسة أعمالهم بفاعلية. وقد أضحت كل أدبيات الإدارة المعاصرة تشير إلى أن نجاح أي منظمة إنما يبنى - بعد توفيق الله - على مورد بشري فعّال ذي مهارات ذهنية قادر على أن يواكب التطورات والتغيير السريع.

○ الأهداف الرئيسية لإدارة الموارد البشرية:

١ - رفع مستوى إنتاج العاملين من حيث الكمية، أو الجودة، أو كليهما.

٢ - العمل على زيادة درجة رضا الأفراد العاملين عن العمل، وتحسين علاقتهم بالإدارة، وتحسين علاقاتهم ببعضهم من خلال معاملة الجميع بعدالة وموضوعية؛ مما يؤدي إلى رفع الروح المعنوية.

٣ - تحقيق التكامل والتوازن بين الهدفين السابقين (حيث ينشأ بينهما الكثير من التعارض).

◎ اختصاصات إدارة الموارد البشرية في الجهات الخيرية:

١ - العمل على توفير الطاقات اللازمة للعمل، وتوظيفهم بما يتناسب مع قدراتهم ومؤهلاتهم، وهو الأمر الذي تحتاجه كثير من الجهات ذات المشاريع الطموحة والرائدة التي لا تجد من يشرف عليها.

٢ - العمل على تهيئة أفضل الظروف الملائمة للعمل (بيئة العمل المادية) حتى يبذل الموظفون قصارى جهدهم لزيادة الإنتاج.

٣ - تشخيص الروح المعنوية ودرجة الفاعلية للموظفين من خلال البحوث والملاحظة، واقتراح الأساليب الفعّالة والمناسبة للتعامل معهم.

● لماذا نريد نشر هذه الثقافة؟

أولاً: لأن الجهات الخيرية بحاجة ماسة في هذه الفترة بالذات - حيث الأحداث والتقلبات المتتابعة - إلى نوعية خاصة ومتميزة من العاملين والمتطوعين لا تشغلهم مشاكل العمل عن أهدافه، بل يعينهم العمل على إطلاق قدراتهم وإبداعهم لمواجهة الواقع ذي الإيقاع السريع.

ثانياً: لأننا نرى الكثير من الجهات الخيرية قد بدأت - بفضل الله - خطوات مباركة وكبيرة وواضحة في مجالات مهمة، ولكنها لم تأت في إطارها الصحيح المتكامل، وأبرز مثال على ذلك اهتمام بعض الجهات الخيرية بمجال التدريب في معزل تام عن أي أعمال أخرى تتعلق بنفس المتدرب، مثل: اختياره ابتداء بشكل صحيح للعمل، ثم تقويمه وفق معايير تحدد لاحقاً فيم يجب أن يدرب؟





في الجهات الخيرية

٤ - الاحتفاظ بسجلات منتظمة لأفراد قوة العمل بالجهة تشمل كل معلوماتهم.

٥ - مساعدة الإدارات التنفيذية في كل ما يتعلق بشؤون العاملين (إجازات، وحل مشكلات، وتدريب..)، وتطوير خاص لمديري الإدارات.

٦ - تقديم الرعاية اللازمة (صحية، واجتماعية..) لضمان استقرار العاملين.

٧ - نصح الإدارة العليا فيما يتعلق بالسياسات المطلوبة تجاه العاملين.

٨ - وضع نظام خاص للمتعاونين والمحتسبين بالعمل.

◎ أسباب ودوافع نشوء الفكرة:

أولاً: تعاني الجهات الخيرية من فترة طويلة - ولا زالت - من كثير من المشكلات التي تعيق تحقيق انطلاقة نوعية للنهوض بمستوى الجهات الخيرية، وتحويل أهدافها الرائدة والطموحة إلى واقع ملموس. هذه المشكلات تنصب في كثير منها حول العاملين أو المورد البشري للجهة. وفيما يلي محاولة استقصاء لهذه المشكلات:

١ - مشكلة ضعف ولاء العاملين في الجهة الخيرية، ويترتب عليه عدة مشكلات منها: عدم عنايتهم بتوفير التكاليف، أو تسويق أنشطة الجهة، وإحضار الدعم لها، وانتقالهم للعمل في مكان آخر متى سنحت الفرصة.

٢ - عدم وجود نظام، أو سلّم للرواتب والبدلات بشكل عادل ومريح للإدارة التنفيذية والعاملين.

٣ - وجود الكثير من الأفكار والمشاريع وعدم وجود كفاءات ذات تأهيل مناسب لتحمل مسؤولياتها.

٤ - مشكلة اشتراطات الأنظمة الرسمية حول العاملين (مثل: توطين العمالة).

٥ - مشكلة انعدام روح الإبداع والتجديد في الأنشطة والمشاريع.

٦ - انعدام روح المبادرة لتحمل المسؤوليات وأعباء المهام.

٧ - المشكلات المتعلقة بالمتطوعين (غير الموظفين) مثل: البحث عن الأفضل، توظيف الطاقات، ضمان الالتزام، تحديد المهام التي يمكن تكليفهم بها، متابعة إنجاز المهام، المحافظة على انتمائهم.

٨ - عدم وجود نظام عادل للحوافز (المادية والمعنوية والفردية والجماعية..).

٩ - عدم وجود توصيف وظيفي يساعد في ضبط أمور العمل، وتقويمه، ومتابعته.

١٠ - عدم وجود نظام تقويم دقيق وعادل يساعد في تطوير العاملين، وإنجاز الأهداف بشكل جيد.

١١ - ضعف علاقات العاملين ببعضهم؛ ومن ثم ضعف عملهم بروح الفريق الواحد بشكل جماعي يكمل بعضه بعضاً.

١٢ - مشكلة عدم وجود فرق عمل متجانسة للمهام والمشاريع، وعدم وجود جهة مسؤولة عن شحذ روح الفريق في بيئة العمل بشكل إيجابي.

١٣ - عدم إمكانية وضع خطة واضحة لترقية الموظفين (خطة التطور الوظيفي).

١٤ - عدم وجود برامج تدريب تلبي الاحتياجات الحالية والمستقبلية لتطوير الجهة.

١٥ - ضعف تخطيط القوى البشرية المطلوبة، فتجد أعداد العاملين أكثر من اللازم؛ مما يسبب هدراً وفوضى، ووجود فراغ لدى بعض العاملين في بعض الأحيان، أو أقل من اللازم؛ مما يسبب ضغطاً على الموجودين واستياءً نفسياً ينشأ عنه ضعف إنجاز واهتمام بالصغائر فقط.

١٦ - عدم وجود برامج رعاية تعتني بالموظفين في نفس الجهة مثل: برامج رعاية صحية (خصومات أو تأمين)، وبرامج اجتماعية (تهنئة أو مواساة أو برامج للعوائل)، وبرامج تعليمية للأبناء.

١٧ - انشغال الإدارات التنفيذية والعليا بكثير من مشاغل ومشكلات الأفراد.

١٨ - تأخر حل مشكلات العاملين التي تقع بطريق الخطأ مثل: تأخر نزول راتب أحد الموظفين.

١٩ - مشكلات الحضور والغياب ومحاسبة الموظفين على التأخر، وعدم تعويضهم عن الوقت الزائد الذي يتطلبه العمل.

٢٠ - عدم العناية بشكاوى العاملين، واقتراحاتهم، وأفكارهم، خاصة العاملين في المستويات الدنيا.

٢١ - عدم وجود برامج خاصة للتنمية الذاتية لدى العاملين مثل: مكتبة شخصية، مجلات وإصدارات دورية، بريد إلكتروني وإنترنت.. إلخ.

٢٢ - مشكلة عدم وجود بيئة عمل مادية تساعد الموظف في إنجاز ما يتطلبه عمله بفاعلية.

٢٣ - مشكلة عدم وجود صلاحيات كافية للموظف حتى ينجز أعماله ومسؤولياته.

٢٤ - مشكلة عدم وضوح الأهداف العامة للجهة الخيرية عند كل العاملين، وعدم اطلاع الموظفين على المعلومات الهامة والمستجدة.

٢٥ - مشكلة عدم وجود أنظمة واضحة للعقوبات، والخصومات، وإنهاء الخدمة.

٢٦- مشكلة صعوبة الاستغناء عن العاملين ذوي الكفاءة المتدنية لأسباب إنسانية.

٢٧ - مشكلات التحيز في التوظيف، وتحديد الرواتب، وإعطاء الميزات.

٢٨ - مشكلة عدم وجود تغذية راجعة مباشرة تساعد على تعديل السلوكيات الخاطئة، خاصة للمديرين مثل: سوء تعامل بعض الرؤساء مع المرؤوسين، وعدم التفويض بشكل سليم.

٢٩ - مشكلة غياب كثير من المعلومات الهامة عن كثير من العاملين بلا مسوِّغ.

٣٠ - مشكلة عدم اكتشاف طاقات العاملين، وتفجير مكامن الإبداع، ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب وفق نظام مرن لا يخل بالعمل.

٣١ - مشكلة عدم العناية بالمتميزين، والمحافظة عليهم، وتطويرهم لخدمه الأهداف الكبيرة.

إن جميع هذه المشكلات وما يترتب عليها ترتبط في كونها جميعاً تتعلق بالعنصر البشري الذي يعمل في الجهة الخيرية. وتوجد هذه المشكلات في الجهات المختلفة بنسب مختلفة، ولنا أن نتخيل كم يتسبب وجودها في تعطيل إنجاز الأهداف الحقيقية للجهات الخيرية، وإشغال المسؤولين فيها؟

ثانياً: تفتح الجهات الخيرية أبوابها لسد احتياجات خيرية موجودة في المجتمع (دعوة أو إغاثة أو تعليم أو تربية..)، ولا تنتبه أنها تفتح أبواباً أخرى بوجود عاملين لديها يقاسون ظروفاً غير جيدة، ولا يجدون من يساعدهم في حلها.

ثالثاً: مفهوم خاطئ:

يعتقد بعض الناس أن كل المشكلات المتعلقة بالعاملين في الجهات الخيرية إنما هي بالدرجة الأولى مشكلة مالية (انخفاض رواتب أو بدلات أو حوافز مادية..)، ومن ثم فحلُّها الوحيد هو تجاوز هذه المشكلات، وهذا غير متاح لكثير من الجهات الخيرية نظراً لمحدودية الموارد. ولكن الدراسات والواقع يؤكدان أن جملة كبيرة من هذه المشكلات لا تتعلق بتاتاً بالجانب المادي، بل هي بالدرجة الأولى متعلقة بما فطر عليه كل إنسان من حب التقدير وإرضاء الذات بإنجاز العمل الذي يليق به، والشعور بأنه يعامل بعدالة ضمن المنظمة والأفراد الذين يعمل معهم، وهذا ما تعتني به الموارد البشرية.

رابعاً: أصبحت كثير من الجهات الخيرية - بفضل الله - تهتم بنوع من القضايا لم يكن الاهتمام به قائماً إلى فترة قريبة سابقة، من أبرز هذه القضايا ما يتعلق بتدريب الموظفين والاستفادة من المتطوعين، ولكن هذا الاهتمام وهذه الجهود قد لا تؤتي أكلها ما لم تأت متناسقة في إطارها الحقيقي الكامل، وهو إطار تكامل أعمال الموارد البشرية، وهو أمر يحتاج إلى تفرغ وتخصص.

الوضع الحالي في الجهات الخيرية:

هناك جهات خيرية كبيرة واسعة النشاط تملك إدارة خاصة للشؤون الإدارية تقوم بجزء من مهام الموارد البشرية، ولا تقوم بجزء كبير وهام آخر، بل هي مشغولة غالباً بالقضايا الإدارية البحتة.

وهناك جهات خيرية صغيرة يتولى العمل فيها نفس المسؤول الرئيس، أو أحد المساعدين بشكل ارتجالي، وحسب الاحتياج وفي غياب كثير من مهام الموارد البشرية.

وهناك جهات خيرية لديها إدارة خاصة للموارد البشرية، أو التدريب، أو المتطوعين يديرها أشخاص غير متخصصين ولا متفرغين، ومن ثم فهم منغمسون في الأعمال العادية، ومشغولون عن جوهر إدارة الموارد البشرية.

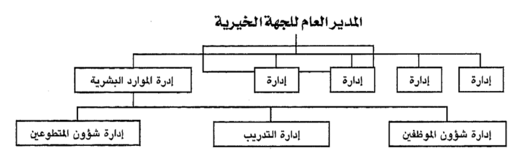
وإجمالاً فليس هناك جهات ستبدأ من الصفر على الغالب، لكن هناك حاجة للمزيد من الجهود المرتبة.

وظائف إدارة الموارد البشرية في الجهات الخيرية:

وظائف	إجراءات
تحديد الاحتياجات الوظيفية	حصر الوظائف الحالية - وضع نموذج خاص يعبأ عند الرغبة في استحداث أي وظيفة جديدة للجهة الخيرية - تحديد الاحتياجات المستقبلية المبنية على التخطيط الاستراتيجي.
تحليل الوظائف	توصيف الوظائف - توصيف شروط العاملين بهذه الوظائف - توصيف احتياجات إنجاز هذه الوظائف - توصيف مميزات القائم على كل وظيفة.
الاستقطاب	سياسة خاصة بالاستقطاب للعمل في الجهه الخيرية - نماذج خاصة يملؤها المتقدمون - نظام مقابلات شخصية - نظام اختبارات التوظيف - نظام قواعد بيانات.
الاختيار والتعيين	الاختيار من داخل الجهة - من خارج الجهة.
الإعداد والتهيئة للعمل	تعريف الجديد بكل ما يتعلق بالجهة الخيرية - تعريفه بكل ما يتعلق بالعمل المطلوب - وبرنامج لدمجه مع الجهة والإدارة.

وظائف	إجراءات
الإشراف والتوجيه	تحديد المرجعية الإدارية - الاتفاق على المعايير - آلية المتابعة .
التفويض والتمكين	ضمان إعطائه المسؤوليات والصلاحيات اللازمة لإنجاز العمل .
تهيئة بيئة العمل المادية	توفير الدعم الكافي لإنجاز المهام (مثل : مكتب ، وأجهزة ، . .) .
تقييم الأداء باستمرار	حفظ سجلات معلومات العاملين - تحديد معايير الأداء بدقة - قياس الأداء الفعلي .
المساءلة والعقوبات	وضع نظام عادل لمساءلة العاملين ، وتحميلهم الأخطاء ، واتخاذ الإجراءات .
التدريب	سياسة واضحة مبنية على سد الاحتياجات الحالية والمستقبلية .
النقل والترقية	سياسة واضحة للترقية على أساس الكفاءة فالأقدمية ـ سياسات مرنة لنقل العاملين بما يحقق المصلحة بشكل أكبر .
التحفيز	الحوافز الإيجابية والسلبية ، المادية والمعنوية ، الفردية والجماعية .
التعويض	تقويم الوظائف لوضع سياسة عادلة للرواتب والبدلات - سياسة الرواتب التشجيعية - الرواتب الزمنية والرواتب بالإنتاج .
نهاية الخدمة	الإجراءات - التقاعد - مكافأة نهاية الخدمة - الفصل - الوفاة .
الخدمات المقدمة للعاملين	نشرات خاصة - خدمات اجتماعية - خدمات صحية . . إلخ .
برامج التنمية الفردية	سياسة خاصة لتسهيل تنمية الأفراد معرفياً وفنياً بشكل فردي .
العمل بروح الفريق	دراسة الروح المعنوية السائدة - تنمية علاقات الموظفين بشكل إيجابي بعضهم مع بعض - تنمية علاقات الموظفين بالإدارة - شحذ روح الفريق في الجهة .
أنظمة وإجراءات	متابعة الأعمال التطوعية والمتطوعين ضمن سياسات إدارة الموارد البشرية .
أنظمة موظفي المواسم	أنظمة خاصة ثابتة لموظفي الأنشطة الموسمية ضمن سياسات إدارة الموارد .
أنظمة الأقسام النسائية	أنظمة خاصة ثابتة للعاملات في الأقسام النسائية .

الهيكل المقترح لإدارة الموارد البشرية في الجهات الخيرية:



● فكرة عملية لتأسيس الموارد البشرية في الجهات الخيرية:

إن إنشاء إدارة موارد بشرية بشكل منهجي وعلمي يستلزم وجود خبير وتكاليف ، والمقترح هو تأسيس لجنة مركزية برئاسة شخص ذي اختصاص وخبرة إدارية في مجال الموارد البشرية ، وعضوية أفراد من عدة جهات خيرية يرشح كل منهم لإدارة الموارد البشرية في الجهة التي ينتمي إليها . تقوم هذه اللجنة على مدار فترة محددة بتأهيل أفرادها ، وإنشاء إدارة مثالية للموارد البشرية في كل الجهات الخيرية ، مع الاستفادة من عنصر الجماعية في تخفيض كل التكاليف المكنة ودفع أجور الخبراء .

● أوجه استفادة الجهات الخيرية من تطبيق هذه الفكرة:

١ ـ توفير تكاليف الخبراء والمتخصصين في الموارد البشرية من خلال العمل المشترك .

٢ ـ توفير تكاليف الأعمال المشتركة للموارد البشرية مثل : برامج التدريب ، واستقطاب العاملين ، والمقابلات ، وقواعد البيانات ، والاستفادة من المتطوعين .

٣ ـ قوة التفاوض للحصول على تسهيلات وخدمات خاصة للعاملين مثل : خدمات صحية ، واجتماعية ، وتعليمية .

٤ ـ ضمان إنشاء إدارة موارد بشرية مثالية بشكل مستقر ومستمر لا يتأخر بسبب الأحداث الداخلية في الجهة الخيرية والانشغالات الطارئة .

٥ ـ تخفيف العبء الإداري عن الإدارة العليا في الجهات الخيرية .

التفاؤل.. حياة

فيصل بن علي البعداني
albadani@gawab.com

(أنا محبَط، فاقد للثقة بإمكانية نهوض أمتنا وخروجها من حالة الغيبوبة الراهنة!!

لا أتوقع أن بوسعنا فعل شيء أمام هجمة أعدائنا الشرسة؛ إذ إن أمتنا ممزقة، وغير قادرة على تجاوز ضعفها؛ فكيف بقياد البشرية وهدايتها؟!

أمتنا مشلولة، وسيطرة الغرب وربائبه على كل عوامل القوة ومنطلقات النهوض محكمة.

جميع ما يعمله الدعاة والمخلصون أمور ضعيفة أو هامشية، لا تمكِّن من استرداد العزة، والخروج من حالة الغفلة المطبقة.

المتفائلون حالمون يعيشون في أبراج عاجية بعيداً عن الواقع، أو أنهم يخادعون الأمة، ويحاولون إيهام أبنائها بأن بإمكانهم فعل شيء، ولكن هيهات!).

تصدر تلك المقولات ونحوها من بعض شباب أمتنا المخلص الحريص على بعث الأمة واسترداد مجدها، وبخاصة في أوقات الأزمات والمحن ومراحل صولة العدو وهيجانه.

وبادئ ذي بدء لا بد من التسليم بأن أمتنا تعيش أزمة حقيقية، وتمر بأوقات عصيبة، وفترة ضعف بينة؛ فقد ضعف تمسكنا بديننا، وعظمت غفلتنا، وكثر لهونا، وشكك عدونا (الداخلي والخارجي) بالأصول والمنطلَقات، وبث فكره المناقض، ومكَّن للمناهج البدعية الدخيلة على الأمة، وأزهق الأرواح، واستباح الحرمات، ونهب الخيرات، وعمَّق الفرقة، واستهدف بشدة بواعث المجابهة ومقومات النهوض المعنوية والمادية.

ومن حق كل من يعيش همَّ الأمة، ويشعر بمسؤولية نحوها أن يحزن ويتألم، وأن يُكثِر من التضرع والدعاء وسكب العبرات. وليس ذلك مجرد أمر يمكن فعله، بل هو إلى هذا الحد جانب مطالَب به كل صادق غيور.

ولا تعارض بين هذا، وبين ما نحن بصدد تقريره من حرمة اليأس، وبيان خطر الإحباط. ومن ضرورة التفاؤل، ووجوب القيام برفع راية الأمل، ومناداة الدعاة والمصلحين، بل وكافة أبناء الأمة: ذكوراً وإناثاً، شباباً وشيباً إلى الانضواء تحتها، وعدم الابتعاد كثيراً عن ظلالها.

لقد جاء الإسلام حاثّاً على الرجاء والأمل، وداعياً إلى التفاؤل الإيجابي الدافع للانطلاقة والعمل من أجل التصحيح والتطوير، بل إن اليأس والقنوط والإحباط والتشاؤم جوانب ليست بداخلة في نسيج التفكير الإسلامي البتة، مهما أحاطت بالمؤمن الشدائد، وادلهمت الخطوب، وغيم الجو وتلبد.

ونصوص الشريعة شديدة الصراحة والوضوح في هذا الجانب. قال ـ تعالى ـ على لسان نبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ مخاطباً أبناءه: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال ـ سبحانه ـ على لسان خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن رجلاً قال: يا رسول الله! ما الكبائر؟ قال: الشرك بالله، والإياس من رَوْح الله، والقنوط من رحمة الله»[1]، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله»[2].

ولذا نجد التفاؤل، والثقة بموعود الله ـ تعالى ـ وحسن الظن به ـ سبحانه ـ أصل راسخ، وسِمَة ثابتة، ومَعْلَم بارز، قوي الحضور في حياة نبينا الكريم ﷺ؛ وشواهد ذلك في السيرة العطرة أكثر من أن تُحصَر، ومن ذلك:

حديث خباب بن الأرتّ ـ رضي الله عنه ـ حين جاء بعض الصحابة الكرام إلى النبي ﷺ في صدر الإسلام، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، يستنصرونه، ويشكون إليه الحال، وقد كانوا في فترة يُضربون فيها، ويُجوَّعون، ويُعطَّشون، حتى ما يقدر أحدهم أن يستوي جالساً من شدة الضر، فأنكر ﷺ عليهم استعجالهم الفرج، ووجَّههم إلى الصبر الآمل الفاعل،

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٢٧٩، وفي إسناده نظر، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٢٩٤ (رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجاله موثوقون)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٠٥١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٩٧٠١)، وقال ابن كثير في تفسيره: ٢/ ٢٧٩: (وهو صحيح بلا شك إليه).

الذي يستمر صاحبه في المدافعة، ويبادر بجد ونشاط وحزم إلى تجاوز الأزمة، ومواصلة الدعوة والتربية والعمل، والاجتهاد في الأخذ بأسباب النصر والتمكين، مهما اشتدت الوطأة، وعظمت المشقة، وتفاقمت المحنة، وطال زمن الإصلاح والتغيير، قائلاً: «كان الرجل فيمن قبلكم، يُحفَر له في الأرض، فيُجعَل فيه، فيُجاء بالمنشار، فيوضَع على رأسه، فيُشقّ باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه. ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

وفي طريق الهجرة، وهو ﷺ طريدٌ مُهْدَر الدم، نجده في غاية الثقة والاطمئنان، فيقول لأبي بكر - رضي الله عنه - حين قال له - وهما مختبئان في الغار -: «يا رسول الله! لو أن أحدهم رفع قدمه لرآنا، فقال ﷺ: يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[2]، ونجده يخاطب سراقة بن مالك أحد متعقبيه، الطامعين في قتله أو أسره قائلاً له: «كيف بك إذا لبست سوارَيْ كسرى؟»[4].

وفي الخندق، وهو ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - محاصرون في المدينة من الأحزاب، من كل صوب، وأحدهم لا يأمن على نفسه حين يذهب إلى الغائط، ويمكث ﷺ من الفاقة ثلاثاً بدون طعام مع ضخامة الجهد المبذول في حفر الخندق، ومشقة العمل، وقيامه بترتيب شؤون الناس وإعدادهم للنزال، وحمله همّ الولوج في معركة فاصلة، تداعى لها الأعداء من كل حدب، وحال المؤمنين كما وصف ربنا - تعالى -: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠]، نجده ﷺ يبعث الطمأنينة في نفوس أصحابه الكرام، ويعمق ثقتهم بالله - تعالى - ويستنبت التفاؤل والأمل في دواخلهم، فيقول ﷺ: «أعطيت مفاتيح الشام... أعطيت مفاتيح فارس... أعطيت مفاتيح اليمن»[4].

وما ذاك منه ﷺ إلا إدراك لخطورة الإحباط، والشعور بالخيبة، واعتقاد العجز؛ إذ تُقتَل الإرادة، ويُقضَى على المبادرة، ويُزرَع القلق والجزع، ويحدث الاضطراب والتوتر، ويُحال بين المرء وبين الجد والمثابرة، إضافة إلى ما يتضمنه ذلك من ظن ما لا يليق بالله - سبحانه - وغير ما يليق بحكمته، ورحمته، ووعده الذي سبق لرسله من أن جنده هم الغالبون، وأن أعداءه هم المخذولون.

وفي المقابل يأتي ذلك إدراكاً منه ﷺ لعلو كعب الرجاء، وارتفاع منزلة التفاؤل، وضرورة العيش بنفسية آملة، طامحة بالنجاح، ناشدة تحقيق الأهداف، حسنة الظن بالله - تعالى - واثقة من تنزُّل نصره، وحدوث فَرَجه، وأن الأمر لا يعدو مرحلة استكمال الأمة لما هي مطالبة به من القيام بما عليها من تحقيق متطلبات النصر والابتعاد عن موانع التمكين.

ولوصول المرء إلى هذه الوضعية المنتجة، القادرة على الانطلاق بإصرار وعزم نحو المستقبل، فإن عليه:

- أن يتعرف على الله - تعالى - ومدلول أسمائه وصفاته حق المعرفة؛ حتى يتمكن - واقعاً وسلوكاً لا مجرد دعوى - من إحسان الظن به - سبحانه - والاطمئنان إلى تحقق موعوده - عزّ وجل - الذي تضافرت به نصوص الوحيين، مبشرةً هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين، وأن الله ناصر لجنده، حافظ لأوليائه.

- وأن يقرأ في تاريخ البشرية الطويل، ويطالع سيَر الأنبياء والمصلحين، والذين كانوا يتحسسون في الدجى مفاتيح الفرج وسط أكوام القش، ويثابرون في البحث عنها؛ حتى يكرمهم الله - تعالى - بما نذروا أنفسهم له؛ من هداية أقوامهم، وإخراج أممهم من الظلمات إلى النور، وكيف أن الله - تعالى - كان معهم بنصره وتوفيقه وحفظه، وخذلانه لمن عاندهم؛ فتنكب طريقتهم، وسلك غير جادتهم.

- وأن يتعرف على نفسه الأمَّارة بالسوء: داعية الشر، ومركبة الجهل والظلم، فيجاهدها، ويعيد هندرة[5] حياته بصورة تمكنه من استثمار طاقته، وتركيزها في جانب يبقيه في دائرة الأهم ويجنبه ما دونها؛ من مشتتات النفس، ومبعثرات الجهد والوقت، وملهيات المرء عن القيام بالأعمال الأكثر إلحاحاً وضرورة.

- وأن يبتعد عن الأطروحات المثالية غير القابلة للتنفيذ بمفردها أو بمجموعة الجوانب التي تتكامل معها في دنيا الواقع، وينتقل للعيش في بيئة يقوم فيها بعمل أفضل ما يمكنه تنفيذه، سواء أكان ذلك بذاته أم من خلال الشراكة مع من يمكنه العمل معهم من إخوانه في حدود الهمم الحاضرة، والإمكانات المتاحة مهما كانت ضعيفة؛ لأن استثمار الفرص المتاحة هو المولِّد للفرص، والمهيئ للمعالجة وقبول النصيحة، وقد جرت سنة الله - تعالى - أن من واصل المضي في دربه الصحيح نحو هدفه قدر على تحقيقه ولو بعد حين.

- وأن يتقي أحاديث اليائسين ومرافقة المحبَطين: زراع الهزيمة، ومطيلي فترة الانكسار وأمد التخلف، ويستعيض عن ذلك بأسر نفسه في محيط أهل المبادرة، ودائرة أهل الإنجاز

(١) البخاري (٦٩٤٣).

(٢) البخاري (٤٢٩٥)، مسلم (٤٣٨٩).

(٣) الإصابة، لابن حجر: (٤١/٣).

(٤) أحمد (١٨٧١٦)، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٣٩٧/٧)، وصححه عبد الحق، كما في تفسير القرطبي (١١٦/١٤)، وضعف إسناده الأرناؤوط.

(٥) الهندرة: الهندسة.

والعمل: وجه الأمة المشرق، وطليعتها المباركة نحو الإصلاح والتغيير.

- وأن يتجنب رسم صورة دونية لقدرات نفسه وأمته، ويدع التركيز على عوامل ضعفها والغفلة عن عوامل قوتها من جهة، ولا يغرق في تضخيم جوانب قوة الأعداء، والتغاضي عن جوانب ضعفهم.

- وأن يفرق أثناء نظراته التقويمية للجهود الخيرة بين آمال التحسين وطموح التطوير، وبين غمط رواد الأمة وطلائع نهضتها المباركة جهودَهم العديدة، وكأن شيئاً من البناء والمعالجة ومقارعة الباطل والخطو نحو النجاح الكبير لم يحدث.

- وأن يحذر في مسيرته من سمات القانطين؛ من سطحيةٍ في النظرة، وتسرُّعٍ في الحكم، واستعجالٍ للنتائج، وحِدَّةٍ في المواقف، وتعميمٍ، وإكثارٍ من القول والتشكي مع تأخرٍ في المبادرة وتقاعسٍ عن العمل، وعدم توازنٍ في التفكير، والقيام بالنظر إلى الأمور والتعاطي مع الأشياء على اعتبارها لا تقبل التفريق والتجزئة، ولا تحتمل المرحلية، ولا يمكن النظر إليها عملياً إلا من خلال زاوية واحدة.

- وأن يتأمل في قوة الإسلام الذاتية وما يتضمنه من نور وبهاء، ويمتلكه من إبهار وجاذبية ونقاء، في مقابل إفلاس المناهج الوضعية والأطروحات التغريبية في علاج مشاكل الإنسانية بعامة، وأمتنا بصفة خاصة.

- وأن يفرح ويستبشر بإقبال الأمة على الإسلام من جديد، واستعدادها حين يُحسِن المصلحون مخاطبتها والقيام بإثارتها للبذل والتضحية في سبيل تمكين دينها والذود عن حياضه من أن يُمَس من قِبَل أعدائها.

- وأن يقوم بنشر ثقافة التفاؤل، وفتح بوابات الأمل، ومد جسور المبادرة والحيوية والنشاط أمام أبناء الأمة لخدمة هذا الدين، كلٌّ في المجال الذي يمكنه ويجد نفسه فيه؛ ليفيض الرجاء، ويعم البِشْر، وتنفرج الأسارير، وتتدفق الحماسة، وتعظم الجدية، وتتبدد ظلمات اليأس والقنوط، مدركاً أن الليل مقدمة الإصباح، والظلمة أول بشائر النور، وأن الجدب يتلوه الغيث، والحياة في أحيان كثيرة لا تنبثق إلا من باطن الأرض الموات.

إن من أهم ركائز الأمل ومتطلبات التفاؤل: سعة الأفق، وبُعد النظر، وطول النَّفَس، والصبر والمصابرة، وإعطاء المعالجة والبناء المدى الزمني الذي يحتاجان إليه، وقد كان ذلك جلياً في حياة من جعله الله - تعالى - أسوة حسنة لنا، وانظر إليه ﷺ وهو في (قرن الثعالب) يمشي مهموماً بعد أن طرده بنو عبد ياليل وآذوه ورجموه حتى أدموه، والملأ من قريش مصممون على منع عودته إلى مكة، وقد جاءه مَلَك الجبال فقال: «إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين»، فأجابه ﷺ، وكله تفاؤل وأمل، وصبر، ورحمة، وبُعد نظر، واستشراف عميق للمستقبل: «بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً!!»[1].

فكن من جيل التجديد: رواد النهوض وصناع التاريخ؛ فإن القانطين هم الضالون، والآيسين هم طائفة التخاذل، وجماعة التشاؤم، وركب الإحباط والعجز، ورافعو راية الاستسلام والهزيمة. لم يستطيعوا بناء الحياة السوية في نفوسهم وفي أجواء أسرهم؛ فكيف يصنعونها لغيرهم؟! وقديماً قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

فهيَّا إلى التفاؤل وقراءة الأحداث والمواقف بنفسية متزنة، ورؤية واعية عميقة، متفائلة غير مغرقة في نظرية المؤامرة؛ فإنه لا سبيل لركوب دروب العزة، والوصول لساحة الكرامة في الدنيا والسعادة في الآخرة إلا من خلال ذلك.

ولنحذر من الغرور والتمني الكاذب الذي يعيش صاحبه في أجواء السذاجة والغفلة، ويكتفي بالتغني بالأمجاد السالفة، ويرى أن كل الأمور خيِّرة، وكأنَّا لا نعيش في أجواء التبعية، وأن أعداءنا لم يعبثوا بقيمنا، ولم يستولوا على مقدساتنا، ولم يزهقوا أرواحنا، وينتهكوا أعراضنا، ويقتطعوا من أراضينا، ويستولوا على خيراتنا.

ودون أن يصاحب تمنيه اندفاع في تلقي العلم، ومثابرة في تقوية الإيمان، وأخذ النفس بالعزم، ودون أن يرافقه اجتهاد في تحصيل جوانب القوة، وامتلاك أسباب النصر، فإن في ذلك من تخدير الأمة، وتعييشها في أجواء التقاعس والغفلة ما يتوازى في أثره مع فعل غارسي أشواك الإحباط والقنوط.

ولْنَتَوَقَّ القيام بزراعة اليأس، واستنبات القنوط في دواخل نفوسنا وأوساط أمتنا؛ إذ لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط هو في ذاته من رحمته - تعالى -[2] ولا أن يُحبِّط الناس ويؤيِّسهم من فرجه - سبحانه - فإن من قال: هلك الناس، فهو مهلكهم وأهلكهم.

ولنتذكر أن تباشير النصر قد بدت، وطلائع الضياء قد بزغت، والنصوص الثابتة وأحداث التاريخ يخبراننا بجلاء أن العسر يعقبه اليسر، وأن الكُرَب متى اشتدت انفرجت، وأن الحادثات متى تناهت فموصول بها الفرج القريب، ولكن أنَّى للمحبَطين الغارقين في دوامة اللحظة، والذين لا يرون إلا في حدود محيطهم الضيق أن يدركوا ذلك فضلاً عن أن يشاهدوه؟!

فاللهمَّ برحمتك وجودك بُثَّ الأمل والتفاؤل فينا؛ فإن حياتنا وركيزة انطلاقتنا في ذلك، وارزقنا بفضلك حسن الظن بك، والثقة بموعودك، والاجتهاد في التمسك بشرعك، والعمل لدينك، ومقارعة أعدائك، إنك على كل شيء قدير.

(١) البخاري (٢٩٩٢).

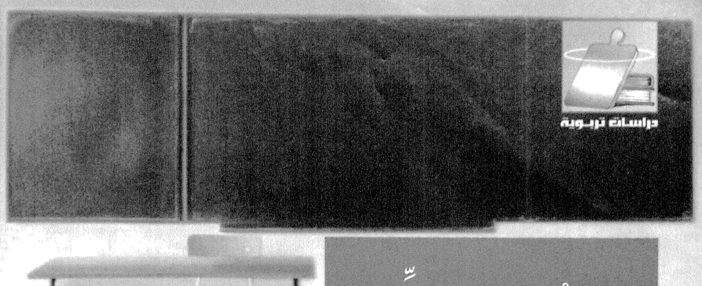
(٢) انظر: فتح المجيد، لعبد الرحمن بن حسن (٣٥٩).

يومك سعيد للأجنحة المفروشة

زرنا مرة
تأتنا كل مرة

- أجنحة واسعة
- جلسات راقية
- مرافق متكاملة
- غرف نوم عائلية
- اكسسوارات
- أسرة مفردة
- برادات ماء
- مطابخ
- التكييف اسبلت
- خصوصية قناة المجد

أبها ـ طريق الملك عبد العزيز الدائري ـ بالقرب من جامعة الملك خالد ـ ت/ ٠٧٢٢٩١٩٨٨



دورُ المعلِّم وآليات عمله

أ. د. مصطفى رجب

قال - تعالى -: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤١ - ٤٥].

إنها خمس آيات تضمّنت إحدى وخمسين كلمة، تخشع أمامها قلوب المؤمنين، وتقشعرُ لسماعها جلود المخبتين، والآيات الخمس تضمُّ فنوناً من التربية متنوعة، وأساليب للدعوة بديعة باهرة.

إنه الإعجاز التربوي للقرآن الكريم في صورة من صوره: صورة الحوار بين مربٍّ وجهول، وعالم وعنيد، ونبي وكافر. إعجاز يقوم على أسس من الإقناع والتبصير ومحاولة تعديل السلوك الخاطئ، مستعيناً في سبيل ذلك بكل ما آتاه الله - تعالى - من حكمة وحسن تقدير.

وفيما يلي تحليل لبعض جوانب هذا الإعجاز التربوي الفذّ في مجال من أهمّ مجالات التربية، وهو ذلك المجال المتصل بأدوار المعلم:

◎ أولاً: استثارة الدافعية:

من المسلَّم به عند التربويين أنه (لا تعلُّم بدون دافعية) فالمعلم مهما بلغ من النبوغ والبراعة، لا يمكنه دفع طلابه إلى التعلُّم إذا ما كانوا عنه معرضين، وفي العلم زاهدين، أما إذا توفر لديهم دافع داخلي يحفزهم فإنهم يُقبِلون على التعليم بعقول متفتِّحة، وقلوب واعية؛ لأن الدافعية تبعث في النفوس طاقة انفعالية، وتتحول هذه الطاقة إلى نشاط محسوس. ويرتهن نجاح المعلِّم في عمله بقدرته على استغلال دوافع تلاميذه من أجل تحريك نشاطهم وتعديل سلوكهم من أجل تحقيق أهداف يحدِّدها لهم.

وقد بدأ أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - حواره مع أبيه بأن وضع له هدفاً يمسُّ حياته مسّاً مباشراً، وهو النفع

أو المصلحة المبتغاة من عبادة الآلهة. فإذا كان الإله الذي يعبده المرء لا يسمع ولا يبصر؛ فكيف يمكنه أن يساعد من يعبدونه؟! أو يحقق لهم نفعاً؟! أو يدفع عنهم ضرراً؟!

بدأ إبراهيم حواره بإثارة النشاط العقلي عند أبيه؛ لكي يحرِّك عنده طاقة انفعالية تجعله يفكر بالصورة الصحيحة في تلك الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر.

◎ ثانياً: استعمال الحوافز:

ينجح المعلِّم بقدر تمكُّنه من استعمال الحوافز مع طلابه، فإذا آنسَ فيهم شروداً، أو عناداً، أو خروجاً على المألوف، أو صُدوفاً عن التعليم، احتال لذلك بما يتوفر لديهم ولديه من حوافز مادية أو معنوية، كأن يعدُهم بمكافأة أو نـزهة أو حفل أو ما شابه ذلك مما تتوق إليه النفوس، وتنشط له الأبدان.

وسيدنا إبراهيم - عليه السلام - بعد أن سعى إلى تنشيط عقل أبيه بالتفكير في جدوى عبادة الأصنام، أدرك أن هذا التفكير عملية عقلية معقدة بالنسبة لإنسان جامد الفكر، فأراد أن يقدِّم له حافزاً يشجِّعه به على المضيّ في عملية التفكير، فأخبره بأن ما منَّ الله به عليه من العلم سوف يجعله في خدمة أبيه، وأن أباه لو أطاعه، وأعمل عقله فيما يعبد، لوصل إلى الحقيقة التي يتهرب منها، وهي أن هذه الأصنام التي ورث عبادتها عن آبائه وجدوده لا تنفع ولا تضرُّ، ولا بد أن لهذا الوجود خالقاً يجلُّ عن التجسيم. وهذا الخالق - جل وعلا - هو الذي رزق إبراهيم العلم.

فسيدنا إبراهيم - عليه السلام - في هذا النداء الثاني: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] يحفز أباه على الدخول معه في دنيا الإيمان الصافي بالخالق القادر.

◎ ثالثاً: بسط الحقائق والتبصير بها:

ومن مهمات المعلِّم أن يبسط أمام طلابه حقائق الموقف التعليمي، ويبصِّرهم بما لتلك الحقائق من أبعاد مختلفة تتصل بهم، وبحياتهم، واهتماماتهم، ومصالحهم، حتى يحقق لهم بذلك البسط والتبصير القانون الذي يسميه التربويون (قانون التعرُّف)؛ بمعنى أن المتعلِّم إذا كان ذا معرفة بعناصر الموقف المراد تعلُّمه، فإن هذا يسهل عليه استيعاب هذا الموقف الجديد والتكيُّف معه. وهذا ما فعله سيدنا إبراهيم - عليه السلام - حين ربط لأبيه بين عبادة الأصنام، وعبادة الشيطان. وهذا أمر قد يغيب عن ذهن ذلك الأب الذي أعماه التقليد عن إدراك حقائق الموقف الجامد الذي يقفه من دعوة ابنه. فهو لا يدرك أن عبادته للأصنام ما هي إلا عبادة للشيطان في الحقيقة؛ لأن الأصنام حجارة لا قدرة لها على التأثير في نفسها ولا في غيرها. أما الشيطان فله سلطان على النفوس الضعيفة، فهو الذي يسوِّل لها، ويزيِّن لها، ويوسوس لها، وقد عصى ربه - سبحانه وتعالى - فمن أطاعه فقد أطاع عاصياً لله، فهو عاصٍ بالتبعية.

◎ رابعاً: التهديد بالعقاب:

ومن شأن المعلِّم إذا أخفق أسلوب التنشيط العقلي، واستعمال الحوافز، وبسط الحقائق، أن يلجأ إلى ما ترتدع به النفوس الشاردة، وترعوي به القلوب الجاحدة، وهو أسلوب العقاب، أو التهديد باستخدام العقاب.

وهذا ما فعله سيدنا إبراهيم - عليه السلام - في نهاية حواره، حين لم يلمح في وجه أبيه اطمئناناً إلى حديثه، ولا ثقةً بحججه، ولا رغبةً في اتِّباعه، فبادرَ بتخويفه من عذاب الله - تعالى - ومن موالاة الشيطان الذي هو عدو لله وعدو للمؤمنين.

وقد أوضحت الآيات التالية من الحوار، ما ردَّ به الأب الجهول على ابنه النبي العالم الصالح القانت الراغب في إنقاذ أبيه، من براثن الجهل، ووهاد الضلال، ودركات التّبعية العمياء: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، وهكذا.. كانت عماية الجهل، وغواية الانقياد الأعمى للموروث الثقافي المتهافت، غشاوةً على عقل الرجل، فلم يستجب لنداء الحق والإيمان، وختم الله على سمعه وبصره وبصيرته فلم يتبين أنوار الهداية التي تذرعت بكل أساليب الإقناع:

- بالدعوة إلى إعمال العقل.
- وبالتحفيز على اتّباع العلم.
- وبشرح أسباب الغواية.
- وبالتخويف من العقاب.

وبالرغم من هذا الجفاء، وتلك الغلظة، لم يفقد سيدنا إبراهيم - عليه السلام - حلمه، ولا أساء الأدب في حواره مع أبيه، ولكنه استسلم لمشيئة هذا التحجر الجاثم على بصيرة الرجل، وقال له في محاولة أخيرة لاستدرار عاطفته وإنذار عقله: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]!!

أين هذا المستوى الرفيع من الخُلُق النبيل؟! إننا نرى في المجتمعات المعاصرة شباباً يتنكرون لآبائهم وأمهاتهم، وفيما تنشره الصحف وتذيعه الإذاعات من قضايا الأسرة ما يشيب لهوله الوِلْدان؛ فهذا شاب أُوتي قسطاً من التعليم يستكبر على أبيه؛ لأن أباه رجل بسيط فقير الحال، فكأنه يتنكر لأصله. وهذا

شاب أبوه غني ولكن الأجل يمتدُّ به، والابن يتعجّل الميراث فإذا به يقاضي أباه أمام المحاكم ويطلب الحجر عليه!! والأكثر بشاعة حين تمتد أيدي الشباب الفاسد إلى الوالدين بالضرب والإهانة.

إن أبا إبراهيم هنا يهدّده بالرجم والطّرد من المنزل.. والابن يرد في حلم العالم وعلم الحليم: ﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]!!

• آليات عمل المعلم التربوية كما تظهر من الحوار:

إن الآيات الخمس على وجازتها تتضمن معالم تربوية يحسن إبرازها في صورة نقاط تتعلق بمهام المعلّم وأدواره وآليات عمله كما تظهر في حوار سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه. ومنها:

١ - استدرار عاطفة المتعلم:

إن تكرار كلمة (يا أبتِ) أربع مرات في الآيات الأربع التي توجه فيها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - بالخطاب إلى أبيه يدل على أهمية أن يكون تركيز المعلّم في أسلوبه التربوي على ما يثير عواطف المتعلّمين ويحرّك مشاعرهم الانفعالية الإيجابية نحو الموقف التعليمي. فهو بهذا النداء المتكرر، يستدر عاطفة الأبوة، ويمدُّ جسراً من الثقة بينه - وهو النبي العالم - وبين أبيه وهو الجاهل الكافر العنيد، وكأن علاقة الأبوّة والبنوّة - في تقديره - ستسهم في تحريك مشاعر الرجل ومن ثم تحريك عقله.

٢ - أسلوب الاستفهام منشط للفكر:

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]؟ هكذا بدأ سيدنا إبراهيم - عليه السلام - حواره مع أبيه؛ إدراكاً منه أن ما يسميه التربويون بـ «الإثارة» أو «التمهيد» للدرس عنصر جوهري من عناصر العملية التعليمية، إنه بدأ الحوار الهادئ بسؤال لا هدوء فيه على الإطلاق، سؤال يتصادم مع معتقدات موروثة تشبه بُحيرة آسنة ساكنة، رانَ عليها السكون قروناً وآماداً طوالاً، فهو يلقي فيها بحجر من الحجم الثقيل ليحرِّك سكونها. وهكذا.. من واجب المعلّم أن يكون بدء تدريسه قوياً مثيراً فعَّالاً بأسئلة تهزُّ الوجدان وتزلزل العقول وتدفع المتعلّم دفعاً إلى التفكير المستقلّ الحرّ.

٣ - ثقة المعلّم بنفسه ضرورية:

إن قوة شخصية المعلّم تقوم بالدرجة الأولى على مدى ثقته بنفسه، وبمادته العلمية، ورسالته الإنسانية، فإذا ما توفرت له ثقة بنفسه، وأحسن إعداد مادته العلمية، وآمن بنقل رسالته وصدقه مع نفسه في أدائها، كان ذلك أدعى إلى تحقيق أهدافه، وإنجاح عمله التربوي. ونحن نلمس هذا واضحاً في حوار سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه من خلال:

أ - التصريح بأن ما عنده من العلم يفوق ما عند أبيه.

ب - استعمال أسلوب التوكيد الذي يعكس ثقته بنفسه من جهة، ويسعى إلى كسب ثقة الطرف الآخر بما يقوله من جهة أخرى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣].

ج - تنويع أساليب الخطاب من سؤال، إلى تحفيز، إلى تهديد بالعقاب.

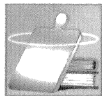
٤ - الحلم وسعة الصدر:

لا ينجح المعلّم في أداء مهمته إذا كان عجولاً، يؤوساً، مقهوراً. وإنما ينجح بقدر ما يتحلّى به من صبر ومصابرة، وقدرةٍ على التحمّل؛ فإن المتعلّمين قد يصدر منهم سوء أدب، أو فظاظة في الحوار، أو غلظة في الردّ، أو تعدٍّ على المعلّم باليد أو اللسان، وعلى المعلم أن يكون قادراً على امتصاص ذلك كله وإحسان التعامل معه.

وتدلنا الآيات على أن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - بعد أن استنفد كل وسائل الإقناع والتأثير، لم يجد من أبيه أذناً صاغية ولا قلباً مفتوحاً، بل وجد إصراراً على الكفر، وسوءَ ردٍّ، وغلظةً في الحديث؛ فهو يقول أربع مرات: (يا أبت)، وهو أسلوب نداء ترغيبي؛ لأن ياء المتكلم في قوله (يا أبي) أبدلت تاءً. والمقام بينهما لا يحتاج إلى نداء؛ لأن الحوار مباشر وهما متقابلان وجهاً لوجه، لكن تكرار النداء بالأبوة فيه تحنين للقلب الجامد، ومحاولة متكررة لاستحضار ملكات السمع والذهن الشاردة. ومع ذلك فإن الأب الجهول يستكثر أن ينادي ابنه بقوله (يا بنيَّ) مسايرة لخطابه إياه بقوله (يا أبت)، بل إنه يقول له: يا إبراهيم؛ ليؤكد أن بينهما أمداً بعيداً من الانفصال العقلي والوجداني.

٥ - التنويع في أساليب التعليم:

على المعلّم لكي ينجح في عمله أن ينوِّع أساليبه التدريسية حتى يصل إلى أهدافه. وسيدنا إبراهيم - عليه السلام - في هذا الحوار، سعى إلى استمالة والده وكسب ثقته بالسؤال، والتحفيز، والبسط والشرح، والتهديد بالعقاب. ونستفيد من هذه الأساليب وتقديرها أنها هي الأسلوب الأمثل لما يجب أن يكون عليه المعلّم من سعة أُفق، وقدرةٍ على التكيّف، ومرونةٍ في الأداء. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



المعايشة التربوية

سالم أحمد البطاطي

إن التربية المنتجة عملية صعبة ومستمرة تحتاج إلى معايشة مع المتربين، والتربية التي تعتمد على لقاء عابر أو جلسة أسبوعية أو مناسبة عامة - فقط - تربية فيها نقص وخلل، ومن ثَمَّ لا يكون البناء متكاملاً، فلا نستغرب بعد ذلك من تلك المخرجات المتذبذبة والمتهلهلة التي من أبرز سماتها الالتزام الأجوف. والناظر في سيرة المصطفى ﷺ يجد أن قضية المعايشة قضية بارزة في حياته ﷺ. يؤكد هذا المعنى عبد الله بن شقيق - رضي الله عنه - عندما سأل عائشة - رضي الله عنها -: هل كان النبي ﷺ يصلي وهو قاعد؟ قالت: «نعم! بعدما حطمه الناس»[1]. فقد كان ﷺ يتصدى للناس، ويعايشهم، ويخالطهم، يستقبلهم ويودعهم، ويتحمل أخطاءهم؛ لذلك حطمه الناس، وأثَّروا في بدنه ﷺ حتى أصبح يصلي جالساً، وأسرع إليه الشيب - بأبي هو وأمي - ﷺ. ويؤكد هذا المعنى أيضاً حديث أنس - رضي الله عنه - حيث قال: «إن كان رسول الله ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير! ما فعل النغير؟»[2]. ويؤيد هذا المعنى أيضاً حديث سماك بن حرب؛ حيث قال: قلت لجابر بن سمرة: كنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس، فيتحدث أصحابه يذكرون حديث الجاهلية، ينشدون الشعر، ويضحكون، ويبتسم ﷺ»[3].

وحسبنا في هذه الورقات أن نلقي الضوء على هذا المفهوم التربوي المهم، وأنا مؤمن بأنها لن تشبع هذا الموضوع حقه، ولكن هي إشارات عابرة، وفتح باب للباحثين حول هذا المفهوم.

١ - مفهوم المعايشة:

إن مفهوم المعايشة هو: أن يُظهر المربي استعداده لمعايشة المتربين واستقبالهم والجلوس معهم، وأن يُشعرَهم بتوفر الوقت والمكان لديه لمعالجة قضاياهم وحل مشكلاتهم، وتتمثل أيضاً في إظهار أوقات الاستقبال وتحديدها؛ كالساعات المكتبية، والساعات المنزلية، والأيام، والأوقات المتوفرة للخروج مع المتربين في نشاطاتهم ورحلاتهم، وزياراتهم، وتيسير سبل الاتصال به؛ كالاتصال الشخصي، والكتابي، والهاتفي، ومدى الاستعداد لتذليل وسيلة النقل؛ كالسيارة ونحوها عند الحاجة. والخلاصة: أن كل ما يُظهرُه المربي من استعداد ليكون قريباً من تلاميذه؛ لتربيتهم، والعناية بحاجاتهم، وحل مشكلاتهم فهو من خاصية المعايشة.

٢ - لماذا المعايشة في العمل التربوي؟

إن من أعظم المسوِّغات والدوافع التي تدفعنا لتحقيق هذا المبدأ في واقعنا التربوي وتطبيقه ثقلَ الأمانة المنوطة بعاتق المربين. إن عظيم الموقع الذي تبوأه المربي، وثقلَ الأمانة التي تحملها تجعله يجتهد غاية الاجتهاد في نصح من يربيهم، وتوجيههم، والارتقاء بهم، كيف لا؟ وهو المعنيُّ بتلك النصوص العظيمة التي يقول فيها ﷺ: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله مغلولاً يده إلى عنقه، فكه بِرُّه، أو أوثقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»[4]. ويقول ﷺ أيضاً: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته؛ إلا حرم الله عليه الجنة»[5]، ويقول ﷺ أيضاً: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته...»[6] ويقول ﷺ أيضاً: «ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور»[7]. إن هذه النصوص لتدفع كل مربٍّ صادق إلى

(١) رواه مسلم، صلاة المسافرين وقصرها (١٢٠٩). حطمه الناس، أثقلوه وأضعفوه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب (٥٦٦٤).

(٣) رواه النسائي، شرح السيوطي (٣/٨٠ - ٨١).

(٤) صحيح الجامع (٥٧١٨)، السلسلة الصحيحة (٣٤٩).

(٥) مختصر صحيح مسلم (١٢١١)، صحيح الجامع (٥٧٤٠).

(٦) رواه مسلم، كتاب الإمارة (٣٤٠٨).

(٧) السلسلة الصحيحة (٣٤٩)، المشكاة (٣٦٩٧)، صحيح الجامع (٥٦٩٥).

الاجتهاد فيمن يربيهم، والنصح لهم، والسعي الجاد في برهم والإحسان إليهم، وإن تطبيق هذا المفهوم التربوي في الواقع لهو سبيل لتحقيق تلك الأمور المنشودة.

٣ـ المربي الأول ﷺ والمعايشة:

يقول ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»(١).

لقد كان للنبي ﷺ أوفر الحظ والنصيب من هذا الحديث، وكان الرائد في هذا المجال؛ فقد بُعثَ معلماً، يتوفر لطلابه في معظم أحيانه، فهم يجدونه في المسجد، فإن لم يكن ففي السوق أو الطريق، فإن لم يكن ذهبوا إلى بيته، وكان ﷺ يستقبلهم ويعلمهم ويجيب عن أسئلتهم، ولم يكن من عادته حجب الناس عنه أو ردهم بل كان يستقبلهم، ويبتسم لهم دائماً. عن جرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ابتسم في وجهي»(٢).

وكان ﷺ يعتمد اعتماداً كبيراً على هذه الخاصية (المعايشة) في الاتصال بالمدعوين والمتربين، والتعرف عليهم والتقرب إليهم، والتأثير فيهم. فهو يعرف أسماءهم، وبعض خصائصهم، وأسماء قبائلهم، وتاريخ تلك القبائل، وأسماء بلدانهم، وخصائص تلك البلدان، ويعرف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. هذا فيما يتعلق بالأبعدين والمستجدين، أما أصحابه ممن حوله، والمقربون منه، فيعرف كل شيء عنهم تقريباً، حاجتَهم واستكفاءَهم، مرضهم وصحتهم، سفرهم وإقامتهم، ويعرف مستوياتهم الإيمانية والعقلية والنفسية، ويعرف قدراتهم وحظوظهم في المجالات التربوية والقيادية والمالية والحكمية والدعوية، ويتحدث مع كلٍ بما يناسبه، ويكلف كلاً منهم وفق خصائصه وقدراته. عن أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أُبَيُّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح»(٣).

٤ـ فوائد المعايشة:

للمعايشة فوائد كثيرة يجنيها المربي متى ما طبق هذا المفهوم على أرض الواقع، ولعلنا نشير إلى أهم هذه الفوائد والثمار.

أ ـ الحصول على الأجر والثواب من عند الله ـ عز وجل ـ:

قال ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»(٤).

فمتى ما استشعر المربي هذا الحديث، واستشرف لهذا الأجر العظيم كان ذلك دافعاً له لتحقيق هذا المفهوم مع من يربيهم، فتجده لا يألو جهداً في معايشة ومخالطة المتربين، والصبر عليهم في تربيتهم، والصبر على ما يجده من أذى منهم مقابل ذلك الفضل العظيم.

ب ـ تهذيب أخلاق المربي:

فالمعايشة تهيئ المربي أن يكون قدوة حسنة يقتدى به، ويؤخذ هذا من قوله ﷺ: «ويصبر على أذاهم» ففي المعايشة نوع من تحسين المربي لذاته، وتهذيب لخُلُقه وسلوكه خاصة أنه في مصاف القدوة. إنه لا يكفي أن يكون عند المربي ما يعطيه؛ بل لا بد أن يكون حَسَنَ العطاء حتى يترك عطاؤه أثراً في نفس المتربي.

ج ـ معرفة طاقات المتربين وقدراتهم:

يستطيع المربي من خلال معايشته ومخالطته لمن يربيهم اكتشاف طاقاتهم وقدراتهم ومؤهلاتهم؛ ومن ثَم يستطيع توجيه هذه الطاقات فيما يناسبها، ويوجه هذه القدرات في مظانها، ويضع الشخص المناسب في المكان المناسب من خلال تلك المؤهلات، ولهذا شاهد من السيرة؛ كما في حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ الذي مر قبل قليل: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...»(٥). وقال ﷺ: «خذوا القرآن عن أربعة: عن ابن مسعود، وأُبيٍّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»(٦).

د ـ معرفة جوانب الضعف في المتربين ومن ثَمَّ معالجتها:

يجتهد المربي ويسعى في تطوير المتربي والارتقاء به. ومن محاور التطوير والارتقاء معرفة ضعفه؛ وذلك من أجل تزويده بالعلاجات المناسبة فيتجاوز هذا الضعف ويرتقي. ومخالطة المتربين ومعايشتهم توفر للمربي ذلك كله. ولقد استطاع ﷺ بمعايشته لأصحابه معرفة نقاط القوة لديهم ونقاط الضعف أيضاً، فأثنى على نقاط القوة خيراً ـ كما مر معنا ـ وحذر ونصح وحث في نقاط الضعف من أجل تجاوزها، وإليك هذا الشاهد:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ، وكنت غلاماً أعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام مَلَكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لم تراعَ. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ، فقال: نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل. قال سالم: فكان عبدالله لا ينام من الليل إلا قليلاً(٧).

---

(١) صحيح الجامع (٦٦٥١).

(٢) رواه البخاري فتح الباري (٧/١٦٤)، (٣٨٢٢).

(٣) صحيح ابن ماجه بتحقيق الألباني (١/٣)، حديث رقم (١٢٥).

(٤) صحيح الجامع (٦٦٥١).

(٥) صحيح ابن ماجه، بتحقيق الألباني (١/٣١)، رقم (٢٥).

(٦) صحيح سنن الترمذي (٣/٢٣٠).

(٧) رواه البخاري (٣٧٣٨ ـ ٣٧٣٩).

يحتاج المربي في مسيرته التربوية إلى وقفات تقويمية لمن يربيهم؛ من أجل الارتقاء بهم وإصلاحهم، ولا يستطيع شخص غير المربي أن يصيب التقييم الصحيح في المتربين؛ إذ هو أقرب الناس للمتربين من غيره؛ وذلك بمعايشته لهم، ومخالطته إياهم، والقرب منهم. ولهذا شاهدٌ من السيرة النبوية؛ فعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يُضحكُ النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتيَ به يوماً، فأَمَرَ به، فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه! فوالله ما علمت: إنه يحب الله ورسوله»[1]. لقد زجر النبي ﷺ الذي سب ولعن حماراً - رضي الله عنه - مع أن حماراً كان يشرب الخمر، إلا أن النبي ﷺ كان أقرب الناس إليه بمعايشته له، وكان أعلم بأعمال حمار من غيره؛ لذا قال ﷺ: «لا تلعنوه! فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله» وهذا يعني أن لحمارٍ محاسنَ وحسنات في الإسلام قد لا يعلمها البعيد عنه، لا يعلمها إلا من كان معايشاً ومخالطاً له، وقريباً منه، وهذا كان متمثلاً في النبي ﷺ.

و - معرفة الخصائص النفسية للمتربين:

النفوس تختلف وتتباين، ولكل نفس خصائصها المجبولة عليها، والمربي الفطن هو الذي يتعرف على خصائص النفوس المتربية، فيبني عليها ماهية التعامل والأسلوب المناسب لكل نفسية، ولا يكون ذلك إلا بالمعايشة والمخالطة مع المتربين؛ إذ يستطيع المربي معرفة تلك الخصائص، ومن ثَمَّ معرفة الأسلوب المناسب في التعامل مع تلك النفسيات، ولهذا شاهد من السيرة النبوية؛ فعن عمرو بن تغلب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أُتيَ بمال أو سبي، فقسمه، فأعطى رجالاً، وترك رجالاً، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: فوالله! إني لأعطي الرجل وأدَعُ الرجل، والذي أدع أحب إليَّ من الذي أعطي، ولكني إنما أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب». قال عمرو بن تغلب: «فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم»[2].

فتأمل نفاذ نظر الرسول ﷺ في معرفة خصائص أتباعه، وتربية كل منهم بما يناسب فطرته وميوله ودوافعه الخاصة به. وعلى ذلك فالمربي ملزم بمعرفة أتباعه وخصائصهم النفسية عن قرب؛ حتى يستطيع التعامل معهم والقيام بتربيتهم على أكمل وجه، ولا يكون ذلك إلا بمعايشتهم ومخالطتهم.

ز - حل مشاكل المتربين الخاصة والأسرية:

يسعى المربي الناصح في برنامجه التربوي أن يوفر للمتربي الاستقرار النفسي الذي يساعده على الاستجابة، ومن ثم العطاء والإنتاجية، ولكن تبقى المشاكل الخاصة أو الأسرية في المتربين عائقاً لهذا الاستقرار. وبإمكان المربي من خلال معايشته، ومخالطته لمن يربيهم، وبقربه منهم، واهتمامه بهم حل تلك المشكلات وتذليلها، وتجاوز تلك العقبات. ولقد كان ﷺ كذلك معايشاً لأصحابه قريباً منهم مهتماً بهم وبحل مشاكلهم، يسأل عن أحوالهم، وعما يكدر خواطرهم، ويظهر ذلك مما يلي:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة! ما لي أراكَ جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله! قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله همي وغمي، وقضى عني ديني»[3].

٥- أثر المعايشة في الاستجابة:

معايشة المتربين ومخالطتهم له الأثر الفاعل في استجابتهم، فبقدر ما يعطي المربي من اهتمام لهذا المفهوم في واقعه التربوي بقدر ما تكون استجابة المسترشدين له، والإقبال عليه.

ففي قصة أصحاب الأخدود تروي لنا الأحاديث أن: الغلام كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، حتى ذاع صيته، وانتشر خبره؛ فأقبل الناس عليه أفواجاً، واستطاع بمعايشته الناس، والقرب منهم أن يكوِّن رصيداً مباركاً من حب الناس له والإقبال عليه، لقد قدم لهم وقته، وجهده، وما أعطاه الله من موهبة وطاقة، وقدموا المهج من أجل الدين الذي أتى به اعتقاداً واستمساكاً. فينبغي للمربي أن يوجه ويذلل طاقاته، وقدراته التي يمتلكها في سبيل الله، وأن تكون مفتاحاً لمعايشة الناس، ودعوتهم بعد ذلك.

ولقد كان لهذه الخاصية (المعايشة) أثر بارز في تفاعل الناس مع الرسول ﷺ، وإقبالهم عليه، وتقبلهم منه، ورغبتهم في العلم والعمل الذي يوجههم إليه عن قناعة ومحبة، وكان التلاميذ مندمجين بشخصيته ﷺ أيما اندماج، دونما تبذُّل أو تكلُّف، مما جعل الناتج التربوي أصيلاً وعميقاً من جهة، وواسعاً ومنتشراً من جهة أخرى.

«وقد تناول الباحثون في مجال علم النفس وفي مجال العلاقات الاجتماعية هذه الخاصية بالدراسة، وافترضوا أن لها علاقةً ما بمدى إقبال المتعلم أو المتلقي على الأستاذ؛ ليأخذ

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود (٦٢٨٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجمعة (٨٧١).

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، في باب الاستعاذة (٢/٩٤ - ٩٥/ح ١٥٥٥). وفيه: غسان بن عوف المازني البصري: وهو لين الحديث - التقريب. ويشهد له حديث أنس وقد أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة (٦/١٠ ح ٢٨٩٣) بلفظ نحوه، وأحمد في مسنده (٣/١٥٩)، وأبو داود (ح ١٥٤١، ١٥٤٦)، والترمذي (٣٤٨٤٤، ٣٥٠٢)، والبيهقي (٦/٣٠٤) (٩/١٢٥)، والحاكم (١/٥٣٣)، والنسائي (٤/٤٦٧، ح٧٩٧٣ - الكبرى).

منه، أو يسأله، أو يقيم علاقة شخصية معه تتجاوز الاستفادة الوظيفية في المجال الأكاديمي إلى الاستشارة الشخصية والاجتماعية. وكان من بين الافتراضات التي توقعها بعض الباحثين، وكانت صحيحة أن: المعايشة، وقرب المربي، وإظهاره لهذا القرب بتوفير الساعات المكتبية يمكن أن يكون متغيراً مهماً يقع بين عزيمة المسترشد على الذهاب للمربي واستشارته، وبين حدوث الاسترشاد فعلاً، ومن ثَمَّ يكون ظهور المربي قريباً منهم مكاناً ووقتاً وشخصاً عاملاً مهماً في التفاعل والتأثير والإقبال، وهذا أيضاً ما أيدته بعض الأبحاث الأخرى، فقد وجد «ولسن وودز» أن هناك علاقة مؤثرة بين توفر الأستاذ أو المربي في ساعات معينة، وظهوره بمظهر المستعد لاستقبال المتعلمين، وقضاء وقت معهم، وبين إقبال هؤلاء المتعلمين عليه واستعانتهم به، وعرض مشكلاتهم عليه؛ وعلى هذا الأساس كانت الأبحاث النفسية التربوية توصي كثيراً بتوفير الوقت وتنظيمه وتحديده للمسترشدين، وأن يواكب هذا استعداد شخصي ونفسي من المربي والمرشد؛ لاستقبالهم والتعامل معهم، مهما صعبت الظروف وتنوعت»[1].

٦ـ مساوئ كثرة المعايشة:

هل لكثرة المعايشة سلبيات ومساوئ؟

نعم! إن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، والمعايشة ما لم تخضع لما يضبطها فإنها تصبح نقمة بعد ذلك.

وإليكم بعض هذه المساوئ:

١ ـ إلْفُ المتربين للمربي، وإسقاط الكلفة بينهم وبينه؛ قد تؤدي إلى استنفاد المتربين لما عند المربي من طاقة روحية وذخيرة تربوية، خاصة إذا وافق ذلك تفريط من المربي في تربية نفسه.

٢ ـ ربما يتحولون من مرحلة التأثر إلى مرحلة النقد.

٣ ـ سقوط قضية التوجيه والتربية من يد المربي، فلا تكن بعد ذلك استجابة من قِبَل المتربين.

٧ـ ضوابط المعايشة:

يجتهد المربي الناصح في تحقيق هذا المبدأ في واقعه التربوي ويسعى جاهداً في ذلك، ولكن ثمة ضوابط تضبط تطبيق هذا المفهوم على أرض الواقع يجدر بنا الوقوف معها وتوضيحها إزاء تطبيق هذا المبدأ التربوي، حتى يكون المربي على بصيرة من أمره، وحتى لا يقع في إفراط أو تفريط، وحتى نحفظ للمربي دوره المنشود في ظل هذه الضوابط:

أ ـ ألا تؤدي إلى التعلق المذموم بالمربي:

الأصل في العملية التربوية أن الفرد الذي يُدعى يجب أن تتركز الجهود التربوية في تربيته بتوثيق صلته برب العالمين، وأن تكون صلته القوية بالله ـ تعالى ـ وبمنهجه القويم وألاَّ يتعلق بالبشر، ولكن كثرة المعايشة والمخالطة غير المنضبطة بالمتربين والقرب منهم قد يسبب ذلك التعلق، لا سيما إن لم تكن لتلك المعايشة أهداف تربوية يسعى المربي لتحقيقها، واستحضارها في معايشته لمن يربيهم. فيجب على المربي التفطن لهذا الأمر، وأن تكون معايشته منضبطة بحيث لا يُكثر منها، وأن تكون بحدود المعقول، وأن تكون مرسومة الأهداف، مستحضراً لها في معايشته، ومتى ما وجد المربي ظهور هذه الظاهرة في أحد المتربين، فيجب عليه تذكيره بالله، وتحذيره من خطورة هذا التعلق، وربطه بالله، وبالقدوة المعصوم ﷺ، وطرق بعض المفاهيم العلاجية كمفهوم الفرق بين الحب في الله والحب مع الله، وغيرها من المفاهيم التربوية[2].

ب ـ ألا يتغلب جانب التربية الجماعية على التربية الفردية:

التربية تقوم على عنصرين مهمين: الجماعية والفردية، ومتى اتكأت التربية على أحد العنصرين فهي تسعى لتبني قصراً في الرمال. ومعايشة المتربين ومخالطتهم والإكثار من ذلك قد يسبب الاتكاء على جانب الجماعية فقط، فيتربى المتربي على هذا العنصر الجماعي فقط، والذي يعيش الجانب الجماعي وحده سيبقى سمكة في ماء ما تلبث حين تفارقه أو تخرج منه أن تلفظ أنفاسها، وحين يعيش الشاب على التربية الجماعية وحدها، فهو مع ما يحمل من ثغرات كبيرة في شخصيته ما يلبث أن يفقد المتربي إخوانه يوماً، فيرى نفسه أمام عَالَم لم يعتد عليه. فلم يعتد أن يبقى فارغاً، ولم يتربَّ على اغتنام وقته والاستفادة منه.

فيجب على المربي التفطُّن لهذا الأمر خلال معايشته المتربين بحيث يكون هناك توازن في تطبيق المعايشة، وألاَّ يكثر منها كثرةً تغلِّب الجماعية على الفردية، وينبغي عليه أن ينمي في المتربين الشعور بالمسؤولية الفردية، وأهمية التربية الفردية وأنها لا تقل أهمية عن الجماعية، متى ما شعر أن هناك تفريطاً في هذا الجانب.

ج ـ ألا تطول بالقدر الذي يؤدي إلى جراءة الشاب على من يربيه، وزوال الكلفة بينهم، بحيث تذوب شخصية المربي بين المتربين:

لأنَّ من فوائد المعايشة ومخالطة المتربين، كسر الحاجز الوهمي بين المربي والمتربين، ومن ثَمَّ تكون الشفافية والأريحية في التعامل فيما بينهم. ولكن هذا لا يسوِّغ أن تكون المعايشة سبيلاً إلى سقوط الهيبة بين المربي والمتربين؛ بحيث تصبح القضية أُخُوَّةً خاصةً مجردةً من معاني القيادة والتوجيه والتربية، فينبغي للمربي التفطن لهذا الأمر، وأن يكون هناك قدر من التقدير والاحترام والهيبة التي تكون بوابة لمعنى القيادة والتوجيه مع المتربين، وألاَّ تذوب شخصيته بكثرة المعايشة؛ بحيث تسقط من يده قضية التوجيه والتربية، فلا تكون بعد ذلك الاستجابة.

د ـ ألا تؤدي إلى إهمال المربي نفسه في الارتقاء:

في خضم معايشة المربي لمن يربيهم، ومخالطته إياهم، والسعي الجاد في تقديم النصح والتوجيه الذي يساهم في الارتقاء بهم، قد ينسى المربي نفسه وأن لها حقاً من الاهتمام والارتقاء بها، فمتى ما أهمل المربي نفسه في جانب الارتقاء بالنفس فلربما قاده ذلك إلى فقدان رصيده في يوم من الأيام، حتى يصبح المربي ليس عنده ما يعطي المتربي؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن ثَمَّ يفقد المربي صفة هي من أهم الصفات؛ وهي

(١) «علم النفس الدعوي»، د. عبدالعزيز النغيمشي، ٣٠٩ ـ ٣١٠، بتصرف يسير.

(٢) لمقيده مقال في مجلة البيان بعنوان: «التعلق بالأشخاص لا بالمنهج»، ينصح بالرجوع إليه في العدد ١٥٧، رمضان ١٤٢١هـ.

صفة العطاء؛ فنحن لا نريد أن يكون المربي كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها، إنما نريده أن يكون كالشمس تضيء للآخرين مع حفاظها على خاصية التوهج في نفسها. فينبغي للمربي التوازن بين معايشة المتربين والارتقاء بهم، وبين الارتقاء بنفسه، والتزود بما فيه صلاحها وتزكيتها، وقربها من الله.

لذلك هناك نوع من العزلة الجزئية، يُقْصَد من ورائه العزلة للتربية، حيث يخلو المرء بنفسه - أحياناً - بقصد التعبد، أو التزود من العلم، أو محاسبة النفس، أو نحو ذلك من الأغراض والمقاصد التربوية. وقد كان من صنع الله لنبيه ﷺ أن وفقه قبل نزول الوحي عليه لهذا النوع من العزلة، وحبب إليه الخلاء، فكان يخلو في غار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء[١].

هـ - البعد عن الدخول في الخصوصيات:

كل الكائنات الحية تحتفظ لنفسها بمجال حيوي تعد اقتحامه نوعاً من العدوان عليها، ويأتي الإنسان على رأس القائمة. قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من هذه الآية: هو السؤال عمَّا لا يعني من أحوال الناس؛ بحيث يؤدي ذلك إلى كشف عوراتهم، والاطلاع على مساوئهم[٢].

ولعل مع المعايشة قد يغفل المربي عن هذا الضابط، فيُسَوِّغُ لنفسه السؤال عما لا يعني، والاطلاع على ما يخص من يربيهم دون إذنهم، وكل هذه الأمور محرمة شرعاً، وجرأة بعض المربين على تجاوزها داخل في عموم قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

و - ألا يهمل الوَرَعَ الشرعي الواجب:

ومن ذلك ما يتعلق بصحبة ومعايشة الأمرد؛ فقد يخلُّ المربي بالوَرَع الشرعي في ذلك فيخلو به، أو يسافر معه وحده، أو يبيت معه، أو غير ذلك بمسوغ المعايشة، وهي أمور قد ينشأ عنها نتائج غير محمودة؛ لذا شدد السلف الصالح - رضوان الله عليهم - في صحبة الأمرد، والآثار في ذلك كثيرة ومنها:

١ - ما رواه البيهقي في الشُّعَب عن بعض التابعين قال: «كانوا يكرهون أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الجميل»[٣].

٢ - روى أيضاً عن بعض التابعين: «ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضارٍ من الغلام الأمرد يقعد إليه»[٤].

٣ - روي عن الحسن بن ذكوان أنه قال: «لا تجالسوا أولاد الأغنياء؛ فإن لهم صوراً كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذارى»[٥].

«قد غدت اليوم صحبة المربين لهؤلاء الأحداث ضرورة ملحَّة، ولا يسوغ أن يُهمَلوا، أو ينهى المربون عن صحبتهم بحجة الورع؛ ذلك أن واقع السلف كان يختلف عن واقعنا، فلم يكن البديل عندهم هو الشارع غير المنضبط أو التجمعات الساقطة مما نشهده اليوم، بل كانت البيوت ومؤسسات المجتمع التربوية تتكفل بتربية هؤلاء والعناية بهم، أما الآن فالبديل لصحبة المربين لهؤلاء هو أن يصحبهم شياطين الإنس المفسدين، والواقع شاهد بأن كثيراً من هؤلاء حين ابتعدوا عن الميادين الصالحة انزلقوا في طرق الفساد.

ومع القول بالحاجة لصحبة المربين للأحداث تبقى هذه النصوص عن السلف لها قيمتها واحترامها، فعلى المربي أن يراعي ضوابط مهمة في ذلك منها: عدم الخلوة، أو السفر مع الأمرد لوحده، ومراعاة المبيت وما يتعلق به»[٦].

و - ألا تؤدي إلى إشغال المتربي معظم وقته، فلا بد من ترك قدر من وقت الفراغ يُعَوِّدُه فيه على استغلال الوقت في تربية ذاته، ويتيح له فرصة الاعتناء بدراسته، وارتباطاته الاجتماعية.

ز - التقليل من اللقاءات الفردية في غير البرامج العامة: بحجة معايشة المتربي والقرب منه أكثر؛ فكثير منها يتحول إلى علاقة شخصية بحتة تفقد أثرها التربوي.

ح - الاقتصاد في المزاح والهزل، وعدم الخروج فيه عن حد الوقار والهيبة.

٨ - المربي بين المعايشة والعزلة القلبية:

يقول الدكتور سلمان العودة - حفظه الله -: «هناك العزلة القلبية التي يقصد بها أن المؤمن الملتزم بالمنهج الصحيح، وإن خالط الناس وعاشرهم ببدنه؛ فإنه مزايل لهم بعلمه وقلبه، مفارق ما هم عليه من التعلق بالبدع، أو الولع بالدنيا، أو اتباع الهوى، ساعٍ لنقلهم عما هم فيه إلى حيث السلامة والأمان. فهو يخالط الناس لغاية واضحة، هي العمل على انتشالهم من الضلال إلى الهدى، ومن البدعة إلى السنَّة، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولا يستطيع أن يؤدي ذلك بصورة صحيحة مؤثرة إلا من دَاخَلَ الناس وعاشرهم، وعرف أحوالهم، وأحسن إليهم بلسانه ويده - ما استطاع سبيلاً -.

وهذه المخالطة المقصودة تجعل في قلب المخالط شعوراً متميزاً يحميه من التأثر بأعمال الناس وأهوائهم وانحرافاتهم إلى حد بعيد، وبذلك يتمكن من اكتساب الخصائص الخيرة الجميلة التي قد تنقصه، ومن الانتفاع بالتجارب التي تزكي العقل الغريزي وتنميه، ومن الاطلاع على أحوال الزمان وأهله، ومعرفة حقيقة الانحرافات وأبعادها، ليقوم - بعدُ - بمدافعتها، وعلاجها بالأسلوب الأمثل، دون أن يؤدي به ذلك إلى الذوبان في المجتمع المحيط به، أو التخلي عن علمه، ونيته ودعوته.

وبذلك يجمع بين الخلطة والعزلة، الخلطة بجسده ومدخله ومخرجه، والعزلة بقلبه وعمله ومشاعره، ولذلك يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «خالطوا الناس، وزايلوهم، وصافحوهم، ودينكم لا تَكْلَمُوه»[١].



(١) الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - رواه البخاري في بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/٣).
(٢) تفسير القرطبي (٦/٣٣٢).
(٣) شعب الإيمان [(٥٣٩٥) ٤/٣٥٨].
(٤) شعب الإيمان [(٥٣٩٦) ٤/٣٥٨].
(٥) شعب الإيمان [(٥٣٩٧) ٤/٣٥٨].
(٦) مقالات في التربية، محمد الدويش، المجموعة الأولى، ص (٤٢).
(١) العزلة والخلطة - د. سلمان العودة - ص (٥٠ - ٥١).

٩ـ برامج عملية وخطوات إجرائية للمعايشة:

لعل البعض يطالب بتحويل هذا الكلام النظري إلى برامج عملية وخطوات إجرائية يمكن قياسها وتقويمها، ولا شك في أهمية هذا المطلب، خاصةً أن البعض قد يجيد التنظير والتقعيد الكلامي ويعجز عن ترجمته (كلامياً) في أرض الواقع؛ لذا كان لزاماً علينا أن نضع بعض البرامج العملية والخطوات الإجرائية في معايشة المربي لمن يربيهم، وننبه إلى أهمية استثمار تلك المحاور والخطوات في التوجيه والتربية، وهي كالتالي:

١ ـ مرافقته في بعض الشعائر التعبدية؛ كالصلاة معه، وأخذه لذلك، ومرافقته في العمرة والحج، واتباع الجنائز، وغير ذلك، واستثمار الرفقة في التوجيه والتربية.

٢ ـ توثيق الصلة معه بالإقبال والسلام عليه، والتبسم في وجهه، والسؤال عنه وعن أهله، والاتصال به هاتفياً من أجل ذلك، وزيارته في بيته، والسؤال عنه إذا غاب أو تأخر، والقرب منه عند وحدته، وإهدائه، وإجلاسه بجوارك عند مقابلته، والأخذ بيده، وتبادل أطراف الحديث معه في حال اللقاء به، ومناداته بأحب الأسماء إليه، وتكنيته، ومرافقته معك في السفر، ومراسلته، ومعرفة اهتماماته ومحبوباته، وغير ذلك.

٣ ـ مشاركته وجدانياً وذلك بالفرح لفرحه؛ كزواجه، أو زواج قريب له، أو نجاحه، أو حصول نعمة له أو تجددها، أو غير ذلك، وكذلك مشاركته وجدانياً بالحزن لحزنه؛ كموت قريب له، أو مرضه، أو فقدان عزيز عليه، أو غير ذلك، والوقوف معه لمواساته.

٤ ـ إشعاره بأن له قيمة ومكانة؛ وذلك بعيادته إذا مرض وتصبيره، والوقوف معه، والتنزه معه، وإجابة دعوته، وإكرامه، والاستماع إلى همومه ومشكلاته، والسعي في حلها، والسعي في قضاء دَيْنه وحاجاته، وإشعاره أنك تحترم رأيه، وغير ذلك.

٥ ـ مرافقته في بعض وسائل الارتقاء والتعلم؛ كحضور الدروس العلمية معه، والمحاضرات، والدورات الشرعية، وزيارة المخيمات الدعوية، والمكتبات الإسلامية، والتسجيلات، ومعارض الكتاب، وغير ذلك.

الخاتمة: وبعدُ: فهذه أخي المربي كلمات وخواطر سطرها أخ لك في الله، لا تعدو أن تكون آراءً شخصية، إن أصاب فيها فمن الله، وإن أخطأ فمن نفسه والشيطان، والله ورسوله بريئان مما يقول.

أيها المربي! شمِّر عن ساعديك، واعزم على العمل، وابحث عن المُعِين، وتوكل على الله، وليكن هدفك سامياً، وهمتك عالية؛ لكي تستطيع أن تنتج بأقصى طاقة، ولا ترضَ بالقليل من العمل، واصدق الله يصدقك.

أيها المربي! إنه لا يكفي للقيام بواجب التربية والتوجيه الكلمات العاجلة، أو البرامج المرتجلة؛ فمن حق الشباب علينا وهم فلذات أكبادنا أن نُعنَى بتربيتهم، فهلاً نبادر في خطوات جادة للوصول إلى أسلوب أمثل في التوجيه والتربية! نأمل ذلك ونسأله سبحانه الإعانة...

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.



مستقبل التعليم الشرعي؟

سؤال جريء

محمد بن عبد الله الدويش

dweesh@dweesh.com

كان من أكبر إيجابيات الدعوة الإسلامية المعاصرة ومنجزاتها نشر العلم الشرعي وإحيائه، وقد تمثل ذلك في مظاهر عدة، أبرزها:

- إقبال الشباب والفتيات على العلم الشرعي ورغبتهم فيه.
- نمو الدراسات الشرعية في التعليم النظامي والإقبال عليها.
- انتشار أدوات العلم الشرعي ووسائله من كتاب ومواد صوتية ومرئية.
- انتشار حلَق العلم ودروسه، وإعلاء شأن المنتسبين إليه.

وتمثل الكليات والمعاهد الشرعية مصدراً مهماً في نشر العلم الشرعي؛ فهي تقدم دراسة متخصصة وفق برنامج مدروس يستوعب مجالات العلم الشرعي وتخصصاته، ويبني طالب العلم بناء علمياً متكاملاً.

وهي تتيح تخريج عدد من طلبة العلم ممن يتولون التعليم والتدريس فيها.

كما تسهم في إنتاج العديد من الدراسات الشرعية في برامج الدراسات العليا، والأنشطة العلمية للهيئة التدريسية فيها.

ولقد أسهم اتساع فرص عمل خريجي الدراسات الشرعية في زيادة الإقبال ونموه كماً ونوعاً.

لكن سوق العمل بدأت تضيق عن استيعاب خريجي التعليم الشرعي، حتى أصبح العديد منهم يبقى فريسة للبطالة أو يعمل بعيداً عن تخصصه.

إن هذا يفرض على القائمين على التعليم الشرعي والمهتمين به التفكير جيداً وتقويم الواقع بموضوعية، بدلاً من الاكتفاء باتهام الآخرين بأنهم يسعون لتقليص التعليم الشرعي، وبدلاً من الاكتفاء بمزيد من مطالبة الناس بالتوجه للتخصصات الشرعية دون تقديم حلول جديدة لهذه المشكلة.

والذين يسعون إلى تقليص التعليم الشرعي منهم فئة تنطلق من فكر وموقف سلبي تجاه العلم الشرعي، ومنهم من لا يحمل سوءاً لكنه لا يعي الحاجة لهذا النوع من التعليم، فلا ينبغي أن نحشر الجميع في فئة واحدة، ولا أن ننشغل بذم المغرضين بدلاً من الحل والبناء والإصلاح.

وحلول هذه المشكلات تحتاج إلى تفكير جماعي، وإلى جهود من المختصين والمهتمين، وهي تستحق أن تعقد لها ندوات ومجالس ومؤتمرات علمية.

ومما يمكن تقديمه في ذلك ما يلي:

■ تطوير برامج التعليم الشرعي لتسهم في تحسين مخرجات التعليم؛ فتوجِد منتجاً قادراً على إيجاد معرفة جديدة، وعلى إيجاد حلول جديدة لمشكلات المجتمع، بدلاً من المنتج الذي يكتفي بالحفظ والاستظهار، وتطوير نوعية المنتج سيسهم في اتساع فرص العمل له.

■ تطوير مسارات جديدة في التعليم الشرعي تلقى لها مجالاً في سوق العمل، وتُسهم قبل ذلك في الإصلاح الاجتماعي؛ وتمثل مجالات التوجيه الأسري والاجتماعي مجالات حيوية وتحظى بمستقبل واعد.

■ الاعتناء بالتخصصات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والقانونية وربطها بالعلوم الشرعية.

■ تطوير مشروعات ومؤسسات اجتماعية تستوعب خريجي التعليم الشرعي، كالمؤسسات التي تسهم في تطوير منتجات اقتصادية وتربوية وإعلامية وقانونية ملتزمة بالضوابط الشرعية؛ والقطاع الخاص اليوم بحاجة ماسة إلى مثل هذه المشروعات التي لن يقف أثرها على إتاحة فرص العمل للخريجين، بل ستسهم في مشروع الإصلاح في المجتمع.

وفي النهاية: ينبغي أن ندرك أننا مسؤولون عن العمل الجاد على نشر العلم الشرعي، وعلى تقديم الحلول لمشكلاته؛ فإن تغير الواقع وتعقده يفرض علينا أن نبحث عن موقع جديد وأدوات جديدة تلائمنا.



ما هو عسل الربو؟

عسل الربو هو عسل نحل طبيعي تمت تغذية النحل على أزهار تستخدم عادة في علاج الربو، وحيث إن طريقة تصفية العسل وفرزه عن الشمع قد تؤثر في قدرته على العلاج فقد حرصنا على إنتاج هذا النوع من العسل بطرق علمية مدروسة تحافظ على كل فوائده العلاجية والغذائية.

هل يناسب الأطفال أم الكبار؟

عسل الربو يناسب الأطفال والكبار على حد سواء وليس له آية أضرار وليس له آية آثار جانبية ويمكن إعطاؤه للمرضع والحامل وغيرها من الرجال والنساء لأنه عسل طبيعي لا يحتوي على آية مواد كيميائية أو أعشاب.

هل تأثير هذا العسل علاجي أم أنه تسكين فقط؟

بمجرد استخدام هذا العسل فإنه يؤدي إلى إزالة الحساسية وإنعاش التنفس وطرد البلغم ويكون يومك طبيعياً ولكن الاستمرار على استخدامه فترة أطول يؤدي إلى التخلص من الربو والحساسية بشكل نهائي عند أكثر الناس.

هل صحيح أن للربو علاج نهائي؟

لا يجوز الاعتقاد بأن هناك مرضاً من الأمراض ليس له علاج؛ لأن هذا يخالف ما ثبت في شرعنا أنه تعالى ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء علمه من علم وجهله من جهله.

ما مدة الاستخدام حتى يتم الشفاء النهائي؟

من الناس من شفي بعد استخدام العسل بعد مدة ٢٠ يوماً ومنهم لفترة أطول من ذلك، ولعل الأمر يرجع إلى كون الربو مزمناً أو غير مزمن، وبكل حال فإن الأطفال أسرع استجابة للعلاج من الكبار.

هل يحتوي على أعشاب قد تضر بالكلى أو غيرها؟

لا يحتوي عسل الربو على آية أعشاب على الإطلاق إلا أن أكثر تغذية النحل على زهور تفيد في علاج الربو.

لماذا تفضل عسل الربو؟

يفضل لعدة أسباب منها:

١ - العلاجات الكيميائية تعمل على تسكين مؤقت وعند وقف العلاج تعود أزمات الربو، بينما استخدام هذا العسل لفترة طويلة يؤدي إلى تعزيز مناعة الجسم والتخلص النهائي من الربو في غالب الأحيان.

٢ - كثير من الأطباء ينصح بالعودة إلى الطبيعة وخاصة العسل إذا ثبتت جدواه لمرض معين ولا مانع من استشارة الطبيب وفي حالة وجود مرض السكر فلا بد من استشارة الطبيب قبل استخدام أي نوع من العسل.

هل هو مضمون؟

هذا العسل مضمون ١٠٠٪ وقابل للتحليل في أي مختبر وفي حال ثبوت غش ولو بنسبة ١٪ فإنك تسترجع قيمة العسل كاملاً مع كلفة التحليل بالمختبر ولا نحسم ثمن عينة التحليل.

مركز سطام للعسل - الرياض - مخرج ١٥ شرقاً - ثاني محل على اليسار

جوال: ٠٥٠٦٢٤٥٩٨٤ - هاتف: ٠٠٩٦٦١/٤٩٢١٠٦٣ - فاكس: ٠٠٩٦٦١/٤٩٣١٧٣٧

رقم الحساب ٤٤٩٦٠٨٠١٠٠٦٧٦٨٣ مصرف الراجحي

مطلوب وكلاء في المحافظات



عندما يكون دينٌ خرافيٌ أساساً لسياسة دولة كبرى

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

أعني بالدين الخرافي الدين غير العلمي؛ بمعنى أنه لا يقوم على حقائق واقعية، ولا يلتزم بمكارم خلقية. وعليه فليس هنالك من دليل عقلي ولا علمي على دعاواه، بل في العقل والعلم ما يدل على بطلانها. وكلما كثرت مثل هذه الدعاوى في دينٍ ما أو في طائفة تنسب إليه، كان ذلك الدين أو كانت تلك الطائفة أقرب إلى الخرافة. وكلما كان اعتماد من يؤمنون بمثل هذا الدين عليه في تصرفاتهم ومعاملاتهم وسياساتهم، كان ضررهم على أنفسهم وعلى غيرهم أكبر. إن ضرر الخرافات والانحرافات الخلقية يكون أكبر حين ترتبط بالدين، حين يعتقد القائلون بها أنها مما أنزله الله - تعالى - وأمر به:

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨ - ٢٩]

إن السياسة، داخلية كانت أم خارجية، لا تكون مفيدة، بل تكون بالغة الضرر على من تمارَس ضدهم، ثم على من يمارسونها إذا ما أُرسيت على الأباطيل وعلى الظلم.

وهذه الآن هي أكبر مشكلة تعاني منها الولايات المتحدة، ويعاني منها العالم بسببها؛ ذلك أن ساكني بيتها الأبيض اليوم يؤمنون بخرافات دينية ويقيمون عليها سياساتهم الداخلية والخارجية. وقد خرج إلى السوق قبل أشهر كتاب اسمه (الثيوقراطية الأمريكية)[1]، بيَّن فيه مؤلفه مدى تأثُّر السياسة الأمريكية الراهنة بمعتقدات دينية خرافية، ومدى خطورة هذه السياسة الدينية على الولايات المتحدة. وسأنقل فيما يلي بعض ما جاء في هذا الكتاب ليعلم من لا يعلم أن القول بالتأثير البالغ للمعتقدات الدينية في السياسة الأمريكية ليس تهمة ظالمة يلصقها بها المتطرفون من المسلمين، ولكنها حقيقة يعرفها ويخشى مخاطرها كثير من الأمريكيين.

يبدأ الكاتب الجزء الثاني من كتابه الذي جعله خاصاً بمشكلة التطرف الديني بقوله: «إنه ليس هنالك من أسئلة أهم بالنسبة لأمريكا القرن الواحد والعشرين من السؤال عما إذا كان البعث الديني الجديد وما يصحبه من غرور سياسي سيكون في صالح أمريكا أم في ضررها؟» والكاتب يرجِّح أنه سيكون في ضررها. البعث الذي يشير إليه الكاتب هو العمل الدؤوب الذي تقوم به جماعات دينية توصف بالمتطرفة لجعل معتقداتها أساساً للسياسة الأمريكية. من هذه المعتقدات التي

(1) Kevin Philips, American Theocracy: the Peril and Politics of Radical Religion, Oil, and Borrowed Money in the 21st Century, Penguin Viking, 2006.

ذكرها الكاتب عن بعض هذه الجماعات إيمانهم بالاتصال المباشر بـ (عيسى) باعتباره إلهاً. ولما كان بوش من المنتمين إلى الجماعة التي تقول بهذا فإنه كثيراً ما يصرح بأن الله (يعني المسيح) هو الذي أمره بغزو أفغانستان، وبغزو العراق، بل ذهب إلى حد القول ـ كما روى عنه الكاتب نقلاً عن إحدى الصحف ـ في بعض الاجتماعات: «أعتقد أن الله يتكلم بوساطتي، ولولا ذلك لما استطعت أن أؤدي مهمتي». ولم ينفرد بوش بمثل هذه الدعاوى، بل إن (توم دي لاي) الذي كان رئيساً للأغلبية الجمهورية في الكونغرس قال ذات مرة: «إن الله يستعملني دائماً وفي كل مكان للدفاع عن نظرة الكتاب المقدس العالمية في كل ما أفعل وحيثما كنت. إنه هو الذي يدربني». وكان قد علق لوحة على مكتبه تقول: «قد يكون هذا هو اليوم» أي اليوم الذي ينزل فيه عيسى.

أقول: وقد كانت مثل هذه العقائد الفاسدة هي السبب الجوهري في معاداتهم الشديدة للدين الإسلامي وللمسلمين والتصريح بهذا العداء والدعوة إلى مواقف شديدة العداء للعالم الإسلامي. يقول الكاتب إنه عندما انهار الاتحاد السوفييتي بين عامي ١٩٨٩ و ١٩٩١ سارع المتدينون المحافظون إلى تقديم قائمة بالبدائل: الإسلام قوى الشر الكبرى، العراق بابل الشريرة، صدام حسين المسيح الدجال. هذا أمر لم يصرح به إلا عدد قليل من المسؤولين. أما المبشرون الأصوليون فإن الكثيرين منهم صرحوا به. فهذا (رتشارد سزك) نائب رئيس رابطة المبشرين القومية يقول لجريدة النيويورك تايمز في عام ٢٠٠٣: «إن المبشرين قد استبدلوا الإسلام بالاتحاد السوفييتي. لقد صار المسلمون اليوم هم إمبراطورية للشر». ويقول: «إن الجماعات التبشيرية الأمريكية تكرر اليوم تجربة الجماعات التبشيرية البريطانية في عداوتها للمسلمين وحماسها للحرب ضدهم. لقد تضاعف عدد المنظمات التبشيرية في العالم الإسلامي. ويقول: «إنه بحلول عام ٢٠٠٣ لم تعد المنظمات التبشيرية مجرد مؤيدة للحرب كما كانت رصيفاتها البريطانية، بل أصبحت من المخططين له». فبعد عام من استيلاء الجيش الأمريكي على بغداد كانت هنالك ثلاثون منظمة تبشيرية، ويقول: «إن المدير الإداري لرابطة المبشرين القومية صرح لجريدة (لوس أنجلس تايمز) أن العراق سيكون المركز الذي تنتشر منه رسالة المسيح عيسى إلى إيران وليبيا وكل مكان في الشرق الأوسط». وقال مسؤول في منظمة أخرى: «إن الحال في العراق هي حرب من أجل الروح». ولهذا فإنه في غضون سنتين انطلقت سبع منظمات تبشيرية في بغداد وحدها.

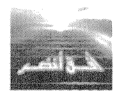
أقول: إن عاقبة هذه المعتقدات الفاسدة لن تؤدي فقط إلى مثل هذه المواقف العدوانية على المسلمين، بل سيكون ضررها في النهاية على الولايات المتحدة نفسها كما يرى ذلك بعض العقلاء من الأمريكان. فأصحاب هذه المعتقدات لا يرون الحقائق كما هي. فما يراه عامة الناس في الغرب دواهيَ وكوارث كاضطرابات الشرق الأوسط، وارتفاع أسعار البترول، والسونامي، يرونه هم ـ كما يقول الكاتب ـ مبشرات بقرب مجيء المسيح

وكما أنهم يستبشرون بهذه الكوارث، فإنهم لا يؤمنون بحقائق العلوم الطبيعية التي كانت السبب الأساس للتقدم المادي الذي ينعم به الغرب؛ فهم لا يصدقون بما يقوله العلماء عن الارتفاع العالمي في درجات الحرارة، ولا يلقون بالاً لما يقوله علماء الجيولوجيا من أن النفط بدأ ينضب، وهكذا. وبقولهم هذا يقول الرئيس بوش ويبني عليه مواقفه السياسية.

أقول: ولا يلقون بالاً لما توصلت إليه الدراسات العلمية الأكاديمية بأنه يستحيل أن يكون كل ما في الكتاب المقدس ـ كما يسمونه ـ من كلام الله، لأسباب كثيرة منها أن به اخطاء في وصف الواقع، وهو أمر لا يمكن ان يصدر عن خالق الكون، وأن فيه تناقضاً لا يتناسب مع علم الله المحيط، وهكذا لا يلقون بالاً لمثل هذه الدراسات، بل يحتقرونها ويستمرون في اعتقادهم بأن كل ما في الكتاب المقدس كلام الله، وأنه ليس فيه من خطأ.

وهم لا يؤمنون بمبدأ فصل الدين عن الدولة، بل يريدون لأمريكا أن تكون دولة نصرانية؛ لأنهم يعتقدون أن الشعب الأمريكي هو شعب الله المختار. وهذا هو الذي دعا المؤلف أن يسمي كتابه (أمريكا الثيوقراطية). وهو الذي يخشى كثير من الأمريكان أن يؤدي إلى انقسامات حادة في المجتمع قد تؤدي إلى العنف وحمل السلاح. ولذلك فإن الكثيرين ممن كانوا يعدون من قادة المحافظين الفكريين والسياسيين ـ ومنهم مؤلف هذا الكتاب ـ بدؤوا يعلنون اعتراضهم على سياسة الحزب الجمهوري بعد أن استولت عليه هذه الفئة ممن يسمون بـ (المحافظين الجدد) ويحذرون من مغبة عواقبها الوخيمة على البلاد. وقد كان من أبرز من اتخذوا هذا الموقف الكاتب الشهير (فوكوياما) في كتاب له جديد.

الغريب أن الدولة التي تسيِّرها مثل هذه المعتقدات هي التي تطلب من بعض البلاد الإسلامية أن تكون أكثر تسامحاً، وأن تنقِّي مناهجها الدراسية من مبادئ الولاء والبراء، وكل ما يرون مثيراً للكراهية.





الطمأنينة الاجتماعية

د. عبد الكريم بكار

مهام أهل البصيرة الاجتماعية عديدة ومتنوعة، ولعل من أجلّها مراقبة توجهات المجتمع وفتح العين بقوة على الاختلالات الأخلاقية والسلوكية التي تحدث نتيجة التنمية السريعة والتغيرات المتلاحقة. والملاحظ اليوم تعرُّض شيء أساسي في حياتنا للنضوب؛ وهو السكينة والطمأنينة الاجتماعية، وهذه الطمأنينة تتولد في الأساس من الثقة التي يتبادلها الناس في تعاملاتهم. تشكل الثقة جزءاً مهماً من رأس المال الاجتماعي والذي إذا اضمحل فقد لا نستطيع استرجاعه إلا بعد أجيال عديدة. وتلعب (العولمة) دوراً جوهرياً في تراجع الطمأنينة والثقة الاجتماعية بما تشيعه من أخلاق (الصفقة) بما تنطوي عليه من المساومة والخديعة، وإبراز المحاسن، وإخفاء العيوب؛ والأداة التي تستخدم في ذلك هي فن (الدعاية والإعلان)؛ حيث ينفق العالم اليوم على الدعاية ما يزيد على خمسمائة مليار دولار سنوياً. حين تثق بإنسان فإنك تعتقد أنه متين الخلق وصادق وناصح، وغير مخادع، وأعتقد أن من المسؤوليات الأساسية للخطاب الإسلامي اليوم تقديم نموذج يساعد على تدعيم الثقة الموجودة، واستعادة ما فُقد منها، وهذا النموذج يقوم على السعي إلى التزام الصدق بشكل مطلق، وخدمة الحقيقة والنصح الخالص للناس فيما يُصلح أمور دينهم ودنياهم. وأدنى درجات الصدق يتمثل في موافقة كلام المرء لمعتقده، فإذا كان صانع الخطاب يعتقد أن الأمة تمر بمرحلة حرجة جداً فعليه أن يجهد بذلك، ولو أنه بذلك قد يعرِّض نفسه لأن يوصم بأنه متشائم، وإذا كان يعتقد أن الجانب الروحي من حياة المسلمين يحتاج إلى عناية خاصة فعليه أن يعلن ذلك، ولو علم أنّه بهذا سوف يثير عليه من يرى أن الحديث في المسائل الروحية كثيراً يخفي وراءه نوعاً من الانحراف العقدي... وهكذا.

هناك إلى جانب هذا درجات من الصدق أسمى وأرقى، وهي تساعد على نحو قوي في تقوية الثقة وإنعاش الطمأنينة الاجتماعية، ومنها:

١ ـ الحرص على أن يكون الكلام مطابقاً للواقع، حيث إنّ الناس حتى يثقوا بنا لا يحتاجون إلى الاطمئنان إلى أننا نتحرى الصدق في كلامنا فحسب، وإنما يحتاجون إلى شيء آخر؛ وهو الثقة بأننا حيث نتحدث في أمرٍ مّا فإننا نعرف عن أي شيء نتحدث، ونعرف مسؤولية الكلمة، ونتحسس الآثار التي تترتب على الخطاب الجماهيري الواسع الانتشار. ويؤسفني القول في هذا السياق: إن كثيرين منّا يقرؤون الواقع قراءة متعجلة أو ناقصة أو سطحية، ولا يعرفون أنهم يفعلون ذلك، ومن ثم فإنهم لا يتهيبون إطلاق العبارات والكلمات الكبيرة! ومن الملاحظ اليوم أن كثيراً من الناس يهتمون بالاتساق الشكلي للتعبير بوصف ذلك جزءاً من (ثقافة الصورة) التي ترسخها الحضارة الحديثة على نحو واضح، وهذا كثيراً ما يكون على حساب عمق المضمون ودقة المعنى، وهذا يولِّد لدى الناس شعوراً بعدم الثقة بجدية ما يقال ومصداقيته.

٢ ـ حين يجد صانع الخطاب نفسه عاجزاً عن قول الحق والإعلان عن الحقيقة، فإن عليه حينئذ أن يسكت، حيث لا يُنسَب إلى ساكت قول. وأعتقد أن الحالة المثالية في مثل هذه الوظيفة تكمن في الحرص على اختيار المجال الذي يستطيع فيه المرء أن يتحدث عن كلّ أو جلِّ ما يريد. ولا ريب في وجود مشكلة في هذا؛ لكنه يظل أخف ضرراً من أن يقول المرء ما لا يعتقد، أو يشوِّه الحقيقة، أو يولِّد لدى الناس انطباعات خاطئة.

٣ ـ يُبدي العقل البشري كثيراً من الارتباك أثناء التعامل مع العبارات والجمل والكلمات التي تتحدث عن الكيف أو الصفة؛ وذلك بسبب عدم تمكن الإنسان من صياغة مصطلحات وتعبيرات دقيقة وحاسمة في التعبير عن هذا الأمر، وعلى سبيل المثال فإننا حين نقول: إن فلاناً كريم جداً، أو جبان أو حسن التدبير. فإننا نتحدث في الحقيقة عن معان نائمة، وعن أشياء نسبية، ولهذا فإن درجة اطمئنان الناس لتوصيفاتنا تظل منخفضة، وقابلة للاهتزاز في أي وقت. والأمر معكوس تماماً في حالة استخدام (لغة كمية) حيث إن العقل يُبدي براعة نادرة في الفهم حين نتحدث عن الأعداد والمساحات والمكاييل والأحجام، ومن ثم فإن بلاغة الرقم هي بلاغة العصر الحديث، وإذا أردنا للناس أن يثقوا بما نقول فلنكثر من استخدام الأرقام الموثوق بها قدر الاستطاعة، مع الانتباه إلى ما يمكن أن نسمّيه (المتاجرة بالأرقام)، بسبب قابليتها الشديدة للتزوير والتزيُّد والمبالغة.

شيء آخر يعزز الطمأنينة الاجتماعية ويدعم التلاحم الأهلي؛ وهو عمل الخير، حيث إن روح التطوع والعطاء المجاني حين تصبح سمة ظاهرة في المجتمع، فإنها تخفف من حدة الشعور بالمنافسة، وحدة الشعور بارتهان الناس للمصالح والمنافع الشخصية، والذي كثيراً ما يدفع إلى الكذب والخديعة والقطيعة، ومن هنا نجد النصوص الكثيرة التي تحث الإنسان المسلم على بذل المعروف، وقضاء حاجات إخوانه، ومساعدة ذوي الظروف الصعبة، والاحتياجات الخاصة. كما نجد النصوص التي توضِّح الثواب العظيم لفاعل الخير ومقدم الخدمة المجانية.

بناء الثقة الاجتماعية يتطلب حرصاً أقل على الأمور المادية، واهتماماً أشد بالمعنويات والاعتبارات الأخلاقية، وهذا يشكل تحدياً كبيراً لنا جميعاً.

... والله المستعان في كل حال.

نص شعري

هدى غزة

والجريمة التي اقترفها الصهاينة المعتدون تحت سمع العالم وبصره

«والعرض مستمر»

علي العيسى

وصرختِ صرخةَ موجَعٍ ... وأعدْتِ.. لكنْ لا صدَى
وأعرْتِ سمعك علّه ... يلقى جواباً للنُّدا
قولي بربك يا هُدى: ... أوَجدتِ شهماً مُنْجِدا؟!

* * *

ماذا فعلتِ بنا هدى؟! ... عرّيتِ.. فانكشف الصّدا
وبدت مهازلُ ضعفنا ... بل ما تستّر قد بدا
متنا.. ومات ضميرنا ... هَزَأت بنا رِمَمُ العدى
وتتابعتْ صفعاتهم ... وهواننا فَقَدَ المدى
«عشنا» معيشة تافه ... وحقارةٍ فوق الردى
وجهادنا في غِمْدِهِ ... أمسى سجيناً مفرَدا
وطموحنا نسي الشجاعة ... فاستقلّ المرقدا
نلهو مع الماضي بلا ... وعيٍ.. ليوقظنا غدا
والقدس أمسى فكرنا ... عنها بعيداً مبعَدا
فينا شجاعة عنترٍ ... لكن على أهل الهدى

* * *

بئس الذليل لـ«شيكل» ... والمقتدي والمقتدَى
«مَهْرُ البغيِّ» لمخبرينَ ... عقولهم ذهبت سدى
أُلْهُوا بغثٍّ مطامعٍ ... شُغِلوا بزيف المنتدى
هم لاحقوا أبطالهم ... ممن أحبّوا أحمدا
لكنهم ما أدركوا ... أنّ الكرام المحتدا
وَعَدُوا العدوَّ بدحره ... أخذوا لِعَدْنٍ موعدا
لا ترجُ خيراً في الذي ... تجفو خطاهُ المسجدا

* * *

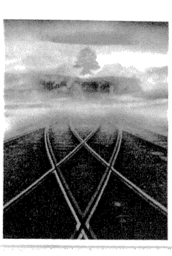
لا تيأسي أختي هدى ... فلسوف يندم مَنْ بدا
صبراً.. فإن الصبر آ ... خره جوائزُ للفدا
صبراً جميلاً.. بأسه ... للنصر أضحى مُنشِدا
حبلٌ قصيرٌ عنفهم ... وكفاحنا أقوى يدا
فرجٌ قريبٌ قادمٌ ... ولسوف يعقبه الندى
الصبر نِعْمَ المنتهى ... والصبر نِعْمَ المبتدا
الله أقدرُ يا هدى ... والله أكبر يا هدى

لبنان

عندما تذهب السكرة... وتجيء الفكرة

المسلمون والعالم





لبنـــان
عندما تذهب السكرة... وتجيء الفِكرة

بأبي أنت وأمي يا رسول الله! أعظمْ بك من نبي كريم رحيم. لقد كان رسول الله ﷺ يوصي جيوشه التي تخرج للقتال في سبيل الله بأن لا يقتلوا امرأة ولا طفلاً، وقد كانت هذه صورة وضاءة في جبين الدهر، وقد عمل بها قادة الجيوش الإسلامية، ولم يخالفوها، ولو قُدِّر أن أحداً من القادة أخطأ في ذلك وقف العلماء في وجهه. فإذا ولَّينا وجوهنا تجاه صورة أخرى مقابلة نجدها صورة معتمة مظلمة مثل ظلمة الليل البهيم، فإننا نجد علماء اليهود (الأحبار) عليهم من الله ما يستحقون، هم الذين يفتون جيوشهم بجواز قتل النساء والأطفال، وكم شهدنا لذلك من مجازر كثيرة لأولئك المساكين من النساء والأطفال الذين تقطعت أجسادهم أشلاء متناثرة وهم لا حول لهم ولا قوة، مشاهد يندى لها جبين الإنسانية. لقد بلغ من سريان هذه الروح الإجرامية أنها وصلت حتى للأطفال؛ فهاهم أطفال اليهود يكتبون على أدوات القتل التي يقذف بها الجيش اليهودي أهل لبنان: (هدية من أطفال اليهود إلى أطفال لبنان) فيما يعد من أشد صور الاستخفاف بحياة الأطفال. ألا ما أقبحها من هدية، وما أقبحهم من مُهدين! فلكم الله يا أهل لبنان بعد أن تخلى عنكم الكثيرون وأسلموكم للذبح على أيدي جزارين لا يقيمون لحياة المسلمين وزناً، كما قال الله - تعالى - عنهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

لقد تباينت مواقف بعض الدعاة من أحد طرفي الحرب الدائرة؛ بينما لم يحدث اختلاف بينهم في موقفهم من عدوان اليهود وظلمهم وبغيهم وإمعانهم في القتل والتشريد، والعالم كله شاهد على هذا الطغيان، وفي هذا الملف نحاول أن نبين ما وراء هذه الحرب المخزية من حيث دوافعها وأهدافها والأطراف المشاركة فيها وفي مصلحة من تصب، واستشراف نهايتها وما يمكن أن يترتب عليها؛ فإلى هناك!









الاشتراك الممتاز

٦٠٠

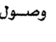
الحصول على جميع إصدارات البيان (موسوعة المنار، موسوعة البيان)
وصـول المجـلـة عبر البريد شهـرياً مع سـاعة الفجر .



اشتراك الفجر

٢٢٠

وصـول المجـلـة عبر البريد شهـرياً مع سـاعة الفجر .
....



الاشتراك العادي

١٢٠

وصـول المجـلـة عبر صندوق البريد شهـرياً.
....




اشتراك المراكز الإسلامية

١٠٠

المساهمة في نشر العلم الشرعي من خلال إيصالها لمركز
من المراكز الإسلامية في العالم ....



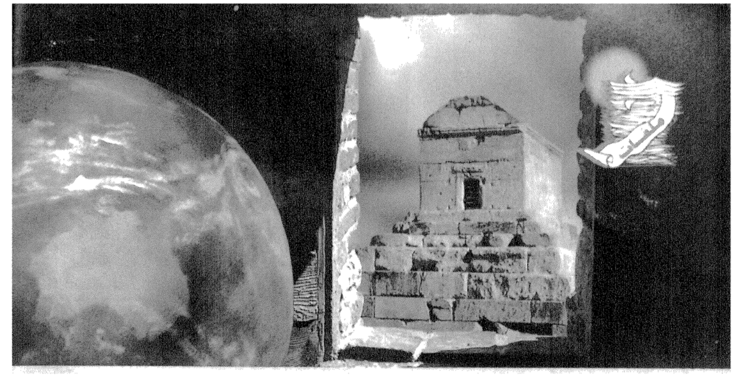

اشتراك الصحبة

٨٥

تخفيض ٣٠٪ من قيمة الاشتراك ، مع إيصال المجلة حتى مقر الصحبة
والحصول على هدية مجانية بشكل دوري .

❖ اشتراك مجاني لكل صحبة - لا تقل عن (١٥) اشتراك .

الرياض	الدمام	مكة	جدة	القصيم	أبها
٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢	٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩	٠٥٠٧٢٦٦١٢٠	٠٥٠٦٤٦١٠٥٧	٠٥٠٢٢٢٠٦١٦	٠٥٠٦٤٦١٠٥٨



أزمة الخليج الرابعة

العالم... ونوايا إيران النووية

د. عبد العزيز كامل
kamil@albayan-magazine.com

لن نبتعد كثيراً عن الأحداث الراهنة في لبنان، ونحن نستأنف الحديث عن أزمة الخليج الرابعة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران بشأن ملفها النووي؛ حيث إن هذه الحرب، لا يمكن فصلها عن الأزمة المزمنة بين الأمريكيين والإيرانيين؛ فالحرب في لبنان، هي مظهر من تداعيات تلك الأزمة، وإن جاءت مبكرة، على غير المتوقع في التداعيات التي تأتي عادة متأخرة بعد الأزمات.

الحرب التي نشبت بين دولة اليهود، و (دويلة) «حزب الله» هي نموذج بارز لحروب الوكالة التي ستتعدد على أرضنا بين الغرب وإيران، وهي تعيد الأذهان إلى ما كان من صراع قديم بين الفرس والروم على أراضينا، تديره أطراف تابعة لهذه الجهة أو تلك.

نحن أمام مشروعين للهيمنة: أحدهما: عُرفت معالمه وظهرت تحالفاته وتبيَّن الكثير من تفصيلاته، وهو مشروع «الإمبراطورية الأمريكية» المعروف أيضاً بمشروع (القرن الأمريكي الجديد) الذي يخطط الأمريكيون لأن يكون منطلقه هو الشرق الأوسط الكبير أو العالم الإسلامي.

أما المشروع الثاني: فهو مشروع الأطماع الفارسية المنافس له، والذي يطمح إلى استكمال مخطط (إيران الكبرى) التي يسيطر فيها الفرس الصفويون على الأرض الممتدة من البحرين إلى لبنان، مروراً بكل دول الخليج والعراق وسورية.

وتعليقاً على أحداث الحرب التي جرت على أرض لبنان دون مقدمات أو إرهاصات؛ فإني لا أرى في تلك الأحداث، إلا جزءاً من التنافس القائم والقادم بين الفرس والروم المعاصرين على بقاع عديدة من أراضينا، كانت لبنان المحطة الثانية فيها بعد العراق.

المشروع الإيراني الفارسي للهيمنة، بدأ منذ أيام شاه إيران السابق، ولكنه تطور بعد مجيء الخميني، ليتطلع الثوار الإيرانيون إلى التمدد في الخارج عن طريق ما يسمى بـ (تصدير الثورة)، وكانت الأعين على بلدين أساسيين، هما العراق ولبنان، إضافة إلى بلدان أخرى، ولهذا زرعت إيران فروعاً لـ (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية) بعد تأسيسه عام ١٩٨١ في طهران، كان منها: (حزب الدعوة العراقي) و (حركة العمل الإسلامي في العراق) وما يسمى بـ (الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين) و (منظمة الثورة الإسلامية في شبة الجزيرة العربية) و (حركة أمل الإسلامية) التي انشقت عن حركة أمل الشيعية ثم تحولت بعد ذلك إلى ما يسمى اليوم بـ (حزب

الله).

ولأن التركيز كان على كل من العراق ولبنان، فقد تكثفت جهود الإيرانيين على تقوية فرعي الثورة الإيرانية في كل من العراق ولبنان، إلى درجة تحويلها إلى ميليشيات مسلحة جاهزة للاستعمال عندما تسنح الفرصة.

وقد سنحت الفرصة في العراق، وكلنا يعلم كيف كان دور شيعة العراق في محاولة استغلال غزو الأمريكيين لأرض الرافدين لمصلحة إيران ومصلحة شيعة العراق فحسب.

أما في لبنان فقد تحول حزب الله فيها إلى دولة داخل الدولة، وحاول ملء الفراغ القاتل الذي فرضته الأنظمة العربية المجاورة لدولة اليهود، حتى برز كمقاوم وحيد لليهود من خارج فلسطين.

إيران دخلت في الشهور الأخيرة فصولاً خطيرة لمخطَّطَيْن رهيبين: أحدهما: مخطط ابتلاع العراق وفرض الذلة الدائمة على أهل السنة فيه، إذا حدث أي تقسيم على الأرض. والثاني: السعي لامتلاك السلاح النووي الذي يمكِّن إيران من أن تملك السلاح النووي لتصبح قوة متنفذة في المنطقة، ولتبقى الدول العربية وحدها مكشوفة بين شرين نوويين: أحدهما يهودي، والآخر رافضي. وقد كان تحريك أزمة مفاجئة ومفتعلة في لبنان، جزءاً من التغطية وشراءً للوقت للمضي قدماً في هذين المشروعين، إضافة إلى اختطاف البطولة الحقة لأهل السنة على أرض الرافدين وفلسطين وأفغانستان والشيشان، ولصنع نموذج «بطولي» آخر، يستفيد منه الشيعة في مشروع المد الرافضي الذي انكشف عواره في أحداث العراق.

◎ ونعود إلى الملف النووي الإيراني:

أحفاد الروم اليوم من الأمريكيين والأوروبيين؛ يأتون على رأس الأمم المتحدة علينا والمتداعية ضدنا بأطماعها الاقتصادية، ومشاريعها السياسية وخططها العسكرية، وطروحاتها الثقافية الحضارية؛ ليندرج كل ذلك تحت مشروع هيمنة جديدة تسوق إليها أطماع إمبراطورية أمريكية مدعومة بتحالف غربي أوروبي، يريد أن يتقاسم مع الأمريكيين مقدرات الشرق الإسلامي في حملات صليبية جديدة؛ لذلك كان من أهم أسس هذا المشروع، أن يركز الغرب لحين من الدهر، على تحطيم كل عوامل الممانعة في أمتنا: سياسياً واقتصادياً وحضارياً، ليكون على رأس أجندة (تحطيم الممانعة) كسر إرادة المقاومة الحقيقية الصادقة في جبهات النزال عسكرياً، وتوهين الصمود على الهوية حضارياً.

ولأمريكا على وجه الخصوص أجندة متشددة ومتجددة، تهدف إلى ضرب مشروع المقاومة الحضارية والجهادية في أمة الإسلام، لضمان السيطرة عليها لعقودٍ قادمة، ولأجل هذا تحرص على الاحتفاظ بالتفوق الشامل على المستوى العالمي، وتحرص في الوقت نفسه على الاحتفاظ بالتفوق الشامل لدولة اليهود على المستوى الإقليمي، أو على مستوى (الشرق الأوسط الكبير) أو (الجديد) المزعوم، مع ضمان حرمان العرب والمسلمين من أي قدرات رادعة أو ممانعة، يمكن أن تصنع في يوم من الأيام أملاً في تحقيق توازن للقوى.

وعندما تنحاز الولايات المتحدة لهذا الخيار العدائي السافر ضد أمتنا؛ فهي هنا في الحقيقة لا تفرق بين عرب وعجم، أو بين سنة وشيعة، أو حتى بين إسلاميين وعلمانيين - إذا كانوا صادقين في دعاواهم القومية أو الوطنية.

وتأتي الحملة العالمية التي تقودها أمريكا ضد إيران في هذا السياق؛ ففي يقيني أنه بالرغم من تلاقي الكثير من المصالح المؤقتة بين طهران والأمريكان، إلا أنهم سيغدرون بالشيعة في النهاية، وسوف يستخدمونهم كعصي يضربون بها ما حولها، ثم يعودون عليها بالكسر والتحطيم؛ فالعداء بين أمريكا وحلفائها من الأوروبيين من جهة، وبين إيران من جهة ثانية، تمده أحقاد موصولة بين الأجداد والأحفاد من الفرس والروم، كما فصّلت في مقال سابق[1].

لكن هل يدرك الإيرانيون وأشياعهم هذا؟ وهل يعملون لمواجهة ذلك على المستوى العاقل الرشيد؟! أشك في ذلك، بل أوقن أن الإيرانيين يسيرون في طريق استدراج ليس في صالحهم ولا في صالح أمة الإسلام حولهم؛ فالتعصب المذهبي، قد ورَّثهم نوعاً من العمى السياسي الذي قادهم إلى طريق منفرد وعر مظلم معزول عن بقية العالم الإسلامي الذي يتشدقون بالانتماء إليه والغيرة عليه.

كنا سنفرح لو كانت قدرات الإيرانيين النووية درعاً لنا، وردعاً لأعدائنا، ولكن السياسات المعلنة، والمواقف المفضوحة ضد السواد الأعظم من الأمة - وهم أهل السنة والجماعة - لا تبشر بخير، ولا تنم عن أن قوة إيران ستكون قوة للمسلمين، وتشهد على ذلك أحداث العراق وأفغانستان، حيث صرح نائب الرئيس الإيراني (إمام علي أبطحي) بأنه «لولا إيران، ما استطاعت أمريكا أن تغزو العراق ولا أفغانستان»!

○ خوف إيران... والخوف من إيران:

ربما يبدو الحرص الإيراني على حيازة السلاح النووي منطقياً، في ظل إصرار الولايات المتحدة على اعتبار إيران الضلع الثالث في محور الشر - كما أعلن بوش في مبدأ ولايته، وبما أن الولايات المتحدة قد كسرت الضلع الأول من هذا المحور، وهو عراق صدام، فلا يمكن ضمان سكوتها عن الضلع الثاني وهو إيران نجاد، المتعاونة مع الضلع الثالث، وهو كوريا الشمالية.

أمريكا تجتهد - بقصد أو بدون قصد - في تأكيد مخاوف، فهي - وبرغم بعض التحالفات التكتيكية المؤقتة - لا تزال تكدس لإيران الذرائع، وتجدد التهديدات بتوجيه ضربات عسكرية لها إذا لم تتخل عن برنامجها النووي. والولايات المتحدة تترك لكل من ألمانيا وإنجلترا وفرنسا وروسيا جهود إقناع إيران لتتخلى عن برنامجها النووي دبلوماسياً، بينما تتفرغ هي للانهماك في التخطيط السياسي والعسكري لإجبار إيران على التخلي عن هذا البرنامج طوعاً أو كرهاً، وهي لا تكتفي بالخطط التي تسربها بين

(١) (أزمة الخليج الرابعة هل تعيد الصراع بين الفرس والروم) في العدد ٢٢٦ لشهر جمادى الأولى الماضي.

الحين والآخر لسيناريوهات الضربة التي ستوجه إلى نحو ٤٠٠ موقع استراتيجي في إيران، بل تتحدث بعض الأنباء عن بدء تحرك أمريكي في جنوب إيران عن طريق عملاء استخبارات، يسعون لرسم تصورات ميدانية لتفاصيل الضربة العسكرية.

ويزيد من مخاوف إيران، أن أمريكا ليست هي فقط التي تتوعدها وتهددها وتقدر على إيذائها، بل إن الإسرائيليين أيضاً يسابقون الأمريكيين في ذلك، وقد هددت الدولة العبرية أكثر من مرة، بأنها ستقدم على تحرك عسكري منفرد ضد البرنامج النووي الإيراني، إذا تلكأت أمريكا في ذلك.

و (دولة العدو الصهيوني) لا يمكن أن تترك خطر حيازة إيران للأسلحة النووية للظروف أو المصادفات، ولن يقنعها الاكتفاء بالجهود الدبلوماسية أو الضغوط الاقتصادية؛ فقد سبق أن تخطت دولة اليهود كل الحواجز الجغرافية والسياسية والعرفية والقانونية، لتوجه ضربة إلى المفاعل النووي العراقي في أوائل الثمانينيات، وسبق أن هددت بضرب المفاعل النووي الباكستاني في منتصف الثمانينيات قبل أن تنجح باكستان في إنتاج القنبلة النووية في التسعينيات.

إذاً لإيران ما يسوِّغ مخاوفها من تربص الصهاينة بها، ولو على المدى البعيد؛ فمنذ عام ١٩٧٣م بدأت دولة اليهود في توسيع دائرة الأمن الإستراتيجي لها، لتتعدى دول الجوار، بل الدول العربية كلها لتشمل كل بلدان العالم الإسلامي التي لا تعترف بدولة اليهود. وفي هذا الإطار جاءت محاولات الدولة الصهيونية لضرب المفاعل النووي الباكستاني. ويأتي استهداف إيران ضمن هذه المنظومة؛ ففي عام ١٩٩٧ أعلن في تل أبيب عن إبرام صفقة لشراء ٣٥ طائرة من طراز (إف ١٦) الأمريكية بعيدة المدى، وهذا المدى البعيد ليس موجهاً مثلاً إلى دول الجوار أو الاتحاد الأوروبي أو حتى دول الاتحاد الروسي، ولكنه موجه إلى دول العالم الإسلامي (بعيدة المدى) عن الدولة العبرية وفي مقدمتها إيران. وبعد تلك الصفقة، عقدت دولة اليهود صفقة أخرى لشراء ١٠٢ طائرة (إف ١٦) معدلة وهي (إف ١٧) الأبعد مدى. وقد بدأت في تسلمها منذ عام ٢٠٠٤، وكل تلك الطائرات، لم تكن بعيدة عن هاجس الخطر الإيراني، حتى اشتهرت داخل الكيان الصهيوني بـ (طائرات إيران) وهي تسمية جرى تعديلها بعد ذلك لتسمى بـ (صفقة العاصفة).

وطورت دولة (الصهاينة) أيضاً منظومتها الصاروخية الهجومية، لتصل إلى ألفي كيلو متراً، ودعمت أسطولها البحري بـ ٣ غواصات نووية ألمانية الصنع، أدخلت عليها تعديلات تمكنها من حمل وإطلاق صواريخ محملة برؤوس نووية. وقد تسببت صيحات أحمدي نجاد عن محو (دولة العدو) من الخريطة، في حصول تلك الدولة على وعد ألماني بالحصول على ٣ غواصات من الطراز نفسه.

والاستعدادات الصهيونية التي تضاعف المخاوف الإيرانية، ليست مؤجلة إلى المدى البعيد، لكنهم في عجلة من أمرهم على ما يبدو؛ لأن إيران - كما قال (مائير دوجان) رئيس الموساد الصهيوني؛ ستحصل على اليورانيوم المخصب خلال سنة أو سنتين على أقل تقدير، إذا لم يتم التخلص من برنامجها النووي، أما إذا استمرت على وتيرتها في النشاط؛ فإن حصولها على السلاح النووي، سيصبح مجرد مسألة فنية.

أما خوف الأطراف المعنية من النوايا النووية الإيرانية، فمبعثه عدة أمور. منها:

- ما يقوله الأمريكيون من أن دعاوى الإيرانيين بشأن الأهداف السلمية لبرنامجهم لا تبدو منطقية؛ لأن المفاعلات النووية تكلف إيران مليارات الدولارات بالعملة الصعبة، رغم أنها غير ذات جدوى كبيرة من الناحية الاقتصادية، نظراً لغنى إيران بالنفط والغاز الطبيعي، وهو ما يغنيها عن الطاقة النووية.

- ومنها: أن إيران بَنَتْ مفاعلاتها النووية في الجنوب، بينما توجد منشآتها الصناعية في الشمال، وهو ما يقلل إمكانية الاستفادة من المفاعلات في المجال السلمي.

- ومنها: - كما يقول الأمريكيون - أن إيران بنت العديد من المنشآت السرية النووية، ولو كانت نواياها سلمية، لما حرصت على تلك السرية.

- ومنها: أن إيران أقامت بالفعل منشآت خاصة بتخصيب اليورانيوم الذي يستخدم في صناعة الأسلحة النووية، وتمكنت من تخصيبه، كما أعلن ذلك أحمدي نجاد مؤخراً.

- ومنها: أن إيران لم تتعاون التعاون الكامل مع الوكالة الدولية للطاقة النووية التابعة للأمم المتحدة، كما صرح بذلك رئيس تلك الوكالة (محمد البرادعي) حيث قال: إنها تخفي معلومات خطيرة تتعلق بمفاعلاتها النووية.

- ومنها أن الأقمار الصناعية - كما كشفت الأنباء - أظهرت مواقع لا يعرف عنها المفتشون الدوليون شيئاً، وقد بثت صور تلك المواقع على شاشات التلفزة العالمية.

وإضافة إلى هذه المخاوف العسكرية من إيران، فهناك مخاوف اقتصادية؛ حيث يخشى الأمريكيون من توجه إيراني نحو تنفيذ خطة لتحويل عملة التبادل النفطي من الدولار الأمريكي إلى اليورو الأوروبي؛ فقد أعلنت إيران في شهر يونيو/ حزيران ٢٠٠٤، عن أنها تنوي إنشاء بورصة للنفط، تستخدم فيها اليورو، بدلاً من الدولار، وقد وجدت أنصاراً لفكرتها من بعض الدول المنتجة للنفط، وهو ما تعده أمريكا إعلاناً للحرب، يمكن أن يؤدي إلى انهيار الاقتصاد الأمريكي.

لقد كان هذا التوجه الاقتصادي النفطي نحو أوروبا أحد أسباب إصرار أمريكا على الإسراع بإسقاط نظام صدام حسين، وكان احتلال العراق فرصة لتثبيت قيمة الدولار في الأسواق النفطية، وجاء هذا الاحتلال خطوة على طريق السيطرة على نفط العالم الإسلامي أو (الشرق الأوسط الكبير) في سياق مخططات (النفط مقابل الديمقراطية)، ويجيء التحرش الأمريكي بإيران خطوة أخرى في هذا المسار، حيث يمثل نفط إيران، رابع مستودع نفطي كبير في بلاد المسلمين، بعد بترول الخليج والعراق وبحر قزوين، ولهذا يتضاعف حماس أمريكا لنشر «ديمقراطيتها» في إيران، وفي بقية البلدان البترولية العربية كخطوة أساسية على «خريطة الطريق» (النفطقراطية)!.

ويضاف إلى تلك المخاوف والأطماع، أن لأمريكا قائمة من الاتهامات ضد إيران؛ فهي تتهمها بأنها أصبحت (مستودع الإرهاب الدولي)، وأنها تحول بين العراق وبين إرساء «قيم الديمقراطية»، وأنها تقف وراء (تعنت) سورية، و (تشدد) حزب الله في لبنان و (تماسك) حركتي حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، وتتسبب في عدم الاستقرار في منطقة الخليج، وبذلك تكون الولايات المتحدة قد أعدت (لائحة الاتهام) بانتظار إجراء المحاكمة العلنية من خلال المنظمات الدولية التي تديرها بالوكالة عن العالم؛ حيث يتوقع أن تصدر الولايات المتحدة حكمها من خلال تلك المنظمات الدولية بأن إيران تستحق العقوبات الرادعة، ثم الضربات الموجعة.

● محور الشر... أم محور الشرق...؟

مخاوف الروم المعاصرين، من الفرس الناهضين ليست مقتصرة على إيران الثورية بأحلامها الفارسية، بل إن الصراع الأزلي بين الشرق والغرب، يلقي بظلال أخرى على تلك المخاوف والهواجس؛ فعلاقات إيران مع غرماء الغرب التاريخيين، لا تطمئن الغربيين؛ فهناك ثلاث دول على وجه الخصوص في الشرق، يقترن اسمها في أدبيات الغرب المعاصرة بالشر، وهي: الصين، وروسيا، وكوريا الشمالية؛ وهذه الثلاث هناك ما يشبه التحالف بينها وبين إيران.

لولا روسيا مثلاً لما نشأت الأزمة الأخيرة مع إيران بخصوص برنامجها النووي، فروسيا هي المورِّد الرئيس للتقنية النووية لإيران، وهي التي زودتها بالمفاعلات النووية التي يجري بها تشغيل محطة بوشهر في الجنوب الغربي لإيران. وحرص روسيا على التعاون النووي مع إيران، ليس حباً فيها أو رغبة في الوقوف معها، ولكن طمعاً في المكاسب الاقتصادية الضخمة التي تحصل عليها من جراء ذلك التعاون المهم في حل الأزمات الاقتصادية للاتحاد الروسي.

أما الصين، فيُهمُّها أيضاً أن تكون إيران حليفاً لها، ولو مؤقتاً في مواجهتها لنفوذ الغرب، ولهذا تمد إيران بالغاز الضروري في تخصيب اليورانيوم، ولكن الصينيين الجامعين بين الشرين (الوثنية والشيوعية) لا يُنتظر منهم أن يقوموا بدور أقل من دور الروس، في دفع إيران إلى الهاوية، بعد استعمالها كأداة وقتية للمشاكسة.

ويجيء دور كوريا الشمالية (الضلع الثالث في محور الشر) لتكتمل معالم الصورة التي تريد أمريكا تسويقها للعالم، عن تحالف «الشر» الشرقي ضد العالم «الحر» الغربي. فقد زودت كوريا الشمالية إيران بصواريخ قادرة على حمل الأسلحة النووية، وساهمت بذلك في تهيئة المسرح الدولي لما يسميه الأمريكيون بـ (الهرمجدُّون النووي).

● العرب في العراء

النظام العربي بوجه عام، والخليجي بوجه خاص، لا يخفي مخاوفه من برنامج إيران النووي؛ فإذا حصلت إيران على السلاح النووي، فسيبقى العرب منفردين، هم الكتلة السكانية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط المجردة من السلاح النووي، وهنا قد يكون العرب قد وقعوا بالفعل بين فكي الكماشة النووية: الإيرانية، والإسرائيلية.

ومثلما يتقاذف الغربيون والإيرانيون بالاتهامات والتسريبات، يتبادل العرب والإيرانيون المخاوف والشكوك. ولم تفلح سنوات أكثر من ربع قرن مضى على اندلاع حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران - أو بالأخرى بين العرب والإيرانيين - في تبديد شكوك الطرفين من اندلاع حرب رابعة في الخليج العربي، يكونان معاً وقوداً لها وساحة للهيبها.

فدول الخليج تتخوف - وحُق لها التخوف - من أن يتحول برنامج إيران النووي (السلمي) إلى حرب عليها، تدمر ما لديها من ثروات ومقدرات، بدءاً من الماء والكهرباء، ومروراً بالغذاء والدواء، ووصولاً إلى صور من الاحتلال وفقدان للاستقلال مع فساد البيئة وتلوث الهواء.

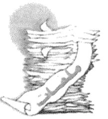
إن كل الدول المطلة على الخليج العربي تستخدم مياهه في الشرب والاستعمال الحياتي والزراعي بعد تحليتها، وأي تلويث لهذا الماء بتأثير الإشعاعات النووية، سيكون كارثة على تلك البلاد، كما أن محطات الطاقة الكهربائية التي تضيء مدن الخليج العامرة، تعمل بمياه الخليج، وتلك المياه هي المنفذ الوحيد لتلك الدول لإيصال ثرواتها القومية من البترول إلى أرجاء العالم، وهذا الخليج المغلق - إلا من منافذ ضيقة كمضيق هرمز - سيكون إغلاقه خنقاً للخليجيين على البر، وحبساً لكل ما هو داخل البحر، من سفن ومركبات تجارية وعسكرية.

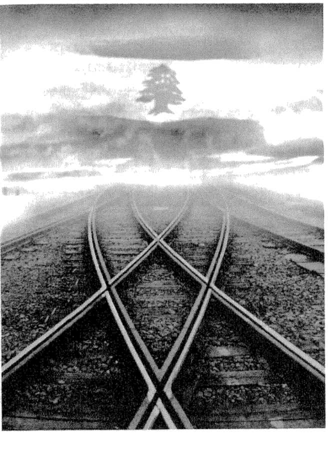
ومثلما لدول الخليج العربي وغيرها مخاوفها الجادة من البرنامج النووي الإيراني، فإن لإيران شكوكها أيضاً من قيام دول الخليج بتقديم «تسهيلات» لأمريكا لكي تجهز عليها، كما حدث مع العراق. وفي محاولة لتبديد تلك الشكوك والمخاوف ذهب (هاشمي رافسنجاني) رئيس مصلحة تشخيص النظام في إيران إلى الكويت، ليردد بعدها أنه حصل على «ضمانات بعدم التسهيلات» في عملية ذبح إيران التي تخطط لها أمريكا.

لكن المخاوف الإيرانية لا تأتي من الكويت وحدها، فقد أوردت صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ١٨ مايو ٢٠٠٦، رواية صحفية تقول إن (أحمدي نجاد) وجه لأمير قطر أثناء زيارته الأخيرة لطهران سؤالاً فيه حدة وجفاء وعدم دبلوماسية قائلاً: «ما هي وظيفة القواعد الأمريكية الموجودة في قطر، وما هو دورها إذا وقع صدام بين أمريكا وإيران»؟ فبيَّن الأمير أنها مجرد مراكز تموين وتخزين وإسعافات طبية، لن تستعمل كتسهيلات ضد أحد من دول الجوار، فرد عليه (أحمدي نجاد) بأسلوب حاد: «اسمع يا شيخ حمد! عليك أن تعرف أن أول صاروخ ستطلقه إيران في حال تعرضها لهجوم أمريكي، سيكون من نصيب قطر؛ لأنها أصبحت قاعدة أمريكية في الخاصرة الإيرانية!».

فهل تسفر حرب لبنان عن معطيات جديدة، يمكن أن توجه مسار الصراع الدائر بين الغرب وإيران على أرض العرب؟! وهل يمكن أن تكون سبباً في تعجيل أو تغيير سيناريوهات المواجهة؟!

ارجو أن يكون لنا لقاء آخر حول هذا الموضوع.





الحرب على لبنان

بين المشروع الأمريكي والإيراني

لا يخرج العدوان على لبنان عن مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تريد الولايات المتحدة زرعه في المنطقة العربية والإسلامية، والذي يشكل تقاطعاً مع المشروع الإيراني الإقليمي. لبنان بطبيعته بلد شديد التعقيد من الناحية السياسية، وتجتمع فيه كل التناقضات الاجتماعية الطبقية، والدينية الطائفية والمذهبية، وترتبط به وفيه العديد من القوى الإقليمية والدولية التي تتلاقى مصالحها في بعض الأحيان وتختلف في كثير منها.

علي حسين باكير(*)

هذا التوصيف الواقعي لحالة لبنان ينطبق على الحرب التي شُنّت عليه من قِبَل الدولة الصهيونية. فهذه الحرب كانت تتماشى مع التراكمات الكبيرة لهذه التناقضات التي تجتمع فيه نتيجة لتضارب المصالح الإقليمية والدولية. ومن الطبيعي أن يكون لبنان ساحة للانفجار وضحية له لكونه الخاصرة الرخوة والأضعف في الشرق الأوسط.

من جهة أخرى، فإن الحديث عن «حزب الله اللبناني» يحتاج إلى توصيف بسيط وكلام دقيق خاصة في هذه المرحلة؛ فإن صارحنا الجميعَ والناسَ بالحقائق التي تخالف التيار العام تمّ اتّهامنا بأنّنا نروّج لمنطق الدولة الصهيونية، وبدا وكأنّ صوتنا صوت نشاز في السياق العام، وإن تكلّمنا بالمديح والدعم نكون قد خدعنا أنفسنا وخدعنا الآخرين ونحن نعرف حقيقة الأمر.

كما أن من المفيد أن نشير إلى أنّ أكبر خطأ قد يرتكبه أي قارئ أو متابع للأحداث هو التطرق إلى حزب الله من خلال واقعة معينة أو حدث معين متجاهلاً السياق العام للحزب وتوجهاته.

(من المفيد مراجعة مقال: «مستقبل حزب الله» الذي نشرناه في مجلة البيان سابقاً للوقوف على أسس لتقييم أداء الحزب وأجندته وعلاقته مع سورية وإيران)[1].

◎ البعد الداخلي للحرب اللبنانية (الطوائف وامتداداتها ومصالحها):

أرسى اتّفاق الطائف في عام ١٩٨٩م أسس قيام دولة لبنانية بعد انتهاء الحرب التي مرّ بها. ونصّ هذا الاتفاق الذي يعتبر أساس التوافق بين جميع الطوائف اللبنانية من بين ما نص عليه سحب سلاح جميع الميليشيات اللبنانية. وبالفعل تمّ سحب كل الأسلحة من قِبَل سورية التي تدخّلت في الحرب اللبنانية قبل ذلك بناءً على طلب أمريكي لدفع المقاتلين الفلسطينيين خارج

(*) باحث في العلاقات الدولية.

(١) انظر العدد: (٢٢٣) ص ٧٤، بعنوان، رؤيه في حاضر ومستقبل حزب الله اللبناني.

لبنان. الاستثناء الوحيد الذي سمحت به سورية هو «حزب الله» الذي أبقت سلاحه، بل زوّدته مع إيران بأسلحة متطورة مع مرور الوقت. الداخل اللبناني امتعض جداً من هذا الوضع خوفاً على فقدان التوازن الطائفي الذي يعتبر أن وجود سلاح مع الطائفة الشيعية يعطيها أفضلية على بقية الطوائف، خاصة بعد تحرير الجنوب في عام ٢٠٠٠ حيث كان الحزب قد أنجز عدداً من الأهداف (كتحرير جنوب لبنان، إطلاق سراح عدد من الأسرى... وغيرها) التي عمل بواسطتها على رفع شعبيته ونشر إيديولوجيته وبث سياسته بين العامة في لبنان وخارج لبنان بمساعدة سورية وإيران.

وقد وصل هذا الامتعاض إلى ذروته إثر اغتيال الحريري، فاستغل المجتمع الدولي هذه الأجواء وأصدر مجلس الأمن القرار ١٥٥٩ الذي ينص ضمناً على سحب سلاح حزب الله.

ترك المجتمع الدولي للبنان فرصة حل مشاكله الداخلية ونزع سلاح حزب الله، إلاّ أنّ الحوار الذي أقاموه بدا وكأنه خوض في المجهول وهرولة في دائرة مغلقة. كان جميع اللبنانيين يسعون إلى تشكيل قرار موحد فيما يتعلق بمصير لبنان بعد خروج السوريين منه، وبدا حزب الله بشكل أساسي وكأنه خروج عن هذا الإجماع. فإذا كانت حجّة إبقاء سلاحه هو مقاومة العدو، فعندها لا يجوز احتكار المقاومة وحصرها بشكل طائفي لأهداف معروفة تفيد إيران وسورية خارجياً بالدرجة الأولى والطائفة الشيعية داخلياً. النقاش الذي كان يدور في الحوار بين اللبنانيين هو أنّه لا يمكن السماح للغرب بسحب سلاح حزب الله؛ لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى مضاعفات داخلية سلبية لا يحمد عقباها، وهو ما يعني أنّه سيتم تخوين جميع الطوائف اللبنانية. وفي المقابل يجب على حزب الله أن ينزع سلاحه بنفسه، وأن يعي أنه من غير المسموح به من الآن وصاعداً أخذ قرار انفرادي من قِبَله وجر كل الشعب اللبناني وراءه دون استعداد؛ ليكونوا محرقة لبرنامجه الخاص الداخلي والخارجي.

◎ البعد الخارجي (المشروع الأمريكي والإيراني):

هناك مشروعان إقليميان تقودهما كل من أمريكا وإيران حالياً. اتّفق الطرفان منذ عام ٢٠٠١ على تجاوز بعض العقبات المشتركة التي تقف في طريقهما مثل أفغانستان والعراق، على أن يستعرض كل طرف أوراقه المتاحة فيما بعد في صراع المشروعين لتحقيقهما معاً أو لانتصار أحدهما على الآخر نهائياً.

– **المشروع الأمريكي**: بات من الواضح جداً أنّ المشروع الأمريكي يتمثّل بمشروع الشرق الأوسط الكبير أو الشرق الأوسط الجديد. هذا المشروع الأمريكي يسعى إلى إقامة بيئة حليفة أو غير معادية على الأقل في كل هذه المنطقة التي عرفت في ما مضى بـ (الهلال الخصيب) ومحيطها. وتسعى الولايات المتّحدة إلى إعادة رسم الخارطة القديمة للمنطقة على أساس طائفي وإثني وقومي؛ بحيث تنشأ دول جديدة وتضمحل أخرى. وقد نشرت مجلة عسكرية أمريكية مؤخراً خرائط دقيقة للمنطقة التي تريد إعادة رسمها في تقرير مهم؛ على أن تكون أدوات هذا المشروع هي القوة العسكرية، المالية، الإعلامية، والديمقراطية الأمريكية؛ بالإضافة إلى الاستعانة بجهود الدول الحليفة والصديقة ورؤسائها. ونقطة الانطلاق في هذا المشروع برمّته تبدأ في العراق، ومن ثم تنتقل إلى الدول الأخرى.

– **المشروع الإيراني**: المشروع الإيراني هو مشروع قومي إقليمي لإعادة تأسيس الإمبراطورية الإيرانية على الرقعة التي كانت تمتد عليها الإمبراطورية الفارسية السابقة. هذا المشروع بالأصل هو مشروع الشاه، ولم يتغير شيء فيه باستثناء أنّه قد تمّ استبدال العمامة بالتاج. يعتمد هذا المشروع على الذكاء السياسي والبراغماتية للاستناد على عدد من الأدوات التي يتم تنفيذه عبرها وهي:

أولاً: الاعتماد على التشيع كأساس متين له.

ثانياً: استخدام المقدّسات الإسلامية والقضايا الإسلامية والمتاجرة بها لتصب في إطار جذب السنّة إلى الساحة الشيعية تحت مسميات عديدة.

ثالثاً: الدعاية القوية والبروز الدائم على الساحة الإقليمية والدولية وذلك إما باستحداث قضايا جدلية، وإما بالاحتكاك بقوى دولية.

الهلال الشيعي بهذا المعنى هو مشروع قديم، وينقصه قوة رادعة تؤمّن النفوذ الإيراني فيه وهي «القوة النووية» التي يسعى الإيرانيون لامتلاكها رغم كل المصاعب والمخاطر التي تواجههم.

السؤال المطروح هنا: ما علاقة المشروعين بالحرب التي اندلعت على لبنان، وما هو دور الحزب ودور العدو الصهيوني في هذا الموضوع؟

البعد الخارجي للحرب على لبنان يتمثل في صراع مشروعين: أمريكي وإيراني؛ بحيث تستخدم الأولى العدو كأداة لها، وتستخدم الثانية حزب الله. وللحقيقة، فإنّه من الخطأ القول إنّ إيران اختارت هذه الحرب في هذا التوقيت. فإيران عبر حزب الله كانت تريد استعراض ورقتها (حزب الله) في لبنان عبر عملية أسر الجنديّين الصهيونيين، وخاصّة أن الحدث تزامن مع فشل محادثات (خافيير سولانا) مع إيران حول برنامجها النووي الذي وصل إلى طريق مسدود. لكن الذي حصل أنّ الولايات المتّحدة الأمريكية التي سئمت المماطلة الإيرانية أرادت تفجير الوضع في لبنان في محاولة للقضاء على الورقة الإيرانية للانقضاض على الأوراق الأخرى قبل التفكير بشن أي هجوم عسكري مستقبلاً على إيران لتجريدها من قدراتها النووية.

والذي يؤكّد هذا الكلام تصريح أمين عام حزب الله حسن

نصر الله الذي قال بنفسه إنّه لم يردها حرباً مفتوحة، وأنّ الصهاينة هم من ارادوا ذلك وسيحصلون عليها. هذا التصريح يحمل عدّة معانٍ هامة؛ منها:

أولاً: أنّ الحزب لا يخوض حرب إلغاء مع العدو أو حرب وجود، إنما هي حرب محدودة يستثمر نتائجها في سبيل الترويج لنفسه ولإيران؛ ولهذا فإنّ حروباً كتلك يكون لها قواعد وخطوط حمراء وإشارات ثنائية.

ثانياً: أنّ الحروب التي خاضها الحزب سابقاً لم تكن بأي حال من الأحوال مفتوحة، وأنّها لم تكن خياراً استراتيجياً وعقائدياً بقدر ما هي خيار تكتيكي وموسمي الهدف منها قطف ثمارها إعلامياً وإقليمياً وتوظيفها لصالح إيران وسورية. وإلاّ فأنا لم اعرف أنّ هناك مجاهدين أو مقاومين في تاريخ الشعوب يمنعون الآخرين من الجهاد والقتال إلا إذا كان لهم مصلحة معينة في حصر القتال بهم، وهذا ما يفعله حزب الله.

فحسابات الحزب عندما قام بعملية الأسر كانت تنحصر بالجانب الدعائي فقط كما كان يحصل في المرات السابقة، وأراد عبرها تحقيق عدد من الأهداف.

ومن هذا المنطلق رأى الحزب أنّ الوقت الآن هو أفضل وقت لتنفيذ عملية سريعة وخاطفة يتحقّق عبرها تسجيل عدّة نقاط داخلية وخارجية لصالح حزب الله ولصالح الداعمين له ومنها:

١ - إعادة إحياء شعبية حزب الله على الصعيد الداخلي من خلال تبنيه قضيّة الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية، وهي بالطبع قضية وطنيّة سيتّحد كل الشعب اللبناني عليها وسيتّخذون موقفاً إيجابياً منها، ومن ثَم استخدام هذه الشعبية التي سيحصل عليها كورقة ضغط في التفاوض على طاولة الحوار اللبنانية لتحقيق العديد من المكاسب دون أن يظهر أنّ حزب الله متعنّت ومعزول داخلياً وخارجياً.

٢ - الحصول على دعم شعبي واسع في العالم الإسلامي واستغلاله في محو الصورة السيئة التي نشأت عن امتناع شيعة العراق عن مقاومة الاحتلال الأمريكي وانخراطهم في إطار حملة مشبوهة لتصفية المقاومة العراقية الإسلامية والوطنيّة بالإضافة إلى التجمّعات السنيّة المعزولة إقليمياً ودولياً بسبب انتماء المقاومة لها.

٣ - إظهار التضامن أو التلاقي مع غزّة وما يجري فيها، ومن ثَم الحصول على دعم عربي شعبي كبير، وإظهار حالة الضعف العسكري للعدو.

٤ - الرد غير المباشر على مسألة التهديد الصهيوني لسورية عندما أعلنت الطائرات الحربية الصهيونية قبل ما يقرب من أسبوع تحليقها فوق القصر الرئاسي للرئيس بشّار الأسد في قلب وعمق سورية مع إمكانية إعادة إدخال سورية إلى لبنان سياسياً أو عملياً من خلال إمكانية إقحامها في دورٍ مّا في مسألة التفاوض على الجنود والأسرى.

٥ - توافق العملية مع دخول خافيير سولانا في اجتماع مع الإيرانيين بخصوص البرنامج النووي الإيراني مع علم الجميع أنّ الاجتماع لم يكن ليتوصل إلى اي شيء ممّا يعني أنّه سيكون هناك تصعيد ضدّ إيران، فجاءت هذه العملية ضمن هذا السياق أيضاً.

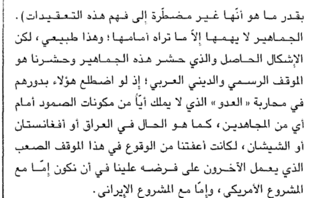
لكن ما جرى، هو عكس ما كان الحزب يعد له، إذا قرر العدو قلب الطاولة، فوجد الحزب نفسه في موقع آخر، فبنى حساباته على أساس تقديرات خاصة. أمّا وقد وقعت هذه الحرب وأرادتها إسرائيل مفتوحة، فإنه يجب استغلالها لتصب في صالحه كحزب طائفي، وأفضل طريقة لذلك هو الإعلان أنها حرب عن الأمة، وأنّها دفاع عن فلسطين، وأنّها الجهاد الذي ما بعده جهاد، وبهذا يكون الحزب وإن خسر الداخل اللبناني الذي سينقم عليه؛ فإنه سيربح الشارعين العربي والإسلامي خارجياً؛ وهذا نصر ما بعده نصر حتى وإن خسروا المعركة العسكرية مع العدو.

لمن يريد التأكد من هذا القول فليراجع موقف الحزب من احتلال العراق ومقاومته؛ فهل المناوشات مع العدو الصهيوني والاستفادة منها سياسياً أمر حلال، أم المقاومة العراقية التي تريد إلغاء الولايات المتحدة والعدو، والجهاد حتى النهاية في نظر الحزب حرام؟

ومن هنا يأتي الاستغراب من مقاومة تنشد دعم نظام ديكتاتوري وآخر طائفي وتدّعي الحفاظ على الإسلام والمسلمين وحقوقهم، وتحرّم على الآخرين مشاركتها المقاومة في لبنان أو الاشتراك في المقاومة الإقليمية للمشروع الأمريكي والإيراني. من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم أن ما يجري هو حرب مصالح؛ فطالما أنّ الوضع ممتاز بالنسبة لإيران في العراق فلا بد للحزب وأتباعه من وصف المقاومة هناك بأنها إما صدّامية وإمّا تكفيرية، ولا داعي للمقاومة المسلحة، وهو الخطاب نفسه الذي تطرحه أمريكا.

هذه الحرب التي تحصل على لبنان يؤدي حسمها لجهة أحد الطرفين: الأمريكي والإيراني، إلى تقوية موقفه الإقليمي والدولي؛ فالانتصار الصهيوني هنا يعني أنّ إيران فقدت أحد أكبر أوراقها الإقليمية قوة، ولكنها ربحت الشارع العربي الذي كان عصياً عليها إبّان افتضاح أمرها في أفغانستان والعراق، وانتصار حزب الله يعني أنّ إيران ماضية بثبات وقوة في الوصول إلى القنبلة النووية التي ستغير موازين القوى الإقليمية والتي ستخلق واقعاً جديداً.

والمشكلة في كل هذا الواقع أنّ الحرب تجري على أرض عربية، وأنّ الجماهير مضطرة إلى اتّخاذ موقف إلى جانب حزب الله، لكونها ملّت القمع الرسمي العربي والانحلال السياسي والعسكري للأنظمة، وهي جماهير بسيطة لا تفهم تعقيدات مجريات الأمور وتضارب المصالح (ليس تقليلاً من شأنها ووعيها



بقدر ما هو أنها غير مضطرة إلى فهم هذه التعقيدات).

الجماهير لا يهمها إلا ما تراه أمامها؛ وهذا طبيعي، لكن الإشكال الحاصل والذي حشر هذه الجماهير وحشرنا هو الموقف الرسمي والديني العربي؛ إذ لو اضطلع هؤلاء بدورهم في محاربة «العدو» الذي لا يملك أياً من مكونات الصمود أمام أي من المجاهدين، كما هو الحال في العراق أو أفغانستان أو الشيشان، لكانت أعفتنا من الوقوع في هذا الموقف الصعب الذي يعمل الآخرون على فرضه علينا في أن نكون إمّا مع المشروع الأمريكي، وإمّا مع المشروع الإيراني.

واهمٌ جداً من يعتقد أنّ المشروع الأمريكي ينقذنا من المشروع الإيراني، وفي المقابل فإنّ الوقوف إلى جانب المشروع الإيراني يعني أن نقدّم أنفسنا قرباناً له بينما يستفيد هو فيما بعد من ذلك في فرض علاقات قوية مع الولايات المتّحدة الأمريكية.

● الوقوف على الحياد أمر سلبي للغاية:

لا أكاد أُبالغ عندما أقول إنّ معظم إن لم تكن كل المشكلات التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي منذ الاستقلال المزعوم وحتى اليوم إنما يعود إلى شلل القرار السياسي العربي الذي تدرّج في السلبيّة والتنازلات وصولاً إلى الانهيار الكامل الذي نشهده حالياً. هذا القرار السياسي العربي فشل في حسم خياراته من موقع القوّة سواء في الحرب أو السلم، فخاض حروباً شكلية مع العدو أدّت إلى هزيمته دون أن تهزم الشعوب، ثمّ اختار السلم (الاستسلام) خياراً استراتيجياً فارضاً إياه على شعوبه بالقوة متناسياً أنّ تحقيق السلم يحتاج إلى القوة بنفس القدر الذي تحتاج إليه الحرب؛ وذلك لكي لا يتحول السلم إلى استسلام.

هذه الحالة العربية رافقها قمع داخلي للشعوب واستبداد وحالة عارمة من الفساد والانعزال أدّت إلى حصول حالة فراغ إقليمية في المنطقة العربية، وهو الأمر الذي قوّى التدخلات الخارجية الدولية وخاصة الأمريكية، وإلى ازدياد النفوذ الإيراني بشكل كبير جداً.

فالعرب في حالة انهيار شامل وكامل وغير مسبوق على المستوى التاريخي يرافقه عدم وجود أي مشروع إقليمي فاعل جامع لمواجهة المشروعين الأمريكي والإيراني، وللدفاع عن المقدسات ومنع الآخرين من استغلالها.

أمام المطرقة والسندان علينا أن نعي أنّ الصهاينة والولايات المتّحدة هما العدو الأول، وأنّ من يحاربهما سيكسب مصداقية كبيرة لدى الشارع؛ وعليه فقد يكون هناك مخرج لهذا الموقف الحرج ودحر المشروع الإيراني؛ والخطوة الأولى تبدأ باعتراف الدول العربية بالمقاومة في كل مكان ومنها العراق، ودعمها بشكل غير محدود، والدفاع عن الحقوق والمقدسات كي لا يزايد علينا أحد أو أن يستغلها أي أحد.



الشرق الأوسط الكبير أو الجديد

خطة مشبوهة يجب ألاّ ننخدع بها

أمير سعيد
amirsaid@gawab.com

ربما لم يدرك (إيهود أولمرت) رئيس وزراء الكيان الصهيوني أن إشعال شجرة في غابة « الشرق الأوسط» قمين بأن يتحول إلى كتلة نار هائلة تمتد إلى داخل كوخ حكومة « العدو الصهيوني» ، ولعله ، ووزيرة خارجيته (تسيبي ليفني) ووزيرة خارجية الولايات المتحدة (كونداليزا رايس) قد ظنوا أن ضحكاتهم التلفزيونية يمكنها أن تخفي عمق الموقف المأزوم لحكومتيهما ، وحيث حاكوا ضحكات زعيم « حزب الله » (حسن نصر الله) في لقائه مع الجزيرة فاتهم أن ابتساماتهم وابتسامات جنودهم في مشاهد تلفزيونية مصنوعة لا تسحب بُسُط الصدقية من بيانات العدو المضاد أو تمحو رسائل الموفدين التلفزيونيين للقنوات الفضائية التي جسدت بدورها أرفع تغطية لحرب عسكرية على الأرض منذ فجر التاريخ.

ضحكات النصر تلك قد لا ينظر لها بعض الناس بارتياح؛ فكيف إذا كانت ضحكات انكسار لا تدل إلا على اضطراب فكري وحيرة في الموقف السياسي؟ ألم يَلُمْ سيفُ الدولة الحمداني أبا الطيب المتنبي حين قال:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

لاعتبار أن الفطرة السليمة لا تجيز الشماتة بالجرحى من أبطال العدو؟ فكيف إذا استبقت الضحكات جريمة قتل الأطفال المعاقين وغير المعاقين في قانا بساعات.. أليس الأمر يكون قد بلغ المنتهى في دمامته؟! ناهيك عما لو أضيف لهذه الارتكاسة الحضارية والتدني الأخلاقي أن هؤلاء « الأبطال» الكلمى هم جنود القائد نفسه الذين يستعرض انهزامهم وتراجعهم وفشلهم ، وهو يضحك مفارقاً حكمة وعقل ما كان لهما أن يفارقا رأسي الدبلوماسية الأمريكية والصهيونية في هذا المقام.

وإذا كانت الابتسامات لا تستر الأوضاع العسكرية على الأرض فإنها كذلك لا تبني السياسات في الأروقة ، وهو ما جلته الزيارة التي قامت بها وزيرة الخارجية الأمريكية « للأرض المحتلة» في الأسبوع الثالث من الحرب العدوانية على لبنان ، والتي شنها « العدو» في الأسبوع الثاني من شهر يوليو الماضي؛ فما رشح من الزيارة هو مفردات أزمة حقيقية تمر بها السياسة الأمريكية في « الشرق الأوسط».

فأول هذه المفردات: هو سوء تقدير (رايس) للوقت الذي جاءت فيه لتزرع أملاً وهمياً حول شيء هلامي أسمته « الشرق

الأوسط الجديد»، وهو لفرط فجاجته قد دعا (ألبرتو فرناندو) مدير مكتب الشرق الأوسط في الدبلوماسية العامة بالخارجية الأمريكية لأن يقول لصحفي عربي في واشنطن: «لقد بالغ البعض في تضخيم هذا الموضوع، وما قالته رايس هو أنه في النهاية يجب أن يكون هناك شيء أفضل، ولم تقل إن العنف يمثل الشرق الأوسط الجديد والمثال الأمريكي.. بل كل ما قالته إن منطقة الشرق الأوسط تستحق شيئاً أفضل». غير أن (فرناندو) نفخ في نار التساؤلات فزادها اشتعالاً بدلاً من أن يطفئها، فـ (رايس) قد قطعت آلاف الأميال في ساعة حرب لكي تقول: إن «الشرق الأوسط» يستحق أفضل مما هو فيه.

الواقع أن (رايس) باحت بحلم تتوق إليه الولايات المتحدة الأمريكية ولَمَّا ترَ إرهاصاته، وخانها التوقيت أو بالأحرى كشفها التوقيت فتبدى من مضامين كلامها ما أخفقت الولايات المتحدة الأمريكية في إخفائه، وهو أن «الشرق الأوسط الجديد» هو مولود لا يمكن للدولة العظمى استيلاده إلا من رحم الحروب وعبر تناثر جثث الأطفال والرضع، ونحسب أن ما يسمى بـ (ثورة الأرز) لا يمكن أن تكون معبراً لطموح دولة مغرمة بالحروب الاستباقية والتكتيكية والشاملة والمحدودة والمفتوحة وغيرها من قاموس الولايات المتحدة الأمريكية الحربي، وإنما المعبر في لبنان - كما هو في العراق - عبر تجريب كافة الأسلحة القانونية وغير القانونية في الشعب المنتخب لتطبيق المشروع عليه من بين رفقائه.

لم يخن وزيرة الخارجية الأمريكية التوفيق في اختيار التوقيت لإطلاق «بشارتها» في لحظة الحرب بما تستدعيه لتجربة الولايات المتحدة الأمريكية الفاشلة في العراق من ذكريات مؤلمة لشعوب المنطقة، بل خانها أيضاً أنها أطلقتها في وقت كانت منيت فيه وكيلتها «العدو الصهيوني» بتعثر حملتها العسكرية النكراء في الأيام التي سبقت تصريحاتها تلك.

استعاضت وزيرة الخارجية الأمريكية عن ذكر «الشرق الأوسط الكبير» بآخر «جديد» لأن الظرف حقيقة لم يمنحها هذا الاتساع الذي كانت إدارتها تأمل به؛ واقتصرت على زيارة «الدولة الصهيونية» ولم تفلح في لقاء رئيس الوزراء اللبناني (فؤاد السنيورة) على ما في ذلك من دلالة بالغة الحساسية؛ فالسنيورة رئيس حكومة تحسب في معظمها على تيار ١٤ مارس الذي أتهم لدى إعلان بأنه وثيق الصلة بالولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى أنه رئيس وزراء دولة «شرق أوسطية» صغيرة نسبياً ولا يمكنها بسهولة رفض استقبال وزيرة خارجية الدولة العظمى التي اعتادت أن تكون دائماً محل ترحاب من جميع الدول العربية للحد الذي يجعل إحجامها عن زيارة أي قطر عربي هو نوع من العقاب أو إبداء الغضب منه، وهو ما كان بعضهم يَفْرَق منه ويخشاه.. أما في تلك اللحظة فقد جاءت من أقصى الأرض، فإذا دول عربية حليفة تربأ بنفسها عن استقبالها، فتقتصر زيارتها على تل أبيب دون العواصم العربية!

وثاني مفرداتها: أن الولايات باتت عاجزة عن حل معضلة يذهب كثير من المحللين أنها قد حملتها على عاتقها أكثر مما تحملها «دولة العدو» ذاتها، لا من حيث (الفاتورة) العسكرية الصهيونية المدفوعة وإنما في أهداف تلك الحرب، ومردُّ العجز ليس إصرارها على استمرار الحرب حينها، وإنما في سوء تقدير الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلفها «دولة العدو» في إدارتها عسكرياً وسياسياً على هذا النحو الهزيل والفضائحي.

وثالث مفرداتها: أن سياسة الولايات المتحدة في لبنان قد خسرت نقاطاً دبلوماسية وسياسية وعسكرية في صراعها مع «حزب الله» وإيران وسورية من ورائه، تبدت ملامحه في عدم استقبال أي من الدول العربية لها في هذه الزيارة، وهو بدوره ما عكس شعوراً بأن سياسة الولايات المتحدة حدَّت - برعونتها - من هامش حرية تحرك الدول العربية التي كان من الممكن أن تلعب دوراً مسانداً لها عبر إسقاط الكثير من أوراق الحلفاء العرب في المنطقة، وهو ما نتج عنه تمدد نفوذ محور إيران - سورية في لبنان دون أن تتمكن أي دولة حليفة للولايات المتحدة الأمريكية في العالم العربي من لعب دور يمكن أن يستغل في لحظة ما لأجل إخراج الولايات المتحدة ووكيلتها (الدولة الصهيونية) في الصراع مع إيران من مستنقع الجنوب اللبناني الذي ولغا فيه بقدر كبير من سوء التقدير.

ومن هنا كانت الزيارة الخاطفة أصدق تعبير عن مأزق السياسة الأمريكية في المنطقة المسماة بـ: «الشرق الأوسط الجديد». وفضلاً عن هذه الزيارة يتبدى المشهد كله في غير صالح تلك السياسة؛ فمجزرة (قانا) التي أريد لها التغطية على هزيمة مؤقتة من خلال تغيير ما يدور إلى مشهد أولِع به «الصهاينة» لرؤية دماء الأطفال من «الأميين» تتناثر اشلاؤهم هنا وهناك إذعاناً لما تطالبها به «أسفارهم المحرفة»، فضلَّت طريق هدفها فأوقعت الحلفاء في حرج بليغ جعل من المستحيل عليهم التماهي مع الإرادة الأمريكية تحت طائلة الضغط الشعبي، الذي ألجم أي موقف لبناني أو عربي عن أن ينحاز ولو قليلاً للسياسة الأمريكية ويتجاوب مع متطلباتها، فأي سبيل أُفسحَ للسنيورة لكي يستقبل وزيرة الخارجية الأمريكية فضلاً عن أن يستمع إليها وقد سدت الجماهير الطريق من المطار بحاجز بشري ينبئها بأنها شخص غير مرغوب فيه لبنانياً بكل ألوان طيفه الطائفي والديني، فأصحاب ثورة الأرز خندقهم الرأي العام في معسكر الرفض للسياسة الأمريكية بكل حيثياتها بما فيها قرار ١٥٥٩ الذي بات شباب ١٤ مارس لياليهم في الشوارع من قبلُ مؤيدين له[١]، بعد أن تقبلوا هذه السياسة لفترة أملاً في جلب السلام لهم فأوصلتهم إلى القتل والتهجير والرعب.

ثانياً: يضاف إلى ما سَبق ما تُولَع به الجماهير دوماً من

(١) ينص قرار ١٥٥٩ على ضرورة تحقيق البنود التالية:

١ - يعيد تأكيد دعوته للاحترام الدقيق لسيادة لبنان وسلامة أراضيه ووحدته واستقلاله السياسي تحت السلطة الوحيدة والحصرية لحكومة لبنان في كافة أنحاء لبنان.

٢ - يطالب جميع القوات الأجنبية الباقية بالانسحاب من لبنان. =

الانحياز لن يحقق نصراً على العدو التقليدي ذي الثارات القديمة مع الشعب اللبناني، وهو ما وفره الحزب، فغدا من الصعب أن تخالف الحكومة اللبنانية هذا المزاج العام لبنانياً وعربياً كذلك.

وثالثاً: ما قد وفره «حزب الله» من غطاء لحكومة السنيورة بوضع مواقفه - الظاهرية - خلف مواقف الحكومة وتشجيعه إياها على المضي بسبيل الاستناد إلى نجاحاته والإفادة منها في تلك المرحلة، وقد قال (نصر الله) في خطابه المتلفز بتاريخ ٢٩ يوليو الماضي: «نحن حريصون في هذه المرحلة أن تكون الحكومة قوية لتتحمل مسؤولياتها الوطنية من أجل لبنان وشعبه.. نحن حريصون أن نتعاون مع الحكومة ومع كل التيارات والقوى السياسية لنقدم لبنان موحداً متماسكاً حول ما يحفظ ويضمن مصالحه الوطنية».

ورابعاً: ما قد تكشفت عنه السياسة الفرنسية إزاء «مستعمرتها» السابقة/ لبنان، من رفض لأي ترتيب «استعماري» جديد يدار من خلف ظهرها تحت ذريعة نشر قوات دولية في الجنوب اللبناني يُقصي النفوذ الفرنسي في لبنان أو يحد منه، ويمنع من ثَم حضورها في «الشرق الأوسط الجديد»، ولا شك أن الموقف الفرنسي الداعي إلى وقف إطلاق النار فوراً وتطبيق ١٥٥٩ يضع باعتباره العلاقة الوطيدة التي تربط فرنسا بإيران ومن ثم حزب الله على خلفية حقيقة أن فرنسا - إلى جانب الصين - من بين الدول الرئيسية في العالم (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وروسيا)، تعاني من عدم امتداد نفوذها إلى أي من الدول النفطية، فيما عدا إيران التي لا تود أن تخسرها في هذه الحرب أو في المسألة النووية أيضاً.

وهذا الموقف الفرنسي لم تبده زيارة وزير خارجية فرنسا لنظيره الإيراني (منوشهر متقي) في السفارة الإيرانية ببيروت أثناء زيارة الرجلين لها بما تعكسه من دلالة دبلوماسية على انتصار مرحلي لـ: «حزب الله» في معركته مع الكيان الصهيوني فحسب، وإنما بدا كذلك من موقف الجنرال (ميشيل عون) الحليف النصراني لفرنسا والذي يقف إلى جانب «حزب الله» في معركته، ويمنحه غطاءً شعبياً في الطائفة المارونية التي وإن لم تتوافق كلها حول مسألة أسر الجنديين الدرزيين «الصهيونيين» من أجل تحرير الأسير الدرزي اللبناني سمير القنطار ورفيقيه؛ إلا أنها لم تتمكن من مخالفة المزاج العام شأنها شأن الطائفة السنية التي ينتمي إليها (السنيورة) و (سعد الحريري) اللذين لم يجدا بداً من التبني الجزئي لخطاب «حزب الله» في زمن الحرب.

وخامساً: مما قد ينبئ عن المأزق الأمريكي، ما بدا تحولاً في خطاب بعض الدول العربية في التعاطي مع الأزمة أماطت عنه على سبيل المثال زيارة وزير خارجية مصر (أحمد أبو الغيط) إلى بيروت في وقت رفضت فيه كل من القاهرة وبيروت استقبال (كوندليزا رايس).

وسادساً: زيارة (منوشهر متقي) إلى بيروت على شاكلة الفاتحين أثناء استمرار المعارك بما قد أظهر اليد الفولاذية لإيران في المعركة الدائرة، لا سيما أن «دولة العدو» وهي تخوض حربها كانت في تلك اللحظة مدركة عن يقين أنها تحارب إيران من خلف «حزب الله» لكنها عاجزة عن منع (متقي) من تحديها بزيارة بيروت أثناء القصف على قرى الجنوب اللبناني.

ولعل «الدولة الصهيونية» قد أدركت أن سلوكها الأرعن في الجنوب اللبناني لا يمكن أن يحقق انتصاراً كاسحاً على «حزب الله» لأن أي تبدل في ميزان القوى في هذه الجبهة يمكن تعويضه من خلال امتداد الحزب سورياً وإيرانياً، هذا السلوك الفاضح لدى «الصهاينة» يشكل جهلاً بالجغرافيا السياسية للمنطقة في وقت تعلم فيه أن لهذا الحزب حلفاء أقوياء لم يقولوا كلمتهم بعد.

ما لم يكن مطروحاً قبل الحرب هو أن تفرز واقعاً جديداً يفيد إيران في المنطقة أكثر مما يضرها ويقدمها خطوة للأمام في سبيل أن تكون لاعباً بالغ الأهمية في المنطقة، بل ربما اللاعب الأهم فيها.. ربما كانت تركيبة تنظيم «حزب الله» عصية على التركيع الأمريكي التام ولو غُلبت في معركة ما أو تراجعت؛ لأنها تستند إلى غطاء شعبي كبير في الجنوب اللبناني، وتتمتع بقدرة عالية على المراوغة والاحتفاظ بمعظم قوتها الضاربة والانحياز بها في ساعة الخطر، وهو كله يصب في جدول إيران النووية التي استبقت حرباً على حليفها القوي في لبنان أو ربما عليها هي في سبتمبر أو أكتوبر بحسب قول زعيم حزب الله «حسن نصر الله» في خطابه المتلفز، وهو ما يردف التصعيد الأمريكي بشأن تخصيب اليورانيوم الإيراني الذي قد يكون يعالج قُمْقُمَه الآن لكي يخرج مارده من رحم الحرب هذه في الحرب الثانية.

أما على الصعيد العربي، فرغم محاولات بعض الدول إيجاد موضع قدم لها في الترتيب الجديد للبنان ما بعد الحرب، إلا أن المشهد يكاد ينسحب على لاعبيْن اثنين هما الأوفر حظاً من الدول العربية التي ربما صارت بحاجة لأن تعيد قراءة الخارطة من جديد؛ لأنها قد تصحو وقد ابتاعت الوهم وغيبت الاستراتيجية وبعثرت أوراقها من دون ثمن، حتى تلك التي صارت حليفة لإيران ضاربة بما يسمى بـ (القومية) عرض الحائط، بطريقها لأن تصبح هي كما كانت لبنان ما قبل ١٥٥٩ أو ربما كذلك لبنان ما بعد الحرب.

= ٣ - يدعو الى حل ونزع أسلحة كافة الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية.
٤ - يدعم بسط سلطة الحكومة اللبنانية على كافة التراب اللبناني.
٥ - يعلن دعمه لإجراء عملية انتخابية حرة وعادلة في الانتخابات الرئاسية اللبنانية القادمة وفقا للقواعد الدستورية اللبنانية من دون تدخل أو تأثير خارجي.
٦ - يدعو كافة الأطراف المعنية للتعاون بشكل كامل وعاجل مع مجلس الأمن من أجل التنفيذ الكامل لهذا القرار وكافة القرارات ذات الصلة المتعلقة باستعادة وحدة أراضي لبنان وسيادته الكاملة واستقلاله السياسي.
٧ - يطلب إلى الأمين العام تقديم تقرير إلى مجلس الأمن خلال ثلاثين يوماً حول تنفيذ الأطراف لهذا القرار، ويقرر إبقاء هذه المسألة قيد نظره الفعلي.



ماذا وراء الحرب في لبنان؟

محمد بن شاكر الشريف
alsharif@albayan.co.uk

هناك أربعة عناصر متداخلة ساهمت في رسم المشهد على الساحة اللبنانية وطبعته بلونها الخاص؛ فانطلاقاً من صمود «حزب الله» الذي أذهل كثيراً من المتابعين والمحلّلين، حيث إنه بقي صامداً أمام الآلة العسكرية اليهودية الخرقاء التي لا تقيم أيَّ وزن للأخلاق التي ينبغي التحلّي بها حتى أثناء الحروب، إلى التخاذل الواضح في الموقف الرسمي لكثير من الدول العربية، والذي تحول من اتخاذ القرارات الفاعلة إلى القيام بعملية التحليل السياسي كأي صحفي يتابع الأمور، أو عرض القيام بالوساطة بين الطرفين كأنهم خارجون من دائرة الاستهداف[1]، ومروراً بالإهمال الشديد في الموقف الدولي الذي يصل إلى حدٍّ التآمر مع اليهود كما في الموقف الأمريكي والبريطاني الداعم لليهود، وانتهاءً بالشارع العربي والإسلامي في كثير من الدول الذي تعاطف من غير حدود مع موقف المقاومة المتمثِّل في «حزب الله»، نظراً للعوامل السابقة، حتى ظهرت دعوات كثيرة من الإسلاميين وغيرهم، تؤيد «حزب الله» وتدعو لتناسي أهل السُّنَّة ما بينهم وبينه من الاختلافات العميقة، حتى يُتهم كل من لا يرى هذا الرأي بأنه مؤيد للعدوان اليهودي أو خاذل لإخوانه!

وما من شكٍّ في أن العلاقة المفترضة بين جميع طوائف المسلمين وفِرَقهم، يجب أن تكون على أحسن ما يكون من الوفاق والمودة؛ لوجود الروابط الكبرى التي تجمع بينهم؛ فهم يعبدون رباً واحداً، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، لكنها مع الأسف لم تكن كذلك بفعل الانحرافات الشديدة عند بعض الفِرَق في الفهم والتطبيق.

وقد أخذت العلاقة بين السُّنَّة والشيعة منحى خطيراً، حيث ظلّت مسكونة بالتوتر الشديد على مدى التاريخ الإسلامي، وإن

(١) وإن كان حصل نوع من التغير في مواقف بعض الدول بتأثير الضغط الشعبي؛ لكن ليس له مردود على الوضع العام.

لم يكن ذلك يظهر على السطح في أحيان كثيرة ، ولـيس هناك مـا ينافي هذه الحـقيـقة ، وهذا نابع عن نظرتهم القاصـرة لأهل السُّنة وعلى رأسـهم الشيـخـان أبو بكر الصـديق وعـمـر بن الخطاب ـ رضي الله تعـالى عنهـمـا ـ وزيرا رسـول الله ﷺ ، وزعمهم أنهم أهل ضلال وكفر ـ نسأل الله السلامة ـ وانظر ذلك في كتبهم المعتمدة لديهم ، ومنها : (الكافي) لـ (الكليني) على سبيل المثال لا الحصر .

عندما قامت ثورة (الخميني) في العصر الحديث في إيران عام ١٣٩٧هـ ، استبشر بها كثير من الناس الذين ليس لديهم إلمام بتاريخ القوم ، لكن الأحداث التي صاحبتها والتي تلتها بيّنت أنه لم يتغير عندهم شيء من فكرهم أو عقيدتهم ، وأنهم ما زالوا على ما توارثوه من مرجعياتهم وكُتُبهم المعتبرة ، التي تحمل مواقف حادّة منا معشرَ أهل السُّنة ، ومن السّذاجة بمكان تجاهل ذلك أو تناسيه ، أو الدعوة إلى تناسيه من غير أن يكون هناك تغيُّر حقيقي في المواقف؛ إذ إن ذلك له تأثير حقيقي في نظرتهم لأهل السُّنة وتعاملهم معهم .

وقـد بات واضـحـاً بما لا يدع مـجـالاً للشك دور القـوم في إسـقـاط الدولة المسلمة في بغداد في أواخـر العـصـر العبـاسـي قـديماً . وفي العـصـر الحـديث أسـهـمـوا في إسـقـاط حكومـة « الطالبان » السُّنية في أفغانستان ، وقدّموا للغزاة الأمريكان مـا أعـانهم على احـتـلالها ، ولم يجـدوا حـرجـاً في الإعـلان عن ذلك ، عندما أعلن أحـد رمـوزهم (مـحـمـد علي ابطحي) أنه لولا الدور الإيراني لما تمكنت أمريكا من احتلال أفغانستان وإسقاط حكومة « الطالبان » . وكذلك كان دورهـم في العراق الحديث ، فهم لم يجاهدوا المحتلّ ، ولم تقم مرجعياتهم حتى بإصدار فتوى بوجوب قتاله ، وهذا أقل ما يمكن فعله في مثل هذه الحالة ، فإنه من المعلوم أن الكفار إذا نزلوا دار المسلمين محاربين لهم ، وجب على كل أحـد قـتـالـهـم ، بل زادوا على ذلك أنهم سـاعـدوا المحـتلّ الأجنبي في احـتلال العـراق عـام ٢٠٠٣م ، وكمـا يقـول المسؤول آنف الذّكر في تتمّة كلامه : « لولا التعـاون الإيراني مـا سـقطت بغـداد بهـذه السـهـولة » وهم لم يكتـفـوا بذلك حـتى قـتلت ميليشياتهم في العراق مـا يربو على مائة ألف من أهل السُّنة ، كمـا ذكـر ذلك الشـيـخ (حـارث الضـاري) رئيس هيـئـة علمـاء المسلمين في العراق .

و « حزب الله » تنظيم ذو أيديولوجية معروفة وهو تابع لإيران عـقـيـدة وتسليـحـاً ، وهم لا يمتنعـون من الاعـتـراف بذلك ، بل يصرحـون به ولا يستترون ؛ فمـا الذي يدعونا بعد كل هذا للثقة المطلقة في توجهاته ، بدون التفطُّن للحـقـائق التي يتحـدث عنهـا القوم ويعلنونها على رؤوس الأشهاد .

إن هذه العـمليـات التي يقـوم بهـا ذلك الحـزب ليس من أجل أهل السُّنة وهم غالبية المسلمين ، أو دفـاعـاً عنهم وعن قـضـاياهم ، فـقـد كـانت هناك من قَبْلُ مـواطن كـثـيـرة ونوازل مـتـعـددة بأهل السُّنة ، كان يمكن للحزب أن يتفاعل معـهـا ، وأن يكون له مـوقف واضح فيها ، لكنه لم يفعل ، وهذا ما يدفع إلى محاولة البحث عن السبب الحقيقي وراء هذه العملية ؛ فقد يكون هذا الذي يحـدث - كـمـا يقـول كـثـيـر من المحلّلين - حـربـاً بين أمـريكا وإيران على الأراضي اللبنانية يقوم بها « حزب الله » واليهود بالوكالة عنهما ، من أجل المشكلات القائمة بين أمريكا وإيران بسبب الملف النووي الإيراني ، وخـاصـة بعـدمـا أعلن مـرشـد الثـورة (علي خـامنئي) عندمـا قال : « إذا تعرّضت إيران لأي هجوم أميركي فإنها ستردُّ في أي مكان في العالم ضـد أميركا » ، وهـذا ليس ببـعـيـد ، وقـد يكون بسبب الصراع بين أمريكا وإيران لبسط النفوذ على مناطق في العـالم العربي ، الذي صـار كَدَار عـامرة ليس لها حرّاس ، أو كـالشـاة العـائرة التي تتنـاوشـهـا الذئاب من كل جـانب ، وهو مـا يمكن أن يفسـر التـواطؤ الأمـريكي في هذه الحـرب مع اليـهـود ، ويتـجلى ذلك في الحـيلولة دون إصـدار قـرار دولي بوقف إطلاق النار ، وتسـويـغ مـا يقـوم به اليـهـود بحـجـة الدفـاع عن النفس(١) ، والسببان في نظري مترابطان ؛ فكل من أمريكا وإيران له أطماع خاصة في المنطقة العربية : فـأمريكا تريد الاستيلاء على ثروات تلك البـلاد ، وإيران تريد الاسـتـيـلاء على قلوب أهل تلك البـلاد فتنقلهم من السنة إلى مذهبها ، وإيران ترى في امتلاكها للسلاح النووي فرصـة في التمتع بحـالة من القوة المتعاظمة التي تفتقدها الدول العـربيـة تسـمـح لها بالتـمـدد العـقـدي داخل هذه الدول ، وفرض إرادتها ، وهذا مـا يعـارض التوجـهـات الأمـريكية والرغبة في الاسـتـئـثـار بالغنيـمـة بمفردها ، فلو تمكنت إيران من امـتـلاك السـلاح النووي لم يكن أمـام أمريكا لإحداث التـوازن العـربي مع إيران غير السعي إلى امتلاك العرب له ، لكن هذا له خطورة على الدولة الصـهيونية فهو في الوقت نفسـه يُذهب الموقع المتميز في ميزان القوى تجاه الدول العربية ، فكان منع تملك إيران للسـلاح النووي هـو المحـقق لكل ذلك وهو يضـعـف تفـسـيـر عـمليـة أَسْـر الجنديين اليـهـوديين بأنها كانت من أجل تحسين صـورة القوم في عيون أهل السُّنة بعد دورهم المخزي في أحـداث العراق وقـتلهم

(١) وهي حجة غير صحيحة ، فإن كل الذي عمله « حزب الله » لم يتجاوز أسْر جنديين من جنود اليهود والمطالبة بإطلاق الأسرى اللبنانيين في مقابل إطلاق سراحهما ، في حين تجاوز الرد اليهودي على ذلك كل حدٍّ معقول ، فقد قتلوا لأجل ذلك المئات وأصابوا الألوف ، ودمّروا البنية التحتية للبنان ، وكل ذلك لا يمكن قبوله بحجة الدفاع عن النفس ، فإنه لا دفاع عن النفس في ذلك ، بل هي غارة لكسر الإرادة المقابلة ، وفرض واقع لا ينبغي تغييره .

لأهل السُّنة، أو لعله من أجل المنافسة في ذلك لحركة حماس وتسليط الضوء على الحزب الذي بهت في الفترة الأخيرة، لكن هذا لا يمنع أن يكون كل هذا مقصوداً، مع اعتبار أولوية السببين الأول والثاني.

وحزب الله له أجندته الخاصة المندرجة تحت الأجندة الإيرانية، حيث تصل العلاقة بينها إلى حدِّ العلاقة العضوية، والمتقاطعة مع الأجندة السورية، وهو يعمل على تحقيقها بكل السُّبل والوسائل، وهو في هذه الناحية حزب متّسق مع عقيدته وثقافته، ولا يُعاب من أجل هذا، وإنما العيب والذمُّ يقع حقيقة على أولئك الذين ينتمون لأهل السُّنة وهم مع ذلك قابعون خانعون قد أخلدوا للأرض، لا يسعون في سبيل نصرة قضاياهم والتمكين لها في الأرض، بل الرضا بالتبعية والموالاة لأعداء الله من اليهود والذين أشركوا الذين يشنّون حرب إبادة عقدية وثقافية على المسلمين، إلى جانب الحرب العسكرية.

واليهود لا شكَّ أنهم مجرمون، ولم يرَ المسلمون منهم خيراً على مدار التاريخ، فتاريخهم كله إفساد في الأرض من تخريب وفتن وإشعال نار الحروب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، وهم قاتلو الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وقد حاولوا قتل رسول الله ﷺ، فجهادهم من أكبر الواجبات التي تخاذل عنها كثير من المسلمين، وخاصة أنهم قد استولوا على أرض المسلمين في فلسطين وأخرجوا أهلها منها بالقوة بعد أن أمعنوا فيهم قتلاً وتشريداً.

واليهود في عدوانهم على لبنان مجرمون، وهم لا يفرِّقون الآن في عدوانهم؛ فضرباتهم تحصد الجميع، الصغير والكبير والسُّنة والشيعة، محاولة لإذلالنا بصورة مهينة، وتركيع للشعوب الإسلامية كلها حتى لا تفكر أبداً في مقاومتهم، كما هو الحال في عدوانهم على الفلسطينيين، فلا يكاد يمرُّ يوم لا يودِّع فيه الفلسطينيون عدداً منهم نحسبهم شهداء من الذين غيّبهم عدوان اليهود وبغيهم، عليهم من الله ما يستحقون.

وبغضِّ النظر عن حسابات «حزب الله» في هذه العملية، والأسباب التي دفعته إلى ذلك، فإذا أمكن أن يكون لأهل السُّنة في لبنان راية يتميزون بها عن غيرهم، فليقاتلوا اليهود تحت تلك الراية الخاصة بهم[1]، وليجتهدوا في ذلك ولا يتقاعسوا، والله ينصرهم ويؤيّدهم بفضله، وأما إذا لم يمكن لهم ذلك، لأسباب تخرج عن وسعهم، وتعيّن الاشتراك مع الشيعة في قتال اليهود لصدِّ عدوانهم وإهلاكهم للحرث والنسل؛ فهذه - فيما أحسب - مسألة فقهية وليست عقدية وهي تخضع لفقه الموازنات وقاعدة رعاية المصالح، وهذه يقدِّرها أهل العلم والخبرة الذين لهم تعامل قوي مع الموضوع، وأَوْلى الناس بذلك هم أهل لبنان نفسها، وأما من كان خارج الساحة فلا يمكنه أن يقدِّم أكثر من النصيحة، إذ المرابطون هم أدرى الناس بمصالحهم وبما يحتاجون إليه.

وفي الحقيقة إنه لا ينبغي لأهل السُّنة أن يتقاعسوا عن قتال اليهود بدعوى أن اليهود يقاتلون هذا الحزب أو ذلك؛ فعداوة اليهود للمسلمين متأصلة وقتالهم واجب وذلك لصيالهم وعدوانهم واستيلائهم على أرض فلسطين، وإخراجهم أهلها منها.

● ما يمكن أن تسفر عنه الحرب:

من النتائج المحتملة أن تسفر الحرب عن انتصار اليهود فيها، وهذا له مردود خطير على الساحة ككل، فمن ناحية الشعوب فقد يُفقدها ذلك كل أمل في المقاومة، ويفرض عليها خيار الاستسلام، وأما من ناحية القادة فقد يدفعهم ذلك إلى مزيد من التهاون والتنازل والتفريط في حق الأمة، والتسليم بنظرية أن الجيش اليهودي لا يُقهر، وأنه لا أمل ولا خروج مما نحن فيه، إلا في الاستسلام الكامل غير المشروط، ومن ثم تنفيذ كل ما يطلب منهم من غير ممانعة أو اعتراض، ولعلَّ هذا ما يحرص اليهود ومعهم الأمريكان على إيصاله للعرب والمسلمين، ومن الأسف أن هذا قد قال به بعض السياسيين والمفكرين والكُتَّاب، فإلى الله المشتكى، ولعلَّ هذا أحد الجوانب التي تفسر القسوة الشديدة التي تعامل بها اليهود في هذه الحرب - مع عدم إهمال جوانب أخرى - حيث أمعنوا في قتل النساء والصبيان وهدم البيوت على ساكنيها، وضرب البنية التحتية، مع أن كل ذلك لا تستدعيه ضرورة عسكرية، ولكنها عداوة اليهود للمسلمين ومكرهم بما هو معروف عنهم.

لكن في المقابل قد تسفر الحرب عن انتصار «حزب الله»، (وخروج الحزب من هذه الحرب محتفظاً بقوّاته ومكانته، وتفاوضه على مبادلة الأسرى، وعدم قدرة اليهود على فرض شروطهم عليه، وصموده أمام الآلة العسكرية اليهودية الخرقاء

---

(١) وردت الأنباء بتكوين جماعة سنّية أعلن تشكيلها وهي «جبهة العمل الإسلامي»، قال الشيخ فتحي يكن - أحد ابرز المؤسسين لها -: إن الهدف الرئيس من وراء تشكيل هذه الجبهة هو «إقامة مرجعية للطائفة السُّنية». وقال: ورغم أننا نعتبر انفسنا في خندق واحد مع «حزب الله»، ولكن نحن نشكل جبهة لنعبِّر عن موقف المرجعية السُّنية بكل صراحة في لبنان، وأضاف: ونلتقي مع «حزب الله» إذا حصل إنزال بحري أو بري ما مثلاً، ولكن الجبهة غير تابعة له، ولا توجد وصاية عليها من جهة ما أو نظام ما، والجهاد جزء من واجبها ولا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي. (بتصرف من موقع العربية).

ووردت الأنباء - أيضاً - بوجود تنظيم عسكري للجماعة الإسلامية (السُّنية) في لبنان معروف باسم «قوات الفجر»، ولهم جهود في مقاومة العدو الصهيوني، ولهم موقع خاص مستقل بهم، كما يشتركون مع «حزب الله» في مواقع أخرى، وتتركز الجماعة بصفة أساسية في الجنوب، حيث يوجد للسُّنة قرى خاصة بهم، وللجماعة وجود بالمناطق المحيطة بصيدا السُّنية، وأشار المسؤول (الشيخ إبراهيم المصري) إلى وجود تنسيق مع «حزب الله» لكن «الجماعة تتحرك بقرار ذاتي بدافع الحفاظ على الوجود الإسلامي في تلك المناطق» (بتصرف من موقع إسلام أون لاين).

لأكثر من خمسة وعشرين يوماً[١]، يُعدّ انتصاراً له من وجهة نظري) لكن هذا الانتصار في الجانب المقابل قد يتسبب في تزكية عقيدة الحزب عند بعض أهل السنة مما ينتج عنه موجة عاتية من المدّ الشيعي داخل النطاق السُّني مما يشكّل اختراقاً خطيراً للاتجاه السُّني في مرجعيته لا سمح الله، وهذا قد يترتب عليه تهديد كبير للأنظمة التي تحكم هذه المناطق أيضاً، ومن هذه الوجهة قد لا يكون انتصار «حزب الله» مرغوباً فيه من هذه الأنظمة، وهم يفضّلون هزيمته في هذه الحالة على خروجه من الحرب منتصراً[٢]، وبالإضافة إلى ما تقدّم فإن انتصاره يمثّل إدانة كبيرة لهم، فهو يظهر ضعفهم وتخاذلهم وتهاونهم في حق أمتهم ودينهم، حيث استطاع هذا الحزب أن يحقق ما عجزت عنه دول، بينما الدول العربية على امتداد نصف قرن من الزمان لم تجنِ إلا مزيداً من الاندحار والهزائم المتتالية في الحروب التي خاضتها ضد اليهود، مع ما لديهم من كثرة العدّة والعدد، في مقابل التفوق اليهودي الكاسح، والتطور الكبير في الصناعات العسكرية، حيث توصلوا إلى صنع القنبلة النووية وشيّدوا منها ترسانة قوية، يقدّرها الخبراء بـ (٢٠٠) قنبلة نووية أو يزيد، بينما جلُّ بلادنا ما زالت تستورد الدبابات والمدافع والذخيرة بل ما هو دون ذلك من الخارج، كما أن انتصاره قد يعزّز ثقة الشعوب في قدرتها على تغيير أنظمتها، ويدعم التيار الإسلامي الصاعد الذي يقدّم نفسه كبديل لهذه الأنظمة، وهذا ربما يترتب عليه حركات وطنية أو ثورية أو جهادية تعمل على تغيير تلك الأنظمة التي لم تعد قادرة على تحقيق طموحات شعوبها.

ومع ذلك فهناك خيار مهمّ لم تمارسه أغلبية الدول العربية بل هو أهمّ خيار على الإطلاق، وهو الذي يستحق أن يُطلق عليه (الخيار الاستراتيجي)، وهذا الخيار هو الذي يقي النطاق السُّني كل هذه المخاطر، وهو التمسك بالإسلام حقيقة عقيدةً وشريعةً وعدم التفريط في شيء منه، وتنفيذ أحكامه، وإعداد العدة التي أمرنا بها تعالى في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] فبهذا الإعداد تظل دولنا مرهوبة الجانب، ولا تكون في مجال الابتزاز من أحد، وتأييد المقاومة ومؤازرتها وعدم التخلي عنها، وفتح الباب أمام الدُّعاة للقيام بدورهم في صدِّ هذه الهجمة الطائفية المنتظرة، مع هبوب أول ريح من رياح التغيير، ولو انتبهت هذه الأنظمة لعلمت أن صِمَام الأمان يكمن في هذا الخيار؛ وأنه لا أمان بغير ذلك وإن فعلوا ما فعلوا.

● هل يمكن توسيع نطاق الحرب؟

ما زالت الحرب حتى كتابة هذه السطور محصورة في الساحة اللبنانية، لكن هل يمكن توسيع نطاقها بحيث تشمل دولاً أخرى كـ «سورية» مثلاً؟ الذي يظهر أن هذه الخطوة غير مطروحة، أولاً: لعدم الحاجة إليها عسكرياً، وثانياً: لما يمكن أن يترتب على ذلك من تفجير المنطقة التي قد تقلب الطاولة على رأس أمريكا وحليفتها، فإن توسيع نطاق الحرب سوف يعطي الفرصة بشكل أكبر للجماعات الجهادية، مما يمكنها من أن يكون لها وجود مسموح به، وهذا من أكبر ما تخشاه أمريكا وحلفاؤها، وفي المقابل من ذلك فإن توسيع نطاق العرب سوف يضع الدول العربية المتحالفة مع أمريكا في مأزق شديد، فإذا أدانت أمريكا تعرضت لما تخشاه منها، وإذا صمتت ولم تتخذ مواقف شديدة جداً، فقد يكون ذلك بداية العدِّ التنازلي لبقاء هذه الأنظمة في الحُكم، والذي يظهر للمتابع أنهم لن يقدموا على هذه الخطوة إلا مع الضعف الشديد في تقدير المواقف، وذلك ليس بغريب على أمريكا فقد وقعت في مثله باحتلالها للعراق.

لقد كان موقف الدول العربية المتخاذل من حرب العراق الأخيرة، والرضا من كثير منها بالعدوان الأمريكي عليها، أو عدم القدرة على اتخاذ موقف واضح تجاهها، وإخفاقها في الدفاع عن أحد أعضائها مما يتضح معه سقوط اتفاقيات الدفاع العربي المشترك، التي لم تعد أكثر من مجرد حبر على ورق، مما يمثل شهادة وفاة موثّقة للنظام العربي القومي.

أما الموقف من العدوان اليهودي على لبنان فيمثل شهادة موثقة أخرى ولكن بدفن ذلك النظام وإهالة التراب عليه، مما يتيح لليهود أن يشتطوا في ظلمهم وبغيهم وعدوانهم على الآمنين، وربما تشهد الفترات القادمة عدواناً آخر من اليهود على دول عربية أخرى، وهم آمنون من أن ينالهم ما يكدر صفوهم، فقد أصبح حال كثير من الدول العربية إزاء دولة اليهود على حدِّ قول القائل: «انجُ سعد فقد هلك سعيد».

ويظهر أنه ينبغي لأهل السُّنة أن يكون لهم حضور قوي على ساحات القتال وميادينه، ضد اليهود، وذلك لأمور، منها:

أولاً: لأن اليهود معتدون وغاصبون لأرض من أراضي المسلمين، وجهادهم واجب شرعي مؤكد، ولا حجة البتة للعرب والمسلمين في التخاذل في الدفاع عن إخوانهم في العروبة والدين.

ثانياً: أنه قد فُتحت لهم جبهة كانت مقفلة عليهم من قبل، ونسأل الله أن تظل مفتوحة ولا تغلق كما في السابق، أو كما هو حال كثير من الدول التي تُعرف بـ «دول الطوق».

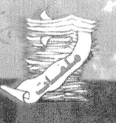
ثالثاً: لمنع انتصار اليهود حتى لا يحدث ما نخشاه من جراء ذلك.

رابعاً: لمنع انفراد القوم بالنصر، وذلك لمنع ما نخشاه من ذلك الانفراد.

---

(١) وقت كتابة هذا المقال.

(٢) وقد أشار بعض المسؤولين في إحدى الدول أن هناك من الدول العربية من أعطى ضوءاً أخضر بشكل مباشر بالعدوان على لبنان للقضاء على «حزب الله».



لنكن صُرحاء..
السلفية خط الدفاع الأخير

أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

الجنرال الأمريكي (جون أبي زيد) قائد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط، يعتبر أن الإستراتيجية الفائزة في العراق وفي أنحاء العالم الإسلامي هي عزل الطليعة السلفية عن المسلمين العاديين الذين يرغبون في حياة أفضل وأكثر حرية، وهو يقول إن «وعاظ السلفيين يرون أنفسهم جزءاً من طليعة حركة مهمتها دفع المسلمين الآخرين نحو تبني (الأفكار الراديكالية)» ويشبه أبي زيد - قبحه الله - هؤلاء بلينين وتروتسكي وزعماء الشيوعية الآخرين. وخلال تجمُّع لخبراء في السياسة الخارجية بواشنطن، طرح أبي زيد سؤالاً وجيهاً: ماذا كنتم فاعلين عام ١٨٩٠ لو كنتم تعلمون مدى الدمار الذي ستجلبه تلك الطليعة البلشفية؟»[١] والجواب معروف طبعاً.

التيارات السلفية إذن هي هدف الهجوم الأول بالنسبة للصف المعادي، وتكمن المفارقة هنا في أن السلفية بالنسبة للصف الإسلامي هي خط الدفاع الأخير، أو بلفظ آخر هي آخر من يظل متمسكاً بالثوابت الإسلامية التي تحولت عند الغالبية إلى متغيرات. يقول الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] وتفيد كلمة «يُمَسِّكون» «أن التمسك أمر تنبغي ملازمته في جميع الأزمنة».

وفي الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، يشاء الله - سبحانه وتعالى - أن تبقى التيارات السلفية رافعة لراية النقاء العقدي والديني للأمة في مواجهة اختلاط الرايات والشعارات، وفي كل أزمة ونازلة في الآونة الأخيرة؛ فقد باتت السلفية تمثل خط المواجهة الأخير الذي يحمل عبء رفع راية العلم وبذل الجهد لمنع اندثار ثوابت الإسلام.

وقد دخلت فتنة «حزب الله اللبناني» كل بيت تقريباً، وأصبحت رايات الحزب وصور زعيمه تخفق في مختلف أنحاء العالم العربي، وهتفت الجماهير في رحاب الأزهر السني: «نصر الله نصر الله.. كل مصر حزب الله»، وشَبَّهه المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين بـ«صلاح الدين الأيوبي» ووصفه آخرون بأنه زعيم الأمة الإسلامية، وحتى اليساريون التبس عليهم الأمر وخلطوا بين «الناصرية» و«النصرية» واعتبروا أن «الألف» لا تصنع فارقاً كبيراً، فرفعوا لافتات «ناصر ١٩٥٦م، نصر الله ٢٠٠٦م».

ولكن اليساريين لا تثريب عليهم اليوم؛ فقد تسرب دينهم من ثقوب كثيرة في عقولهم وقلوبهم من قبل، والجماهير تسوقهم قناة الجزيرة أكثر مما يفعله ألف منبر وخطيب، وإنما تكمن الأزمة في الإسلاميين المنبهرين بحزب الله، وتحديداً في المنهج الذي اتبعوه في اتخاذ موقف التأييد والدعم، وقد حاولتُ جاهداً تلمُّس معالم واضحة لهذا المنهج فأعياني البحث، ولم أجد إلا عبارات عاطفية حماسية تتحدث عن الوحدة مع حزب الله (الإثني عشري)، ولكني لم أجد أي حديث عن الوحدة مع تيارات وجماعات سلفية، إنها وحدة من نوع خاص إذن، تتجاوز حقائق الدين والتاريخ والسياسة، وحدة تقفز برشاقة فوق أحاديث الفرق الضالة؛ بينما تتعثر في أحاديث الطائفة المنصورة.

والملاحظ أن الاعتراضات على تبنِّي أغلبية التيارات السلفية لموقف مضاد لحزب الله متباينة إلى حد كبير؛ فبعضها يركِّز على أهمية الوحدة في الظرف الحالي، وبعضها يرفض اتهام الشيعة أصلاً بأنهم روافض، والبعض الآخر يعتبر أن الإمامية بمثابة مذهب فقهي خامس، وبعض هؤلاء يختزل القضية في أن عدو عدوي صديق لي، وكل من يضرب الكيان الصهيوني لا بد من موالاته أياً كان.

والحق الذي نراه أن المنهج الواجب اتباعه لتحديد الموقف الصائب من هذه القضية الشائكة لا بد أن يتضمن ثلاثة محاور: الأول: عقدي، والثاني: تاريخي، والثالث: سياسي.

(١) ديفيد داونر، موقع المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب.

أولاً: المحور العقدي:

اختلاط الرايات وتداخلها أصبح فتنة العصر، فالقضايا كلها من المتشابهات قياساً إلى تراجع العلم في أوساط الناس من ناحية، وتراجع العلماء عن اتخاذ مواقف عقدية حازمة من ناحية أخرى، وأصبحت المنطلقات العقدية هي آخر ما ينظر إليها في تحديد الولاءات واللاءات. وفي فتنة حزب الله، انتقد بعض الإسلاميين صراحةً المنهج العقدي في تفسير الأحداث والمتغيرات، ونقدم مثالاً على ذلك مقالة نشرت على موقع مجلة العصر تحت عنوان «خدعة التحليل العقدي» اعترض فيها الكاتب بشدة على اتباع رؤية عقدية في تفسير الأحداث في لبنان، وقال: «فالمشايخ الذين يفسرون الحرب في لبنان على أنها (مشكلة طائفية)، وانحراف وتوريط نجد تفسيرهم عقدياً جزئياً وخاطئاً» وقال بعبارة واضحة: «المحلل العقدي ضيق الأفق، قريب المدى، محدود الأبعاد في التفسير، ويأنس لرؤيته وموقفه أولئك المحدودون الذين لا يتحملون تعدد مجالات الرؤية، وصحيح أن التفسير الأحادي المغلق، الذي لا يدع مجالاً للتفكير ولا تعدد الأفهام، يصلح للقادة الغوغائيين، وقادة الجنود في الميدان، ولكنه لا يصلح لمستوى أعلى من الناس، ولا يصلح أن يسيطر على دولة؛ لأنها ستصبح بهذا التفسير فاشلة».

وقدم الكاتب عدة مسوغات لهذا النقد الحاد، فقال: «لماذا يعاني التفسير العقدي من القصور، والتعصب وقصر النظر؟: لأن المحلل العقدي يؤمن بأنه على الحق دائماً، وأن النصوص معه تؤيده وتحفزه وتحدد أطراف المعركة»، وقال أيضاً: «المحلل العقدي المتزمت لطائفته سواء أكان شيوعياً أم شيعياً أم سنياً، فإنه لا يرى العالم إلا من خلال عقيدته، وهي تعطيه مرة جزءاً تافهاً من المعرفة، ومرة تساعده كثيراً على المعرفة في التحليل، ولكن تغيب عنه آفاق قضيته».

ويقدم الكاتب بعض البدائل التي يراها أنسب من التحليل العقدي للوصول إلى موقف صائب من مختلف القضايا، فيقول: «إننا نجد في التحليل الاقتصادي والعنصري الاستعماري تفسيراً كثيراً للأحداث الدائرة اليوم، للصراع بين الأقوياء والضعفاء، بين الشعوب المغلوبة المقهورة على أرضها وثروتها وبين الغالبين تفسيراً واضح التعليل. أما التفسير العقدي فيسقط عند رجلي قائله، وبخاصة لو نقله إلى الحدود المجاورة لبلد التحليل؛ فلو نقلت صراع سنة وشيعة بضعة كيلو مترات من لبنان إلى فلسطين لسقط، ولو حملته إلى إيران أو العراق أو أفغانستان، فلا شك أنه لا يساوي حبراً كتب به».

والحق أن الأفكار الواردة في هذه المقال تحتاج إلى إسهاب في تناولها والتعليق عليها باعتبارها مثالاً على النقد الموجه ضد التيارات السلفية التي تعتمد رؤية عقدية في تحديد موقفها من حزب الله في لبنان، ولكن نكتفي في هذا السياق بالإشارة إلى نقاط رئيسة:

١ ـ يتضمن هذا الطرح ـ مع تقديري الشديد للكاتب ـ بواكير انهزامية تستدعي تجديداً مزعوماً كالذي جاء به (الشيخ محمد عبده) من قبل، وهو نمط من التجديد لا يحسن انتقاء القديم والبالي المفتقر إلى تحديث، بل القاعدة عنده: ذَرُوه كله أو اتركوه كله، وأي فكر يتعرض للتقادم بمرور الزمن، وليس العيب في تقادم بعض مفردات المنهج السلفي، بل الخلل في سوء تشخيص موضع التقادم والتحديد الخاطئ لموطن التغيير والتجديد؛ فما قدمه المقال هو بمثابة تعليق الثوب الصحيح على المشجب الخطأ.

٢ ـ من معالم الانهزامية الواردة في المقال: الانسحاب فكرياً إلى موقف حيادي مزعوم يستدعي خطاب «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب» في غير موطنه، وهذا الموقف قد يكون سائغاً في مجال الاختلاف الفقهي مثلاً، ولكن أن نعتبره في التعامل مع فرق وطوائف أجمع جل العلماء على ضلالتها، فهذا ليس طلباً للحق، ولكنه تنازل عن أصل الحق الذي أعتنقه من أجل فسح مجال أوسع للالتقاء مع مخالف هو نفسه لن يتنازل عما يراه حقاً، وبذلك لا يكون المطلوب هو تطوير أو ترقية التحليل العقدي، ولكن التخلي عنه وتعطيله لفترة من الزمن ريثما تتحقق مصالح سياسية يراها البعض معتبرة، وبذلك لا يصبح الوضع المثالي عند أصحاب هذا الطرح أن يتم اعتماد منهجية متكاملة في التحليل ترتكن على التفسير العقدي أولاً، وتعتبر بمعطيات السياسة والجغرافيا وغيرها ثانياً، ولكن يصبح الوضع مثالياً في بعض الأحيان ـ لديهم ـ باستبعاد التفسير العقدي مؤقتاً أو دائماً حتى لا يشوش على معطيات السياسة، أو بمعنى آخر تعطيل طائفة لا بأس بها من النصوص القرآنية والنبوية من أجل الارتقاء العقلي والفكري الذي يرومه أصحاب هذا الطرح.

٣ ـ مشكلة هذا الطرح أنه يتخلى عما يسميه جموداً، فيقع في حالة هلامية فكرية لا تستقر في قالب معين، وهي حالة تجعل أصحابها في أحسن حالاتهم يصطفون ضمن ركب البراجماتية العالمية، فرفاق اليوم قد يكونون أعداء الغد، وخصوم الأمس لا مانع من موالاتهم اليوم، وهو ما وقعت فيه كثير من الفصائل الإسلامية بالفعل، فأصبحنا نرى تناقضات يضطر الرأي العام والخاص إلى تجاهلها والقفز عليها اعتباراً للظروف الصعبة، ولكن ينبغي الإشارة إليها لأهميتها: تباين المواقف من الاحتلال داخل جماعات تنتمي إلى الفكر نفسه، فبعض الإسلاميين في العراق يهادن الاحتلال الأمريكي الذي قتل عشرات الألوف من العراقيين السنة، ويشارك في مشروعه السياسي الذي تعتبر المشاركة السنية أهم عوامل نجاحه، بينما حركة حماس التي تنتمي إلى الفكر نفسه تتخذ موقفاً مقاوماً للاحتلال الصهيوني، وبينما يبذل بعض الإسلاميين في سورية

جهوداً جبارة لإسقاط النظام السوري، تدافع حماس والجهاد الفلسطيني بشدة عن بقاء النظام الذي قتل الآلاف من جماعة الإخوان المسلمين في سورية، ودعم حركة أمل الشيعية في لبنان والتي كانت تضم عناصر حزب الله قبل تأسيسه، دعمها في إقامة المذابح للفلسطينيين في لبنان، وفي قضية حزب الله يصبح علينا وفقاً لنهج التخلي عن التحليل العقدي أن نؤيد حسن نصر الله بقوة، رغم أنه تلميذ ووكيل علي خامنئي مرشد الثورة الإيرانية الذي يدرب ويمول حرسه الثوري ميليشيات الصدر وبدر في العراق لذبح أهل السنة.

٤ - في مقابل حزب الله اللبناني الذي يحظى بهذه المكانة الرفيعة، فإن تجاوز الولاءات العقدية أدى إلى الإحجام عن دعم حركة طالبان ولو سياسياً أثناء الغزو الأمريكي لأفغانستان، وقد تداعى بعض العلماء فقط لزيارة الحركة في محاولة منهم لإنقاذ تمثال بوذا، وفي الصومال يحقق اتحاد المحاكم الإسلامية إنجازات هائلة لا يحفل بها الإسلاميون المنشغلون بحسن نصر الله، رغم أن مسؤول الأمم المتحدة سافيريو بيرتولينو اعترف أنه: «على مدى ١٥ سنة لم يستطع أحد أن يقوم بما قاموا به - اتحاد المحاكم الإسلامية - في ١٥ يوما»(١). أليس من اللافت أن كل الحركات السياسية ذات التوجه السلفي تتعرض للإهمال التام من قِبَل غالبية الإسلاميين؟

٥ - الخطأ الأول في هذا الطرح أنه يعتبر التفسير العقدي مجرد مكون من مكونات التفسير الصائب، يتقلص أحياناً إلى حد التلاشي، ويتعاظم أحياناً نادرة، والصحيح أن التفسير العقدي هو المرحلة الأولى والقاعدة الأساس التي ينبني عليها مراحل أخرى من المعرفة والفهم والتحليل، ومن ثم لا يمكن تصور منظومة تحليلية متكاملة لا تنطلق من مرحلتها الأولى العقدية، وبذلك يكون النقد الذي يمكن توجيهه للسلفيين في هذا المجال هو اكتفاء بعضهم بالمرحلة الأولى من مراحل الفهم والتحليل دون بقيتها، وليس تعاطيهم معها.

٦ - لا توجد منهجية أخرى للتحليل أو التفسير تجعل متبعها يحقق قدراً كبيراً من التوازن الداخلي والخارجي - بقدر ما يلتزم منها - سوى التفسير العقدي، وحتى لا نقع في الخلل نقول: (التفسير العقدي الإسلامي) لأن أصحاب هذا الطرح ترتكز س أفكارهم كما قلنا سابقاً على «التأرجح الحيادي» الذي ـعلهم يناظرون المحلل العقدي الإسلامي بالمحلل العقدي ـيوعي، وحسب قولهم: إذا كان الأخير قد جانبه الصواب بحكم التجربة التاريخية - التي ينعون علينا الاستفادة منها - فإذن لا بد أن يكون حكم الإخفاق مطرداً على كل محلل عقدي حتى ولو كان مسلماً.

○ **ثانياً: المحور التاريخي:**

الاعتماد على التاريخ منهجاً للتقويم وبلورة مواقف صائبة أمر بالغ الأهمية، فمقولة (التاريخ يعيد نفسه) صحيحة إلى مدى كبير، والتيارات الإسلامية تحديداً تعيد إفراز أخطائها بصورة مستمرة ولكن في قوالب متجددة؛ بحيث إن التقويم التاريخي يفيد في تلافي تلك الأخطاء، فقط لو استطاعت تلك التيارات القفز قليلاً فوق ضغوط الواقع وتداعياته..

ونذكر بعض الأمثلة التاريخية التي تكشف تعرض بعض التيارات الإسلامية للخطأ في تحديد موقفها من فصائل شيعية:

١ - عندما وقعت الثورة الخمينية عام ١٩٧٩م تداعى كثير من الإسلاميين للترحيب بها والتهليل لها، واعتبارها نصراً للإسلام وأهله، ونشطت دعاوى التقريب والتسامح واتُّهم السلفيون كالعادة بأنهم محترفو تعكير الأجواء الأخوية، وأنهم يتخيلون أوهاماً وترهات لا أساس لها من الصحة، ولكن بعد ٢٦ عاماً، اضطر هؤلاء جميعاً للاعتراف بالدور الإيراني الطائفي الدموي في العراق ضد السنة.

٢ - عندما تأسس (حزب الدعوة) الشيعي في العراق على يد محمد باقر الصدر، كانت علاقاته إيجابية مع حركة الإخوان المسلمين في العراق، حتى إن عدداً من عناصره انضموا لجماعة الإخوان، واستفاد الحزب الشيعي كثيراً من خبرات الإخوان التنظيمية والتربوية، ولكن لم يلبث الحزب أن اشتد ساعده ووضع خطة لتصفية الرموز الإسلامية السنية ومن بينها قيادات الإخوان في العراق، ولكن مواجهة (صدام حسين) للحزب أجهضت تلك الخطة الغاشمة، والآن حقق (إبراهيم الجعفري) إنجازاً كبيراً بإشرافه على قتل أكثر من ٤٠ ألف عراقي سني خلال تسلمه رئاسة الحكومة لأقل من عام، كما صرح بذلك (الشيخ حارث الضاري) رئيس جبهة علماء المسلمين، وذكر أحد الناشطين العراقيين نقلاً عن أحد القيادات الإسلامية المقيمة في لندن، أنهم قد انخدعوا بحزب الدعوة أثناء حكم صدام حسين، وقدموا له خدمات كثيرة وفتحوا له منابرهم ومراكزهم في أوروبا قبل أن يكتشفوا حقيقته الدموية بعد احتلال العراق(٢).

٣ - عندما دخل الاحتلال الصهيوني جنوب لبنان نثر الشيعة عليه الورود ورحبوا به لأنه سيخلصهم من الفصائل الفلسطينية، وعندما وضعت الحرب الأهلية أوزارها في لبنان قام الجيش السوري بجمع السلاح من جميع الفصائل المقاومة دون تفرقة، وكان الهدف الرئيس هو تقليم أظفار الجماعة الإسلامية اللبنانية السنية، واكتملت اللعبة بأن سلم حزب الله أيضاً ما لديه من سلاح، ولكن لم يلبث الجيش السوري أن أعاد لحزب الله أسلحته بعد أيام قليلة، ومنذ عام ١٩٨٢م سيطر

(١) مجلة نيوزويك ١/٨/٢٠٠٦م

(٢) المعلومات مؤكدة حسب إفادات شخصيات إسلامية من العراق.

حـزب الله على الجبهة الجنوبية بإشراف الحرس الثوري الإيراني، ومنع أي مقاتل سني من مجرد الاقتراب من الحدود مع فلسطين[1]، ومع ذلك عقد عضو اللجنة المركزية لحزب التحرير اللبناني عثمان بخاش مؤتمراً صحفياً في بيروت، دافع فيه عن حزب نصر الله وقال: «إن الأقاويل التي تروِّج بالقول إن الشيعة روافض هي أقاويل بائسة تنم عن جهل قائليها» [موقع أخبار الشرق ٢٧/٧/٢٠٠٦م].

٤ ـ حزب الله لا يتبرأ من تاريخه ولا يخفي عقائده، ويمكن التأكد من ذلك من خلال دُور النشر الشيعية في بيروت والتي تطبع جميع الكتب الشيعية الدينية والطائفية، كما أن قناة المنار رغم أسلوبها الدعائي وخطابها المداهن، إلا أن المتابع لها تتراكم لديه رؤية واضحة عن طائفية الحزب، وقد بثت القناة مؤخراً برنامجين وثائقيين أنتجهما على عدة حلقات عن كل من محمد باقر الصدر، والخميني، ويتضمنان عرضاً لأفكارهما وتوجهاتهما، ومعلوم أن باقر الصدر من شيوخ حسن نصر الله زعيم حزب الله الحالي.

● ثالثاً: البعد السياسي:

وبما أن الرؤية العقدية والتجربة التاريخية تدفعان في اتجاه بلورة موقف معارض لحزب الله اللبناني، فإنه لا يتبقى أمام مؤيديه من الإسلاميين السنة إلا التمسح بأعتاب المصالح السياسية، وخاصة أنهم يتهمون التيارات السلفية بضعف الاطلاع السياسي وسطحية الاستيعاب لتغيرات الواقع؛ فهل تدعم الرؤية السياسية اتخاذ موقف إيجابي من حزب نصر الله؟

كتب الصحفي الأمريكي (جون باري) في النيوزويك يتهم المسؤولين الأمريكيين والصهاينة بأنهم عاجزون عن الموازنة بين المكاسب قصيرة الأجل والأثمان طويلة الأمد في جرب لبنان؛ فهل يمكن القول إن الإسلاميين يعانون من المشكلة نفسها؟

١ ـ يطرح أحد الكتاب تساؤلاً منطقياً بخصوص مشروع حزب الله السياسي: «هل أعلن حزب الله عن مشروعه للقُوى المتحالفة معه فضلاً عن أن يعلنه للملأ من وراء هذا التصعيد المفاجئ وغير المسبوق، وكيف لي أو للقوى المتحالفة معه أن أثق وأمشي في مشروع لا أعرف بداياته فضلاً عن نهاياته، وهل هو مشروع إسلامي، أو عربي، أم أنه مشروع إيراني، وربما مشروع نظام إقليمي يُهيأ للمنطقة؟»[2].

٢ ـ حزب الله يرتهن الوضع الفلسطيني لصالحه، هذه حقيقة واقعة، ولا يمكن القول إن حرب حزب الله قد أدت إلى تخفيف الضغوط على الفلسطينيين، بل على العكس من ذلك يستمر الضغط عليهم ولكن دون تغطية إعلامية أو اهتمام شعبي، فالجيش الصهيوني قتل خلال حربه على لبنان ١٦٣ فلسطينياً في غزة، منهم ٧٨ مدنياً، ومن بينهم أيضاً ٣٦ من الأطفال الصغار، إضافة إلى ٢٠ امرأة، والمدافع أطلقت أكثر من ١٢ ألف قذيفة، وتمّ تنفيذ أكثر من ١٤ عملية غزو[3] واعتقل رئيس المجلس التشريعي (د. عزيز الدويك) وتعرض (إسماعيل هنية) رئيس الوزراء لمحاولة اغتيال بالسم، ولم تصل حتى الآن كذلك المساعدات المالية التي وعدت بها إيران قبل خمسة أشهر، وكل ما حدث أن القضية الفلسطينية أصبحت مرتهنة لحساب حسن نصر الله صاحب القرار الذي سحب التأييد الشعبي والسياسي من حماس، وحظي بمكانة لم ينعم بها حتى (الشيخ أحمد ياسين) ـ رحمه الله ـ وتحاول إيران استيعاب حماس في هذه المنظومة وعندما التقى (علي لاريجاني) الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني (خالد مشعل) في دمشق أكد له أن «هذه معركة الجميع، وأن حماس ليست فقط مؤيدة بل شريكة فيما يجري في هذه المعركة؛ لأن هذه المعركة تُخاض من أجل فلسطين»![4]، ومن ثم صرح (محمود مصلح) عضو البرلمان عن حركة حماس: «لا أحد يريد التفاوض من دون حزب الله، القيام بذلك بشكل منعزل هو خيانة»![5].

٣ ـ لا يمكن القول إن انتصار حزب الله أو الكيان الصهيوني يحققان مصلحة واضحة للمسلمين السنة؛ فانتصار الصهاينة لا يحمل إلا مساوئ لا حصر لها سوف تتحملها المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني قبل غيرهم، كما سيزداد مستوى الخنوع العربي والتسلط الأمريكي، وستنتقل واشنطن إلى المرحلة التالية في أجندتها الشرق أوسطية، أما انتصار حزب الله فمعناه أن طهران سوف تنتقل إلى البند التالي في أجندتها التوسعية، وأن أسلوب تحريك الأقليات سيكتسب زخماً جديداً، وسيبرز المشروع الإيراني بقوة على المستوى الإقليمي، وستزداد وطأة الاستحواذ الإيراني السوري على حركات المقاومة الفلسطينية، وسيتراجع النفوذ العربي على الفصائل الفلسطينية، ورغم حرص حركة حماس على تحرير قرارها السياسي من أي محاولات للاستيعاب، فإن حجم الضغوط والحصار المفروض عليها ليست هينة، أما في حالة: لا نصر ولا هزيمة، فسوف تبقى الأوضاع كما هي على الصعيد الفلسطيني، لكن مع تهوين الدم العربي أكثر، ولن يلتفت أحد إلى سياسة التدمير والقتل التي يمارسها العدو في الضفة أو غزة، وستكون إيران هي الرابح الأول.

٤ ـ انتصار حزب الله ولو سياسياً في هذه الحرب سوف يزيد من قوة الاختراق الشيعي للدول العربية، ومعلوم أن أغلب

(١) انظر مقالة أحمد موفق زيدان مدير مكتب الجزيرة في باكستان على موقعه www.maktoobblog.com/ahmedzaidan.

(٢) السابق.

(٣) المركز الفلسطيني للإعلام ٧/٨/٢٠٠٦م

(٤) الحياة ٢٨/٧/٢٠٠٦م.

(٥) مجلة نيوزويك ٨/٨/٢٠٠٦م.

الدول العربية يوجد بها حركات شيعية تنشط لنشر مذهبها بين المسلمين السنة، وسيسعى دعاة التشيُّع إلى استخدام الزخم الهائل (لكاريزما حسن نصر الله) وانتصار الحزب، ويخطئ من يعتقد أن حزب الله اللبناني لا يهتم بهذه القضايا، فهي بند رئيس في أجندته، وهو يستغل علاقاته بحركات المقاومة الإسلامية لاختراق المجتمع الفلسطيني، ويعتبر الشيعة أن (فتحي الشقاقي) مؤسس حركة الجهاد تشيع من قديم، ويذكرونه بهذه الصفة في الكتب التي تتحدث عن المتحولين من السنة إلى الشيعة، كما يُذكر «محمد شحادة» على أنه من عناصر الجهاد وهو داعية نشط للتشيع في فلسطين[١]. وقد ذكر الدكتور عبد الله النفيسي في الندوة التي نظمتها قناة الجزيرة وبثتها قبل ثلاثة أشهر عن إيران ومنطقة الخليج العربي، ذكر أن أحد قادة الجهاد أخبره بأن المساعدات الإيرانية للحركة تكون عادة مصحوبة بمطبوعات تروِّج للمذهب الشيعي، وقد كان حزب الله نشطاً في هذا المجال في الفترة التي اعتقل فيها مئات الفلسطينيين في مرج الزهور جنوب لبنان، حيث كانت لقاءات مطولة تعقد بين دعاة الحزب وناشطيه مع قيادات فلسطينية، وهو ما أدى لتشيع بعض العناصر من حركة الجهاد بالفعل، وكان هذا الاختراق من أسباب المشاحنات التي وقعت بين حركتي حماس والجهاد، حيث كانت حماس تبدي في أول الأمر قلقها من هذا الاختراق وخاصة أن قيادات الحركة في الخارج تأثروا في مراحل سابقة بالدعوة السلفية في الكويت أي أن رؤيتهم العقدية في هذه القضية على قدر من الوضوح، ولكن موقف حماس تراجع بسبب الاحتضان الإيراني السوري للحركة في مقابل الإهمال والإقصاء العربي[٢]، ومكمن الخطر في تنامي الإقصاء العربي لحركة حماس للدرجة التي تصل بالحركة مع إدراكنا لفطنة قيادات حماس في هذه المرحلة. إلى أن تتشيع سياسياً، أي يصبح قرارها السياسي مرتهناً بالمصالح الإيرانية على الأقل فيما يتعلق بالشؤون الخارجية للحركة، مع إدراكنا لفطنة قيادات حماس في هذه المرحلة، والغريب أن الدول العربية تبدي قلقها وتخوفها من السياسة الإيرانية التوسعية في الوقت الذي لا تبذل فيه أي جهد لتأمين حركات المقاومة السنية من الانزلاق إلى التشيع السياسي، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه القضية دائماً، هو: هل توجد دولة عربية يمكن أن تستضيف وجوداً نشطاً لمكتب حماس السياسي بخلاف سورية وإيران ولبنان، أي قوس الهلال الشيعي؟

٥ - العلاقة بين حزب الله وتيار الصدر في العراق راسخة، وقد ذكرت تقارير أمريكية أن إيران تستغل تيار الصدر لتسريب مساعدات إلى حزب الله اللبناني، ويعتبر التيار أن مقتدى الصدر وحسن نصر الله ينسجان على المنوال نفسه، وقبل أيام ألقى حازم الأعرجي من حركة الصدر خطبة أدان فيها الدولة الصهيونية، وأعلن تضامنه مع حزب الله الذي شبهه بجيش المهدي الميليشيا الموالية للصدر، وقاد مقتدى الصدر مظاهرة حاشدة لدعم حزب الله، كما يحظى الحزب أيضاً بدعم حزب الفضيلة الشيعي المتركز في البصرة، وكلا التيارين: الفضيلة والصدر، يمارسان أعمالاً وحشية ضد السنة؛ فما الذي يجمع بينهما وبين حزب الله، وهل هناك حلقة مفقودة؟

٦ - يقول (إبراهيم السيد) الأمين العام الأول لحزب الله، إن: «لبنان بناه الاستعمار بالشكل الذي يحقق من خلاله البوابة والمدخل الفكري والثقافي إلى منطقة الشرق الأوسط، وهو يحمل كل الأسلحة السياسية والعسكرية والفكرية والثقافية والحضارية من أجل تحويل شعب من شخصية معينة إلى شخصية أخرى منسجمة مع شخصية الغرب»[٣]. ونحن نقول: إن إيران تسعى اليوم، بل منذ عقود، لكي تحول لبنان إلى بوابة خاصة تحمل طابعها ومذهبها الديني تخترق من خلاله بقية الدول العربية؛ إذ الملاحظ أن الفصائل الشيعية في العراق لا تحظى بأي شعبية لدى الرأي العام العربي، ولا تبذل هي مجهوداً في كسب ود العرب، بخلاف حزب الله اللبناني وقيادته الحريصة على تصدُّر مكانة بارزة لدى الشارع العربي المسلم.

٧ - لم يحظَ (الشيخ حارث الضاري) بالدعم ولا بالتأييد الذي حصل عليه (حسن نصر الله) زعيم حزب الله الشيعي، ولم يحصل عليه أيضاً أي زعيم عراقي سني، ولم ترفع أي مظاهرات في دولة عربية شعار هيئة علماء المسلمين في العراق أو صور قادتها، فليهنأ إذن ملالي إيران؛ فقد نجحوا في خداع الرأي العام العربي، وقدموا غطاءً شيعياً شيعياً لأعمالهم في العراق، ونقلت قناة الجزيرة عن وكالات الأنباء أن القتلى الواردة جثثهم إلى مشرحة بغداد في الشهر الماضي فقط كانت أكثر من ١٨٠٠ جثة، أغلبهم بطبيعة الحال من السنة، هدية من طهران للشعوب السنية بمناسبة حرب لبنان.

● أيها السلفيون في العالم... اتحدوا!

قد تكون التيارات السلفية بالفعل هي خط الدفاع الأخير في مواجهة الاختراق الشيعي، ولكنه خط مذبذب من الداخل، يعاني من الخلافات «الجوهرية» بين تياراته، وهي خلافات لا يمكن رؤيتها بالعقل المجرد، بل تحتاج إلى قدرات ذهنية خاصة لاستيعابها، وتبقى هذه التيارات مع ذلك محضناً للإسلام وحصناً لعقيدته الصافية، ويحتاج اضطلاعها بهذا الدور الخطير إلى استحضار عدد من الأفكار والمفاهيم:

١ - ينبغي على التيارات السلفية أن تعيد النظر في آلية تكوين الولاءات والعداءات فيما بينها، فالأمر لا يتحمل هدراً للجهود والطاقات، ولا يليق التشاحن على قضايا اجتهادية بينما



(١) المتحولون، دار المحجة البيضاء بيروت، وهو كتاب مليء بالمغالطات والتحريفات والسباب لأهل السنة.

(٢) انظر بحث: الغزو الشيعي لفلسطين، موقع فيصل نور http://www.fnoor.com/fn1704.htm .

(٣) دولة حزب الله، تأليف وضاح شرارة، دار النهاية اللبنانية، ص ١١.

يفسح بعضهم مجالاً لحزب الله كي يصطف بجوارنا، والمطلوب العمل على ترسيخ ثقافة التعاون على البر والتقوى، والتناصح في قضايا الخلاف.

٢ ـ إعادة النظر في الخطاب الدعوي السلفي على ضوء التطورات والتغيرات، فلم نعد وحدنا في هذا العالم، وكل كلمة محسوبة ولها تبعاتها، كما أن الانطلاق من فرضية توجيه الخطاب إلى أنصار وأتباع لم تعد كافية في إقرار الحق، فهناك شبهات واختلاط وتدليس وتداخل، ومن ثم يجب الحرص على تكوين الرؤية القوية، وتوثيق المعلومة، وتعميق التحليل، والابتعاد عن الخطاب الدعائي المحض الذي ينبني على العاطفة ويعتمد على موالين مصدقين أكثر مما يعتمد على قوة التحليل ووضوح المعلومات؛ فالأمة في الوقت الحالي تحتاج بقوة أن يرفع التيار السلفي مستوى خطابه ويقوي أساليب الإقناع والمناظرة والجدال لديه لكي يدافع وينافح عن الثوابت التي يتولى حفظها وصيانتها.

٣ ـ السلفيون مطالبون بحسن التفقه في الواقع وتناول القضايا السياسية بعمق وتبصر، فقد أعرضت كثير من التيارات السلفية عن الاهتمام بالقضايا السياسية في الماضي حتى قال بعض رموزها: «السياسة نجاسة والبعد عنها كياسة» فخلطوا بين ممارسة العمل السياسي وبين فهم الواقع والأحداث، ولذلك فإن كثيراً من الدعاة والمحاضرين والباحثين السلفيين عندما يتناولون مثل هذه القضايا السياسية في الآونة الأخيرة يعتمدون منهجية متماثلة مع منهجية إعداد الدروس والمحاضرات والبحوث الدعوية والدينية المحددة، غافلين عن أن السياسة علم له مناهجه وأصوله التي يجب اعتمادها في تناول مفرداته وقضاياه، مع أهمية استحضار الثوابت والمنطلقات الشرعية في ذلك.

٤ ـ تحتاج التيارات السلفية في ظل الظروف المعقدة إلى تكوين رؤية استشرافية للمخاطر التي تتهدد الأمة ومن ثم تبني آلية مبكرة لمواجهتها قبل أن تتحول إلى قضايا رأي عام، كما حدث مع أزمة حزب الله حيث أصبحت مخاطبة الجماهير وإقناعها بحقيقته عسيرة في كثير من الدول، وكثير من الدعاة السلفيين تعرضوا لانتقادات شديدة جراء ذلك.

٥ ـ الوهابية ـ ومن ثم السلفية ـ في الفكر الشيعي هي الوريث الشرعي للمسؤولية عن اضطهاداتهم المزعومة بل عن مزاعمهم الكاذبة حول تجني الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على آل بيت النبي ﷺ، ولذلك فإن مواجهة السلفية تأتي ضمن القضايا المشتركة بين جميع الفصائل والأحزاب الشيعية من مقتدى الصدر إلى حزب الله مروراً بغيرهم، ولذلك فإنه حتى لو تبنت التيارات السلفية موقفاً إيجابياً من حزب الله، فلن يغير ذلك من ثوابت الأحزاب الشيعية ضد السلفية الوهابية.

٦ ـ من أهم الركائز التي يعتمد عليها الشيعة في نشر دعوتهم في أوساط السنة، كثرة رجال الدين عندهم إلى درجة كبيرة، وذلك بسبب الدعم المالي المتراكم من (جمع الخُمُس)، وفي المقابل تتراجع أعداد الدعاة السنة في كثير من الدول العربية والإسلامية، وهذا يدع قطاعات كثيرة من المجتمعات تعاني من أثر الجهل وتقع فريسة لدعاوى الضلال، وقد ساهمت الثورة الخمينية في دعم التعليم الديني لدى شيعة لبنان منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وقدمت مساهمات مالية ضخمة لإقامة الحوزات العلمية والإنفاق على طلبة متفرغين للعلوم الدينية الشيعية، وفي إيران كان تقدير عدد رجال الدين غداة الثورة الخمينية يتراوح بين ٨٥ و١٨٥ ألف رجل دين وناشط شيعي، وتذكر بعض الصحف الفرنسية تقديراً لعدد «الملالي» في إيران في مرحلة ما بعد الخميني يبلغ نحو ٣٨٠ ألف شخص[١].

٧ ـ تحتاج التيارات السلفية إلى تشكيل هيئات علمية تجمع شتات مجتهديها وعلمائها، ويناط بهذه الهيئات إصدار الفتاوى وتقديم الرؤى الشرعية في النوازل، وحتى لا تكون مواقف هذه التيارات متناثرة في فتاوى يتحمل عِبْأَها عالم واحد أو جهة واحدة، وخاصة أن تعدد الآراء والاجتهادات في هذه المرحلة يضفي قيمة متزايدة للاجتهادات الجماعية.

وحتى تستطيع التيارات السلفية أن تمارس دورها الأهم في حفظ ثوابت الدين من التحلل ـ بعد توفيق الله تعالى ـ لا بد أن تمتلك زمام المبادرة، فلم يعد ملائماً ولا لائقاً أن يسيطر خطاب الاستعلاء والانتقاء والانكفاء الذي يميز قطاعاً من التيارات السلفية؛ لذا ينبغي الانعتاق من الأبراج العاجية ومخالطة الجماهير؛ فلدى هذه التيارات فضول علم، والناس ذوو فاقة، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، وقد أصبحت أنفاس السلفيين ورؤوسهم معدودة ومحسوبة عليهم، وفي فرنسا مثلاً أحصت الاستخبارات عدد السلفيين فوجدتهم خمسة آلاف، ينشطون في أربعين مسجداً[٢] ولم نسمع عن إحصاءات قدمت عن تيارات إسلامية أخرى، ونشرت مجلة نيوزويك الأمريكية في نسختها العربية استطلاعاً للقراء عن احتمال ظهور طالبان عربية، مع طرح تساؤل عن كيفية التعامل معها[٣]؛ مع العلم أن حزب الله اللبناني قدم طيلة ٢٤ عاماً نموذجاً مثالياً لـ (طالبان شيعية)! وأنشأ مجتمعاً دينياً مغلقاً ومكتفياً ذاتياً دون أن يتعرض لأي انتقادات طالما أنه لم يقترب من الحدود الفلسطينية. إنها السلفية السنية إذن التي تقض مضاجع الجميع وتثير القلق في النفوس؛ فهل آن للسلفيين أن يعوا ما يدور حولهم، وأن يتلافوا ما قد يؤخذ عليهم وبخاصة أنهم أصبحوا في دائرة الضوء والمتابعة لهم من شتى الجهات المهتمة التي تعمل على إجهاض منهجهم لمكانتهم الكبرى في نفوس الأمة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

(١) السابق ص ٢٠.

(٢) كريستوف دولوار، لوبوان الفرنسية، موقع المركز الدولي لدراسات امريكا والغرب.

(٣) مجلة نيوزويك ١/٨/٢٠٠٦م.



تداعيات حرب لبنان

على القضية الفلسطينية والمسجد الأقصى

استغل العدو الصهيوني الحرب على لبنان في تصعيد القتل والتدمير وانتهاك المقدسات وتمرير المخططات السياسية في الأراضي الفلسطينية

تحقيق: نائل نخلة [*]

منذ بداية العدوان الصهيوني على لبنان، ورغم كثافة المعارك التي يشنها جيش الاحتلال في عدة مناطق استباحها هناك، إلا أن جبهة أخرى ظلت مفتوحة على جرحها في الأراضي الفلسطينية، وبوتيرة أعلى في ظل إهمال إعلامي أو تراجع في تركيز تغطية الحدث الفلسطيني أمام حجم الهجمة على لبنان.

ولم يتوقف ذلك العدوان في آثاره التدميرية على الجغرافيا اللبنانية، وإنما تعداه أيضاً ليلقي بظلاله على المنطقة، ومن أهمها تبعات هذا العدوان على الشعب الفلسطيني، سواء من ناحية تصاعد العدوان وسقوط الخسائر البشرية وتدمير البنى التحتية. أو من ناحية التأثير السياسي لتطورات الحرب على لبنان وتداعياتها على الفلسطينيين مقاومة وحكومة وشعباً، وعلى القضية الفلسطينية بعامة، خاصة في ظل الحديث عن نظرية «شرق أوسط جديد».

ويبحث هذا التحقيق في عدة محاور أهمها: تأثير العدوان الصهيوني على لبنان على مستقبل القضية الفلسطينية، ومن ثم يتناول هذا التحقيق جانب الانتهاكات التي تعرض لها الفلسطينيون منذ بداية الحرب على لبنان، إضافة إلى التطرق إلى مستقبل عمليتي حزب الله والمقاومة الفلسطينية التي أسفرت عن أسر ٣ جنود صهاينة وإمكانية نجاح الفلسطينيين في استثمار هذين الحدثين في إبرام صفقات للإفراج عن أكثر من ١٠ آلاف أسير فلسطيني مقابل تسليم الجنود المأسورين.

◎ الآثار السياسية:

من الواضح أن الحرب على لبنان، لن تكون محدودة التأثير كما يبشر به الكثير من الساسة والمحللون؛ إذ إنها ستترك نُدَباً واضحة في السياسة العربية عامة، وفي سياسة ومصالح الدول الغربية ومنها الأمريكية في المنطقة. كما أن العدو لن يترك حرباً يشنها بكامل قوته دون استثمار كل جزء فيها وتحويله لصالحه.

ومن المتوقع أن تكون القضية الفلسطينية، أول المتأثرين بتداعيات هذه الحرب، وربما ستتخذ (أي هذه القضية) أشكالاً من التغييرات تنسجم بالضرورة مع نتيجة هذه الحرب.

وفي توقعه لنتائج هذه الحرب على القضية الفلسطينية، يقول (د. عبد الستار قاسم) أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية بنابلس إن التأثير السياسي للحرب وتداعياتها يعتمد فعلاً على نتيجة هذه الحرب، فإذا كانت النتيجة لصالح حزب الله فالتأثيرات كثيرة.

ويتوقع (د. قاسم) في هذا السياق أن توازناً إقليمياً في القوى ستشهده المنطقة، كما أن الدولة الصهيونية لن تعود القوة الكبرى في الشرق الأوسط؛ لأن انتصار حزب الله هو انتصار لسورية وإيران، وهو الحدث الذي من شأنه أن يردع

(*) مراسل المجلة في فلسطين.

الدولة الصهيونية عن شن حروب جديدة مع العرب؛ على حين ستتوجه في سياساتها العسكرية نحو التركيز على الدفاع؛ بينما سيركز حزب الله على الهجوم مؤكداً أن من شأن ذلك ربما يؤدي إلى ازدياد النفوذ الإيراني والسوري في المنطقة.

أما على الساحة الفلسطينية فيتجه تحليل (د. قاسم) إلى توقع انتهاء ما اسماه «الحقبة العرفاتية». وكل ذلك في صالح بدء مرحلة جديدة من فكر المقاومة. في حين تصاب عملية السلام بضربة كبيرة. وكذلك يصاب أنصار التطبيع مع دولة الاحتلال على الساحة الفلسطينية بضربة كبيرة إذا كانت نتيجة الحرب لصالح (حزب الله).

وبناء على كل ذلك اعتبر (د. قاسم) أن هذه التطورات من هذه الرؤية، سيكون لها تأثير إيجابي وكبير على القضية الفلسطينية.

بينما يشير، بدرجة توقع النتيجة الإيجابية نفسها، إلى إمكانية أن يكون المردود سلبياً إذا ما حسمت الحرب لصالح العدو، وهو الأمر الذي من شأنه أن يعزز من الهيمنة الأمريكية الصهيونية على المنطقة، على حد قوله.

وفي تعقيبه على موضوع تأثير دخول بعض الأطراف الفلسطينية في استقطابات جديدة، يقول (د. قاسم): لن يكون أمام حماس إلا أن تحسم أمورها لصالح المحور الذي سيعادل القوة الصهيونية.

من ناحية أخرى يرى المراقبون الفلسطينيون أن المشكلة الكبيرة بالنسبة للفلسطينيين كانت في فصل القضية الفلسطينية عن بُعدها العربي والإسلامي، وهو الأمر الذي شجع العدو على الاستفراد بهم وجعلهم أيضاً تحت رحمة الأموال الغربية. أما ما يتوقع من نتائج هذه الحرب؛ فإنها ستسهم في إعادة القضية إلى عمقيها العربي والإسلامي، وهذا يعني أن القضية ستعود إلى مسارها الصحيح بأن يكون العرب والمسلمون مع الفلسطينيين من أجل استعادة الحقوق، وهو الأمر الذي سيلقي بالعدو في مأزق جديد أمام تكتل عربي جديد ومن نوع جديد.

○ شرق أوسط قديم... مفتت:

وفي الوقت الذي حملت وزيرة الخارجية الأميركية في زيارتها الأخيرة للمنطقة، رؤية أسمتها «شرق أوسط جديد» يقول (د. عبد الستار قاسم) إن هذا الطرح ليس جديداً، وهدفه تفتيت العرب وإشغالهم كلاً بنفسه دون أن يكون لهم تطلعات قومية أو إسلامية؛ وأن يكون هناك تكتل اقتصادي في المنطقة تهيمن عليه الدولة الصهيونية وتصبح من تلك العصا التي تحرك بها العرب والأتراك وإيران، وهو جزء من عملية العولمة الأمريكية.

من ناحية أخرى يحمل الفلسطينيون نظرة مختلفة لرؤية الشرق الأوسط الجديد. ويوضح المحلل السياسي (هاني المصري) أن المشروع الذي حملته وزيرة الخارجية الأميركية للمنطقة لم يكن سوى «استعادة الشرق الأوسط القديم» بعد أن فشل الأميركان والصهاينة في فرض رؤيتهم خلال السنوات القليلة الماضية، خاصة بعد احتلال العراق وأفغانستان ومحاولة تنصيب قيادات موالية بشكل أعمى للمصالح الأميركية في المنطقة.

ويضيف المصري: (إن التجارب الديمقراطية التي حاول الأمريكان والصهاينة لعب دور مهم فيها، لم تأت بالنتائج التي كان الطرفان يرجوانها في إنتاج قيادات موالية لهما، بل على العكس جلبت قيادات إسلامية مناهضة للمصالح الاستعمارية في المنطقة، وهذا ما يدفع أميركا والصهاينة اليوم إلى «استعادة الشرق الأوسط القديم» في مواجهة ما يسمونه قوى الشر «حماس والجهاد الإسلامي وسوريا وإيران»).

○ تصاعد العدوان على الإنسان:

وكما تشير كثير من التحليلات المحلية فإن إخفاق جيش الاحتلال في تحقيق الانتصارات من خلال حربه العسكرية المفتوحة على لبنان، انعكس بشكل واضح على الأرض الفلسطينية، من خلال محاولة تعويض هذه الخسائر، وإبراز جيش الاحتلال بالمنتصر القادر على تحقيق الإنجازات دوماً.

ومنذ بدء العدوان الصهيوني على قطاع غزة إثر عملية (الوهم المتبدد) التي نفذها عدد من قوى المقاومة الفلسطينية في الخامس والعشرين من حزيران الماضي، حتى يوم التاسع من آب قتلت قوات الاحتلال (١٩٠ شهيداً فلسطينياً) في قطاع غزة فقط، بينهم ٥٧ من الأطفال (دون ١٨ عاماً) بينما كان عدد الشهداء من الإناث ٢٥ شهيدة. وقد أصيب ٢٨ شهيداً برصاص حي، بينما سقط ٧٣ شهيداً نتيجة إصابتهم بشظايا الصواريخ، ووصل عدد الشهداء الذين سقطوا نتيجة إصابتهم بالقذائف إلى ٨١ شهيداً.

وقد وصل إلى المستشفيات الفلسطينية ٦٧ شهيداً وكانوا في وضع أشلاء ممزقة. من جانب آخر توفي ٥ مواطنين تم احتجازهم لأكثر من أسبوعين على معبر رفح.

ووصل عدد الجرحى خلال هذا العدوان إلى ٧٧٩ منهم ٢٧٨ من الأطفال، و٨٥ جريحاً من الإناث، وكان بينهم ٥٣ جريحاً برصاص حي، وكان من بينهم ٦٠٤ أصيبوا بشظايا الصواريخ والقذائف، و٨٤ جريحاً لم تتمكن الطواقم الطبية من تحديد نوع إصابتهم، وكان هناك ٨٦ بترت أطرافهم.

ويتضح من المتابعة لعمليات استهداف الفلسطينيين أن أسلوباً جديداً اتبعته قوات الاحتلال في عمليات القتل، وكانت نتائجه مأساوية خاصة في إيقاع عدد كبير من الشهداء بينهم عائلات بأكملها، وإحداث أكبر قدر من التشوهات والأضرار في أجساد الجرحى.

ووصف (الدكتور معاوية حسنين) مدير عام الإسعاف والطوارئ في وزارة الصحة الفلسطينية، حالات الشهداء الذين

سقطوا في العدوان الأخير خاصة بعد الحرب على لبنان، بالأشلاء مؤكداً أن الغالبية تعرضوا إلى تقطيع للرؤوس ووجود قطع لحمية صغيرة بحيث صعب التعرف على هوياتهم، مؤكداً أن الاحتلال يرتكب مجازر حقيقية بحق الأطفال والشباب الفلسطيني.

وقد اتبع جيش الاحتلال أسلوباً قاسياً في تصفية من يسميهم بالمطلوبين عن طريق قتل عائلات بأكملها كما حصل مع عائلة (الدكتور نبيل أبو سلمية) حيث استشهد مع زوجته وأطفاله السبعة، وكذلك الشهداء من عائلة حرارة حيث استشهدت أم وثلاثة شبان، وكذلك عائلة عوكل التي استشهد فيها أيضاً أم وثلاثة أطفال، بالإضافة إلى عائلة فلسطينية تحمل الجنسية السويدية التي استشهد منها أب وثلاثة من أبنائه.

وما ميز العدوان الأخير على الفلسطينيين وبخاصة بعد اندلاع الحرب على لبنان وتصعيد الاحتلال لعملياته العسكرية في الضفة والقطاع، استخدام الجيش الصهيوني الأسلحة المحرمة دولياً حيث إن معظم المصابين والشهداء الذين وصلوا إلى المستشفيات عانوا من جروح من الدرجة الثانية والثالثة نتيجة استخدام مواد كيماوية وأحماض فسفورية وبعض الفلزات واليورانيوم.

وأكد حسنين أن طبيعة الجروح وعدم استجابتها للعلاج والمضادات الحيوية والمسكنات يؤكد أنه تم استخدام مواد مشعة وغير تقليدية. مشيراً إلى «أن الانتشار الكبير للشظايا على أجسام الجرحى والشهداء يؤكد أن القذائف التي استخدمت محرمة وممنوعة دولياً». وقال: «القذائف التي تطلق عبارة عن قذائف حارقة وقنابل مسمارية، وتحدث أذى بليغاً في الجسد» مشيراً إلى أن عدداً كبيراً من المصابين تعرضوا إلى تقطيع للأطراف نتيجتها. ووصلت حالات بتر الأطراف إلى ٨٦ حالة.

وإلى جانب عمليات القتل المركزة، وإصابة أكبر عدد من المواطنين الفلسطينيين، كان التأثير النفسي أيضاً على نطاق واسع خاصة في صفوف المدنيين الآمنين في قطاع غزة، حيث رصدت المصادر الطبية الفلسطينية علاج ٤٣٣ حالة اضطرابات نفسية نتيجة العدوان الإسرائيلي؛ مؤكداً أن عدد الأطفال في هذه الحالات بلغ ٢٨٥ طفلاً.

◎ الإعلام منشغل بلبنان... والمقدسات في دائرة الاستهداف:

وفي اعتداءات غير مسبوقة، تحولت الحرب على لبنان بالنسبة لليهود المتطرفين إلى وسيلة لتنفيذ مخططات تدميرية بحق المقدسات الإسلامية خاصة في القدس، حيث أعلنت جماعة «رفافا» الصهيونية المتطرفة عن نيتها اقتحام المسجد الأقصى في الثالث من آب، أي في وقت تصاعدت فيه الحرب ضد اللبنانيين، وانشغلت وسائل الإعلام كافة في تغطية أخبار القتل هناك.

وبالرغم من فشل هذه المحاولة بعد تكثيف الحضور الإسلامي والفلسطيني في القدس قبل أيام من الموعد المحدد، وبخاصة الهبّة الجماهيرية الفلسطينية من فلسطينيي الأراضي المحتلة عام ٤٨؛ إلا أن هذه المخططات لا زالت قائمة وعلى أعلى المستويات في الحكومة الصهيونية.

وعلى سبيل المثال ورغم توجيه (مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية) بزعامة (الشيخ رائد صلاح) رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني قبل أسابيع نداءً عاجلاً للمؤسسات والهيئات العربية والإسلامية الفاعلة والمهتمة بشؤون المسجد الأقصى للعمل على وجه السرعة لإنقاذ المسجد الأقصى من مخطط صهيوني لهدم باب المغاربة الملاصق للجدار الغربي للمسجد الأقصى والذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من المسجد الأقصى، وهو الواصل إلى باب المغاربة أحد أبواب المسجد الأقصى؛ فإن ردود الفعل الخافتة والضعيفة على مستوى التحرك الإعلامي والعملي لمنع تنفيذ هذا المخطط أغرت المؤسسة الصهيونية وأذرعها المختلفة التابعة لها بمواصلة مخططها وسعيها لتنفيذه بأسرع ما تملك، حيث نشرت ما تسمى بـ«سلطة الآثار الصهيونية» وبحسب ما أعلنه أكثر من مصدر صحفي صهيوني - مؤخراً مناقصة لتنفيذ أعمال نقل أتربة طريق باب المغاربة أي إزالة هذه الطريق نهائياً، وهو الأمر الذي من شأنه تهديد بناء المسجد الأقصى بشكل مباشر.

وتنبهت الأوساط الفلسطينية الخاصة بمتابعة شؤون المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية الى أنّ المؤسسة الصهيونية تستغلّ انشغال العالم ووسائل الإعلام بأحداث العدوان الصهيوني على لبنان ومن قبله على فلسطين لتنفيذ مخططات تستهدف المسجد الأقصى والقدس الشريف، والدليل على ذلك أن هذه المخططات أُعلن عنها سابقاً وقبل سنوات وتمّ تأجيلها من قِبَل المؤسسة الصهيونية تحسباً منها من ردود الفعل الفلسطينية والعربية والإسلامية. وتعتبر ظروف الحرب على لبنان مناسبة لتنفيذ مخططاتها؛ ولذا فهي تصرّ على تنفيذها بأسرع وقت وفرضها على أرض الواقع بحيث يصعب تغييرها لاحقاً.

ويعلق (د. عبد الستار قاسم) على ضعف التركيز الإعلامي على تصعيد العدوان ضد الفلسطينيين مؤخراً، بالقول: إن حرب لبنان وضعت أخبار فلسطين في المؤخرة، ولكن في الوقت ذاته، فإن الحدث في جنوب لبنان ليس لبنانياً فقط بل هو حدث إقليمي وسيظل كذلك حتى يُحسَم الوضع.

◎ حتى الأسرى.. لم يسلموا من التصعيد:

وفي الوقت الذي يعتبر الكثيرون أن قضية الأسرى كانت فتيل القنبلة التي انفجرت لتثير كل هذه الحرب، سواء في لبنان أو في فلسطين؛ فإن سلطات الاحتلال لم تستثنِ أكثر من ١٠ آلاف أسير فلسطيني في سجونها من ارتفاع وتيرة الهجمة ضدهم، وخاصة بعد عملية أسر الجنديين في شمال فلسطين

المحتلة والجنوب اللبناني.

ومنذ اليوم الأول للعدوان على لبنان شرعت سلطات الاحتلال ومصلحة السجون الصهيونية في إعلان الاستنفار العام في أكثر من ٣٠ سجناً يحتجز فيها أكثر من ١٠٠٧٠ أسيراً فلسطينياً إلى جانب ٦١ أسيراً عربياً، ومنعت عنهم كافة أشكال الزيارة سواء من قِبل المحامين أو زيارات الأهالي، وقد انقطع الأسرى عن العالم الخارجي منذ ما يزيد عن شهر ونصف حتى منتصف آب تاريخ كتابة هذا التقرير.

وعقاباً لهم على إبداء فرحتهم بعد عملية أسر الجندي الصهيوني (جلعاد شاليت)، وكذلك بعد الأسر لجنديين آخرين في الجنوب اللبناني، أقدمت مصلحة سجون الاحتلال على قطع البث الفضائي والتلفزيوني عن كافة السجون والمعتقلات التابعة لها، في محاولة لمنع الأسرى من متابعة تطورات الوضع في الخارج.

كما تصاعدت هذه الهجمة بشكل واضح عندما أقدمت وحدات نشحون «وهي وحدات خاصة من الشرطة الصهيونية متخصصة في قمع الأسرى الفلسطينيين» على اقتحام أقسام الأسرى في سجني الدامون وشطة حيث يحتجز نحو ألفي أسير فلسطيني، وقامت بضربهم بشكل مبرح قبل أن تهاجمهم وترش غرفهم بالغاز المسيل للدموع. وقال الأسرى إن هذا الإجراء جاء بعد أن بدأ المعتقلون في الدامون وشطة بالتكبير في أعقاب وصول أخبار عملية أسر الجنديين إليهم.

ونقل بعض الأسرى المحررين حديثاً أن عدداً كبيراً من الأسرى الفلسطينيين في السجون المركزية، وهي أسوأ أنواع سجون العدو وتخضع لرقابة الشرطة، لا يعلمون بتاتاً ماذا يحدث في الخارج، وليس لديهم أيَ معلومات عن تطورات الحرب على لبنان والتصعيد الخطير ضد الفلسطينيين، بعد قطع البث التلفزيوني ومنع إدخال الصحف وأجهزة الراديو، وكذلك منعهم من زيارة أهاليهم أو محاميهم.

ويؤكد المهندس (وصفي قبها) وزير شؤون الأسرى والمحررين، والذي تعرض لعملية اختطاف من قِبَل جيش الاحتلال في نهاية حزيران الماضي وأطلق سراحه في بداية آب، يؤكد أن الاحتلال صعد من عمليات الاعتقال العشوائية، في أرجاء الضفة الغربية المحتلة والقدس، بعد عملية أسر الجندي الصهيوني على يد أذرع المقاومة الفلسطينية، وكذلك بعد بدء الحرب على لبنان.

ويكشف الوزير أن سلطات الاحتلال اعتقلت منذ الخامس والعشرين من يونيو أكثر من ٦٠٠ مواطن فلسطيني، من بينهم ٣١ نائباً في المجلس التشريعي من المحسوبين على قائمة التغيير والإصلاح وعلى رأسهم (د. عزيز دويك) رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني، وثمانية وزراء في الحكومة الفلسطينية، وأن الاحتلال نفذ خلال تلك الفترة أكثر من ١٤٨ حملة مداهمة واعتقال في أنحاء متفرقة من الضفة الغربية.

ويشير الوزير (قبها) إلى أن أعداد المعتقلين في سجون الاحتلال ومراكز التوقيف وصلت إلى (١٠٠٧٣) أسيراً، موزعين على ٣٠ سجناً ومعتقلاً ومركز توقيف وتحقيق، أكبرها سجن النقب الذي يضم (٢٤٠٠) معتقلاً من بينهم (١٠٠٠) أسير يخضعون للاعتقال الإداري دون تهمة أو محاكمة.

هل تفضي الحرب إلى تبادل للأسرى؟

وبينما يعلن (حزب الله) دائماً أن هدفه من أسر جنديين في الجنوب اللبناني استعادة الأسرى اللبنانيين الذين يتم احتجازهم منذ سنوات طويلة في سجون الاحتلال، تحتل قضية تبادل الأسرى وإمكانية إطلاق سراح عدد كبير من المعتقلين العرب والفلسطينيين في سجون الاحتلال مقابل تسليم الجنديين في لبنان، والجندي الأسير في غزة، تحتل المكانة الأكبر في سلم الاهتمامات لأكثر من ١٠ آلاف أسرة فلسطينية وعربية فقدت أبناءها منذ أعوام طويلة، فاقت ٣٠ عاماً كما حدث مع عائلة أقدم أسير فلسطيني (سعيد العتبة) الذي أمضى ٢٠ عاماً في السجون.

وعن أفق عملية تبادل الأسرى، يقول الباحث والمتخصص في الشؤون الصهيونية (نهاد الشيخ خليل): من الأهمية بمكان قراءة خوف الصهاينة من إجراء صفقة تبادل أسرى إلى عنصرين، هما: أن دولة الكيان الصهيوني تنظر للموضوع بنظرة عنصرية ونظرة غطرسة؛ حيث إنها لا تتعامل مع الشعب الفلسطيني كطرف وإنما كجهة واقعة تحت هيمنة الاحتلال وطرف يمكن إيقاعه من خلال الحرب الاستخباراتية. أما العنصر الآخر فهو البعد الاستراتيجي؛ فدولة الاحتلال تنظر إلى الأزمة في محاولة لاحتواء هذه التغيرات الإستراتيجية؛ بحيث إنها لا تريد أن تتعزز، ومنها نتائج الانتخابات التشريعية، واستلام حركة حماس للحكومة الفلسطينية.

من جهة أخرى يستبعد (الشيخ خليل) أن تقوم دولة الكيان الصهيوني بعملية تبادل أسرى سريع؛ فهي تستغل الوقت في معركة استخبارية، كما أنها تسعى إلى إيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في سبيل تفريغ أي صورة للانتصار الفلسطيني واللبناني من مضمونها عن طريق قتل المدنيين بأعداد كبيرة.

لكن من جانب آخر يشدد (الشيخ خليل) على أن المسألة تتعلق بقدرة المقاومة على إيقاع الخسائر في صفوف جنود الاحتلال الصهيوني، وتكبيد الاحتلال خسائر جمة بالإضافة إلى قدرة المقاومة الفلسطينية على إخفاء الجندي المأسور.

وبالرغم من هذا وذاك، يُجمِع الساسة والمحللون الفلسطينيون والمراقبون، على أن مسألة تبادل أسرى فلسطينيين وعرب مقابل ٣ أسرى من الجنود الصهاينة لن تخرج إلى حيز الوجود إلى أن تضع الحرب أوزارها وينتهي العدو من تحقيق مبتغاه في إحداث أكبر قدر من الدمار للتغطية على هزيمته.



الدور الجديد في الصراع بالمنطقة

د. يوسف بن صالح الصغير (*)
salehh70@hotmail.com

إن اغلب الحروب الحديثة تبدأ بمبررات غير حقيقية، بل إن السبب المعلن هو مجرد حدث بسيط يتم تضخيمه أو حدث مفتعل يتم استثماره لتنفيذ خطط معدة مسبقاً. فمثلاً لتحقيق هدف السيطرة على أمريكا الجنوبية وطرد الأسبان منها تم افتعال حادث تدمير سفينة أمريكية في ميناء هافانا، وقد تبين فيما بعد أن حادث السفينة الذي قتل فيه كثير من البحارة الأمريكيين مفتعل لتبرير حرب شعواء هدفها الاستيلاء على المستعمرات الأسبانية، وتمكنت أمريكا من تنفيذ المخطط والوصول حتى إلى الفلبين. إنها خطة إستراتيجية نفذت بعد حادث مفتعل. أما مبرر دخول أمريكا الحربين العالميتين الأولى والثانية فهو إغراق الألمان لسفن أمريكية؛ مع العلم أن أمريكا كانت تقف ضد ألمانيا منذ البداية، ولم تكن هذه الأحداث سوى مبرر ضخم إعلامياً لدفع الناس لتأييد الدخول المباشر في الحرب. وبعد أن اتفقت ألمانيا والاتحاد السوفييتي على تقاسم بولندا تم تنفيذ المخطط عام ١٩٣٩م بعد حادث حدودي مفتعل، وقبل هذا التاريخ بمائة سنة نفذت فرنسا مخطط احتلال الجزائر بعد أن قام السفير الفرنسي بإثارة غضب باي الجزائر الذي قام بضرب السفير بمروحة يدوية، وقل مثل ذلك عن الحرب اليابانية ضد الصين. ولم يعد أحد يصدق أن سبب الغزو الأمريكي للعراق هو تدمير أسلحة الدمار الشامل غير الموجودة أصلاً أو تخليص الشعب العراقي من الطاغية؛ فالطغاة في العالم كثر، والبديل الحالي أكثر طغياناً. إنها مجرد مبررات دعائية ليس إلا، لتسويق مشاريع كبيرة. ونحن الآن نعيش مسرحية جديدة في فلسطين ولبنان؛ فعملية تصفية حماس واجتياح غزة أطلقت بدعوى تحرير جندي تم أسره بعملية عسكرية بطولية، وكذلك عملية القضاء على حزب الله وتصفية الحساب مع سورية بدأت بمبرر إطلاق سراح جنديين صهيونيين أُسرا في عملية مشابهة لعملية حماس في غزة.

إن ما يجري هو صراع عسكري سياسي أطرافه متعددة؛ فما يجري في فلسطين هو قيام حماس بدفع العدو أن ينفذ محاولة تصفيتها التي كانت موكلة للسلطة. وفلسطين تعيش حالياً تحت الحصار والقصف المستمر، ولكنها تخلصت من خطر الاقتتال الداخلي، إنها تمر بمرحلة (ما بعد أوسلو) مرحلة انسحاب من غزة وإعادة احتلال الضفة ورفض للاحتلال وانكشاف الهدف الصهيوني من قيام السلطة فلسطينياً. لا شك أن دولة العدو ما زالت تتولى زمام إدارة الأزمة مع الفلسطينيين، ويقتصر الدور الغربي على الدعم والمشورة ولكن هل ينطبق هذا على الصراع الذي يجري مع لبنان؟ إنه سؤال كبير يطرح مزيداً من التساؤلات؛ فمثلاً:

هل هذه حقاً الحرب العربية الصهيونية السادسة؟

هل يمكن اعتبار ما يجري امتداداً للاجتياحات السابقة للبنان؟

هل تمثل الحرب الحالية دخول العدو في المشاريع الإقليمية بصورة مباشرة؟

◎ الصراع العربي الصهيوني:

لقد مر مشروع توطين اليهود في فلسطين بعدة مراحل تخللتها حروب نوجزها فيما يلي:

الحرب الأولى: إن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين هو مشروع مشترك بين الغرب الذي يتبنى المشروع لأهداف استعمارية ودينية، وبين الحركة الصهيونية التي كانت تحلم بإقامة دولة لها، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف قام الإنجليز بحملة عسكرية كبرى ضد القوات التركية المرابطة في فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى، وتم احتلال فلسطين بقوات إنجليزية قادمة من مصر وقوات الثورة العربية القادمة من الجنوب، وهذه هي الحرب الأولى التي يغفلها الباحثون والهدف منها تهيئة الأرضية المناسبة لتوطين اليهود وتجميعهم من أنحاء العالم وخاصة أوروبا الشرقية.

الحرب الثانية: هي حرب ١٩٤٨م، وكانت أطراف الصراع المباشر هي القوات الشعبية الفلسطينية والمتطوعين العرب، واشتراك سبعة جيوش عربية وهي أقسى الحروب في تاريخ دولة اليهود؛ حيث إنها كانت صراع وجود بالنسبة للفلسطينيين واليهود، ونتيجة الحرب كانت استيلاء اليهود على ٧٨٪ من فلسطين وقيام دولة الصهاينة بناء على قرار التقسيم الذي ينص على قيام دولتين: عربية ويهودية في فلسطين. إن عام ١٩٤٨م هو تاريخ إعلان قيام دولة اليهود وبداية المعاناة الفلسطينية العامة؛ فلم تقم لهم دولة، وبدأت الموجة الأولى من اللاجئين الذين فقدوا ديارهم في الأراضي المحتلة، وانتشرت المخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة وسورية ولبنان.

الحرب الثالثة: جرت عام ١٩٥٦م وتسمى (العدوان الثلاثي) الذي تحالفت فيه بريطانيا وفرنسا والصهاينة ضد مصر بدعوى الرد على إعلان مصر تأميم قناة السويس، ولا شك أن هذه الحرب تمثل بالنسبة لليهود فرصة لتأكيد تحالفهم مع الغرب

(*) أستاذ مساعد في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.

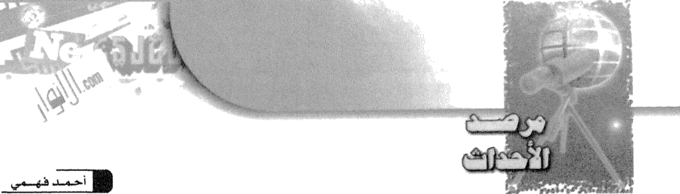
والتأكد من قدرات جيشهم الوليد، ونجح اليهود هذه المرة في احتلال غزة وسيناء والوصول إلى قناة السويس، وقامت أمريكا بالتدخل وإجبار الدول الثلاث على الانسحاب من المنطقة لتأكيد نهاية عصر الدول الاستعمارية القديمة وبداية عصر القيادة الأمريكية الجديد للغرب.

أما الحرب الرابعة: فهي مشروع توسعي إسرائيلي أتم فيه اليهود احتلال ما تبقى من فلسطين مع الجولان وسيناء وعادت إلى ضفاف قناة السويس من جديد. ومن أسماء هذه الحرب (نكسة ١٩٦٧م) أو (حرب الأيام الستة) مع أن نتيجتها حسمت في ست ساعات فقط. لقد أفرزت هذه الحرب مزيداً من المعاناة الفلسطينية وسيلاً جديداً من اللاجئين، ولكنها أفرزت بروز المقاومة الفلسطينية وتراجع الدور العربي مع فقدان الأفكار القومية العربية بريقها وبداية ظهور المد الإسلامي المتزامن مع عودة الأنظمة إلى الشعارات الوطنية.

كانت الخسارة المهينة للأنظمة العسكرية للحرب السابقة دافعاً لقيام الحرب الخامسة عام ١٩٧٣م وعلى الرغم من الجهد العسكري الذي بذل؛ فإن الهدف هذه المرة لم يكن تحرير فلسطين ولكن بداية مرحلة السلام مع اليهود؛ ولذا فإن الصراع التالي كان مع الفلسطينيين وحلفائهم من سُنَّة لبنان ويمكن تسميته بـ (مرحلة الاجتياحات) وتم على أثره خروج القوات الفلسطينية من لبنان، وتصفية الميليشيات السنية، وتراجع السيطرة المارونية؛ مع دخول لبنان في مرحلة العصر الشيعي تحت السيطرة السورية؛ إنها مرحلة جديدة تميزت بشن الميليشيات الشيعية المدعومة من سورية حرب إبادة وتصفية لبقية القوى الفلسطينية المسلحة، وتم تدمير المخيمات الفلسطينية على يد حركة (أمل الشيعية) وفي هذه المرحلة دخلت إيران على الخط، وبدأت في بناء نفوذها في لبنان عن طريق تكوين حركة شيعية جديدة منشقة عن حركة أمل ذات التوجه العلماني تؤمن بولاية الفقيه؛ وبقدر ما كانت حرب المخيمات القذرة محرضاً على الانشقاق عن أمل فإن الوجود الصهيوني في الجنوب كوَّن دافعاً قوياً لتمدد الحزب الجديد الذي أطلق عليه (حزب الله) في جنوب لبنان، والسيطرة على الشارع الشيعي. وبقدر ما كان شعار أمل المدعومة سورياً تصفية السلاح الفلسطيني شعاراً غبياً فإن شعار حزب الله تحرير الأراضي اللبنانية جاء ذكياً، وبقدر ما عملته إيران بثقلها السياسي والمالي والعسكري لتقوية الحزب؛ فقد تعاظم دوره في لبنان، ونجح في تكوين شبكة من العلاقات مع السنة والفلسطينيين تحت (مظلة المقاومة الإسلامية) التي تتيح للحزب السيطرة على العمليات العسكرية وتوجيهها مع ما يخدم أهداف الحزب ومنحه القدرة على التغطية على منعه أي عمل عسكري ضد اليهود إلا عن طريقه. لقد كان شعار المقاومة أساسياً لاستمرار الحزب، وكان تعنت اليهود ومحاولتهم الحفاظ على سيطرتهم على الشريط الحدودي فرصة ذهبية للحزب لتطوير قدراته العسكرية حتى تمكَّن من إجبار القوات الصهيونية على الانسحاب في أول هزيمة حقيقية لليهود، وهنا انتهت مرحلة الاجتياحات. نعم! لقد خرج اليهود من جنوب لبنان وحل محلهم من أخرجهم الذي لم يكن من الغباء بحيث يعلن تحقيقه النصر الكامل، ومن ثَم انتفاء مبرر وجود جناحه العسكري وبسط الحكومة اللبنانية سيطرتها على الجنوب، لقد كان احتفاؤه بالنصر عظيماً، ولكن المهمة لم تنته؛ فهناك منطقة لبنانية يحتلها العدو إنها (مزارع شبعا) وهي منطقة لبنانية كانت تديرها سورية، واحتلها العدو عام ٦٧م. إنه تخطيط عالي المستوى؛ فإننا في مرحلة تعجز فيه الأنظمة عن التحرير، وأثبت الحزب قدرته. وهنا نتساءل: كيف يمكن توصيف المرحلة الحالية التي تتميز بارتباط أحداث لبنان بالأوضاع الإقليمية أكثر من ارتباطها بقضية فلسطين التي لم تعد مطروحة بصورة أساسية؟

قضية أسرى أم ماذا؟

لقد خرجت القوات الصهيونية من لبنان بقناعة عجزها عن تحمل نتائج احتلال مناطق جديدة تنشط فيها مقاومة مدعومة، وهذه القناعة موجودة لدى حزب الله؛ ولذا فإن الحزب حرص على إبقاء أسباب المقاومة موجودة ولم يكن أمام الصهيونية بعد عجزها عن التعامل مع الحزب إلا أن تطرح قضية تصفية الحزب على الولايات المتحدة الأمريكية التي حرصت على التأكيد على تصفية سلاح الميليشيات اللبنانية واعتبار حزب الله منظمة إرهابية، وتم تجاوز هذه الأطروحات بالتأكيد على استثناء سلاح المقاومة، ولم تستطع حكومة لبنان الجديدة التي يسيطر عليها المناوئون للنفوذ السوري مواجهة الحزب الذي يشارك في الحكومة، وهنا تجاوزت القضية حزب الله والصهاينة بدخول أطراف أخرى؛ فالمشروع الأمريكي المتعثر في المنطقة يحتاج إلى الجهد العسكري الصهيوني المباشر ضد سورية وإيران؛ حيث إن ضرب إيران وسورية عن طريق العدو الصهيوني أسلم بمراحل من عملية أمريكية مباشرة تحتاج إلى جهد كبير من الإدارة الأمريكية لإقناع قيادات الجيش والشعب الأمريكيين بإمكانية نجاح المغامرة الجديدة مع أنها إلى الفشل أقرب؛ لأن ضرب إيران سيؤدي بالضرورة إلى امتداد الصراع الأمريكي الشيعي إلى العراق؛ وهذا يكفي لفشل المشروع برمته؛ إنه مشروع أمريكي يسمى (الشرق الأوسط الكبير) أو (الجديد) لا فرق؛ ولكن بتنفيذ صهيوني مدعوم بقوة من أمريكا؛ وبالطبع فإن أول مرحلة لهذا المشروع هي تصفية حزب الله، ومن ثم التفرغ لسورية وإيران. وهنا نفهم الرد السوري الإيراني باستباق الضربة بعملية تخلط الأوراق وتعطي العدو فكرة عن تكلفة هذا المشروع. ليس صحيحاً أن تدمير لبنان رد على عملية خطف جنديين، بل هو كما قالت (كوندا ليزا رايس) الشرق الأوسط الكبير، وأيضاً ليس صحيحاً أن العملية لفك أسرى لبنان لدى العدو، بل هي عملية لجر الصهاينة للمعركة قبل الأوان. وباختصار: فإن الدولة الصهيونية تخوض حرب أمريكا بالنيابة، كما أن حزب الله يخوض حرب سورية وإيران بالنيابة، إنه مشروع حرب إقليمية طاحنة، هي ثمرة مُرَّة لذلك المشروع الخبيث. عسى أن يعرف قومنا مدى حقيقة مثل تلك المشروعات المشبوهة ليحذروها قبل أن تتوالى عليهم شرورها المنتظرة.



أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

من هنا وهناك

– ذكرت مصادر في الخارجية الأمريكية أن هناك ارتباطات واتصالات بين تيار الصدر في العراق وبين حزب الله، وأن إيران تحاول استعمال الصدر كقناة اتصال ولتمرير المساعدات عبر العراق وسورية إلى الحزب في لبنان. [الحياة ٢٨/٧/٢٠٠٦م]

– صرح وزير العدل الإسرائيلي حاييم رامون للإذاعة الإسرائيلية قائلاً: «الواقع أننا حصلنا في روما على إذن لمواصلة عملياتنا حتى لا يعود حزب الله موجوداً في لبنان وينزع سلاحه». [وكالات ٣/٧/١٤٢٧هـ]

– ذكرت وكالة فرانس برس أن خمسين جندياً إسرائيلياً بمجرد أن عادوا من معركة بنت جبيل انهاروا على الأرض منهكين ووجوههم لا تزال مطلية باللون الأسود للتمويه، وعيونهم كانت تائهة وأبصارهم شاخصة، وأدى اثنان منهم الصلاة بجوار مدرعاتهم. [٢٧/٧/٢٠٠٦م]

– قال رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني الدكتور عزيز الدويك من سجن عوفر الصهيوني إن معتقليه قيدوه وعصبوا عينيه لمدة خمس ساعات. وحول إمكانية مبادلة أعضاء التشريعي بالجندي الصهيوني الأسير، قال الدويك: «والله لو قضيت بقية سني عمري وراء القضبان فلن أكون بديلاً ولا ورقة مساومة». [المركز الفلسطيني للإعلام]

– ذكر تقرير صهيوني صادر عن مركز جافي للدراسات الاستراتيجية والسياسية في جامعة تل أبيب أن عدد المسلمين الذين يخدمون بالجيش الصهيوني، يصل إلى نحو ١٢ ألف مسلم، بزيادة تصل إلى ٧٧ ٪ عما كانت عليه عام ١٩٨٤، بينهم ما يقرب من ١٣٠٠ مصري في سن الشباب ينخرطون في الأعمال الشاقة، وتشير معلومات إلى أن هناك ما بين ١٠ إلى ١٢ ألف مصري يعملون داخل الكيان الصهيوني، يتركز معظمهم في القدس والناصرة. [موقع مصريون]

– ذكر تقرير رسمي أمريكي أنه أرسل ما يقرب من ٣٥٠٠ من الأمريكيين المسلمين إلى العراق وأفغانستان للقتال مع القوات الأميركية، قتل سبعة منهم ومنح ٢١٢ منهم ميدالية العمل القتالي.
[الشرق الأوسط ٨/٨/٢٠٠٦م]

– يرفض الرئيس الباكستاني برويز مشرف الاستماع لنصائح مستشاريه الأمنيين حول ضرورة تقليص حركاته وزياراته لمختلف أنحاء باكستان، مما يتطلب من الأجهزة الأمنية بذل مجهودات مضاعفة لضمان أمنه ولا سيما أنه تعرض قبل ذلك لعدة محاولات فاشلة لاغتياله. ولوحظ مؤخراً أن مشرف يحرص على حمل مسدسه حتى في حفلات الزواج والحفلات المدنية الخاصة والألعاب الرياضية. [الوطن ١٤/٧/١٤٢٧هـ]

– ذكرت صحيفة صنداي تليجراف البريطانية أن غالبية الأسلحة التي يملكها حزب الله وصلت إليه عن طريق معسكر الزبداني، وهي قاعدة تابعة للحرس الثوري الإيراني في سورية قريبة من الحدود اللبنانية، وأن إسرائيل كانت على علم بشحنات الأسلحة تلك لكنها قررت عدم التدخل انطلاقاً من رغبتها بعدم فتح جبهة جديدة. [السفير اللبنانية ٦/٨/٢٠٠٦م]

علامة تعجب

وزيرة الإنجاب

اعتبرت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس أن ما يحدث في لبنان هو أحد علامات ميلاد الشرق الأوسط الجديد.

لبنان في العناية المركزة

صرح دان غيلرمان سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة بأن الجيش الإسرائيلي «حساس» فيما يتعلق بالأهداف، وقال للصحافيين في نيويورك: «صدقوني! لدينا القدرة العسكرية والتقنية على محو كل لبنان والحرص على ألا يعيش أحد يوماً آخر، لكن ليست هذه نيتنا، الأمر يتطلب وقتاً أطول ويكبدنا خسائر أكثر؛ لأننا نقوم بذلك بعناية». [وكالات ٣/٨/٢٠٠٦م]

من فضلك: اقلب الشريط

الرئيس الأفغاني حميد كرزاي، عندما سئل عما إذا كان سيطلب المزيد من القوات الأمريكية لمواجهة تصاعد نفوذ طالبان، رد بالقول: «أجل، سنطلب المزيد وسنظل نطلب المزيد، ولن نكف إطلاقاً عن هذا الطلب».
[وكالات ١٢/٨/٢٠٠٦م]

.. الجيش لم ينتصر

ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية أن «شعار الحرب كان بداية أن الجيش منتصر»، وبعد يومين أصبح الشعار «الجيش سينتصر»، وبعد عدة أيام أصبح الشعار «الجيش يستطيع أن ينتصر»، ثم تحول الآن إلى «الجيش يجب أن ينتصر». [الأسبوع القاهرية]

القراءة بالمقلوب

غضب الشيخ أوس خفاجي وهو رجل دين شيعي معروف، من تناول جواد المالكي رئيس الوزراء العراقي الطعام مع مسؤولين أمريكيين أثناء زيارته لواشنطن، وقال للصحافيين: إن كل الرعب الذي يعانيه الشيعة في العراق بسبب السيارات المفخخة والأعمال الإرهابية يستمر تحت حماية الخطط الصهيونية الأمريكية. [وكالات]

هل تستنسخ الهند التجربة الإسرائيلية في جنوب لبنان؟

في أعقاب التفجيرات في قطار مومباي الذي قتل جراءه نحو ٢٠٠ قتيل الشهر الماضي، واجه رئيس الوزراء الهندي صيحات متزايدة للانتقام من باكستان سياسياً على الأقل، المحققون ومسؤولو الحكومة الهنود لم يدينوا إسلام أباد مباشرة، غير أنه في المقابلات التلفزيونية وفي مقالات الصحف وعلى مواقع الإنترنت فإن الهنود الغاضبين يطالبون بأن تدمر بلادهم المواقع المشتبه بأنها تابعة لحركات إسلامية جهادية داخل الأراضي الكشميرية الواقعة تحت سيطرة باكستان، مثلما تفعل إسرائيل مع حزب الله في جنوب لبنان، ويطالب حزب بهاراتيا جاناتا - كان في الحكم قبل حزب المؤتمر الحاكم - علناً بأن يعتمد رئيس الوزراء سياسة «الملاحقة الساخنة» ضد الميليشيات التي تتخذ من باكستان مقراً لها، وقد دفعت صيحات المطالبة بالعقاب وارتفاع صوتها الرئيس الباكستاني برفيز مشرف أن يصرح بأن: «لا أحد يستطيع أن يتخذ إجراءات تأديبية ضد باكستان»، وحذر قائلاً: «إن دفاع البلاد في أيد قوية».

وكان رئيس الوزراء الهندي أشار بشكل غير مباشر بإصبع الاتهام إلى باكستان بعد يوم من الهجوم على القطار قائلاً إنه ليس بإمكان الإرهابيين القيام بتفجيرات مومباي من دون تأييد من «عناصر عبر الحدود».

[النيوزويك ٨/٨/٢٠٠٦م]

إطلاق الرصاص على القرآن قبل إلقائه على مسجد بولاية تناسي

طالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) وزارة العدل الأمريكية بالتحقيق في حادثة شهدتها ولاية تناسي الأمريكية قام فيها معتدون بإلقاء نسخة من القرآن الكريم على مدخل أحد مساجد الولاية بعد أن مزقوها بإطلاق عدة أعيرة نارية عليها، وقالت كير في بيان لها إن مرتكبي الحادثة السابقة صوروا ما قاموا به ووضعوه على شبكة الإنترنت، ويصور شريط الفيديو المنشور رجلين وهما يطلقان عدة أعيرة نارية على نسخة من القرآن الكريم مستخدمين سلاحاً آلياً غير مصرح للمدنيين باستخدامه، حيث قام أحدهما بعد ذلك بإلقاء النسخة الممزقة على مدخل أحد المساجد وهو يتصايح باسم المسيح، وللاطلاع على نسخة من شريط الفيديو يمكن زيارة كير على الموقع التالي: http://www.cair.com/video/kill%5Fthe%5Fkoran ويقول صاحب الموقع إنه يعتبر «أي شخص يقتل مسلماً أو يحاول على الأقل أن يقتل مسلماً» من الأبطال، كما يحتوي الموقع على تعبيرات عنصرية ضد الأفارقة واللاتينيين الأمريكيين، وكانت حوادث مماثلة تعرض لها أمريكيون من أصول عربية وإسلامية في الآونة الأخيرة، منها على سبيل المثال قيام أحد الأشخاص بولاية ماين بإلقاء رأس خنزير أمام المصلين بأحد المساجد.

[٢٠٠٦/٧/١م]

الصهاينة بين الخوف والتدمير

يعيش الكيان الصهيوني حالة من الخوف خشية ما يمكن أن تسفر عنه نتائج صراعه مع حزب الله الشيعي في لبنان، وهو ما يدفعهم إلى ممارسة مزيد من القصف والتدمير الوحشي للبنى التحتية والبشرية في لبنان.

وقد دعا رئيس تحرير صحيفة معاريف الإسرائيلية أمنون دانكنر إلى تسوية البيوت والأزقة في البلدات اللبنانية بالأرض وهدم الاستحكامات فوق ساكنيها وتدمير القرى اللبنانية بالكامل، وكتب بالمشاركة مع المعلق في الصحيفة دان مرغليت أنه حان الوقت: «لقساوة القلب وعدم إبداء حساسية مفرطة تجاه القرويين في لبنان، واستغلال تفوقنا الكبير في المدفعية والجو حتى لا يبقى زقاق أو بيت، ولتتحول الاستحكامات في الأرض قبراً وركاماً»، وكتبت صحيفة هآرتس أنه يجب وقف إطلاق النار فقط بعد تسجيل نصر واضح وباهر وحسم المعارك، ونقلت يديعوت أحرونوت عن مسؤول عسكري إسرائيلي كبير دعوته إلى تحقيق نصر يشفي الغليل ولو تطلب الأمر محو قرى لبنانية بأكملها من أجل وقف الصواريخ.

لكن في المقابل يقول درور إتكس، الناشط في حركة السلام الآن إن «العبرة التي سيأخذها العالم العربي والإسلامي هي أن التطرف مجد»، ويقول المؤرخ أماتزيا بارام: «لا يمكن أن نظهر على أننا الطرف الخاسر، العالم الإسلامي يضم ١,٢ بليون شخص في حين أن إسرائيل تضم ستة ملايين نسمة، إذا توقفنا الآن، فهذا يعني أننا خسرنا». وكتب المعلق الإسرائيلي بن كاسبيت في صحيفة معاريف: إن إسرائيل أمامها خيار بسيط إما أن تجري أو تقاتل، واستطرد: في كل الأحوال كل العيون مسلطة علينا الآن، هل سترکع إسرائيل وتستسلم أمام صواريخ الكاتيوشا وتزحف عائدة إلى ديارها وهي تنزف، حينها سيبدأ العد التنازلي للحريق التالي.

[نقلاً عن الحياة والنيوزويك والوطن]

إيرانيون يحرقون مساجد السنة في العراق

ذكر موقع هيئة علماء المسلمين نقلاً عن برلماني من السنة أنه تم اعتقال ١٢ إيرانياً في المقدادية كانوا يستقلون سيارة مدير شرطة قضاء الخالص برفقة أخيه، وكان في داخلها كمية كبيرة من الأسلحة منها القاذفات والبي كي سي ومفرقعات تفجير، وقد تدخل مدير شرطة ديالى لدى مدير شرطة المقدادية لغرض الإفراج عن هؤلاء الإيرانيين والسيارة، وفعلاً تم الإفراج عنهم، وكانوا يقومون بإحراق وتفجير المساجد في المقدادية وتحديداً الاعتداء على مسجد المقدادية الكبير داخل المدينة، كما قاموا بإحراق مجمع تجاري في السوق في المقدادية أيضاً وهذا ما اعترفوا به.

[١٤/٧/٢٠٠٦م]

الجيش العراقي ينتقم من نائب سني بقتل أقاربه

قال محمد الدايني النائب السني في البرلمان العراقي إن وحدات من الجيش نفذت حملة انتقامية على عشيرته بسبب موقفه من كشف الفظائع التي ترتكب ضد السنة في سجن بعقوبة.

وقال محمد الدايني: «بعد كشف حقيقة الأمر في سجن بعقوبة. وكيف تحصل انتهاكات حقوق الإنسان في هذا المعتقل من اغتصاب ومن خلال قلع الأظافر والصعق بالكهرباء بإدارة من هم يعملون ضد الخط الوطني أو الدخلاء على العراق والذين لديهم أجندة خارجية إيرانية؛ حيث كان لهذا الفعل ردة فعل معاكسة، وبعد ساعات من إعلاني عن هذه الانتهاكات قامت قوة من الجيش الحكومي في ديالى وتحديداً اللواء الثاني في الفرقة الخامسة بحملة مداهمات كبيرة على قرى وعشائر الداينية التي أنتمي إليها في بلدروز فاعتقلت عشرات من أبناء عمومتي، وأحرقت الكثير من بساتين أهلي في هذه القرية، ثم بعد ٧٢ ساعة أعقبتها تم قتل ١٠ من أبناء عمومتي؛ حيث كلفت فرقة من فرق الموت التي تعمل ضمن الأجندة الإيرانية ولها وجود علني في العملية السياسية حيث قامت هذه الفرقة من فرق الموت باختطاف أبناء عمومتي العشرة، وتم الاختطاف بالقرب من السيطرة القريبة من المجمع الصناعي عند مدخل المدينة وقد أعدموهم فرداً فرداً أمام انظار السيطرة الحكومية؛ علماً أن هذه الفرقة كانوا يلبسون ملابس رسمية وسيارت حكومية تستخدمها أجهزة الدولة.

[موقع هيئة علماء المسلمين ١٤/٧/٢٠٠٦م]

طريقة حراس الخميني في قتل السنة

نشر مراسل لمجلة النيوزويك الأمريكية تقريراً عن ارتكاب الميليشيات الشيعية مذابح في حق السنة، وقال كاتب التقرير إن الهجمات في الكوفة والمحمودية فقط خلفت أكثر من ١٠٠ قتيل في أسبوع، بينما شهدت بغداد وحدها ارتفاعاً بلغ ٤٠ بالمائة في نسبة التفجيرات وعمليات إطلاق النار، وأكد تقرير للأمم المتحدة هذا «التوجه الصاعد»، إذ قال إن أكثر من٦٠٠٠ مدني قتلوا في العراق في مايو ويونيو الماضيين فقط.

مشرحة بغداد المركزية ــ التي تتلقى أكثر من ٨٠ جثة يومياً ــ باتت هي الأخرى مسرحاً للمعارك. فهي الآن تحت سيطرة الزعيم الشيعي الراديكالي «مقتدى الصدر». وأحصى مراسل نيوزويك أكثر من عشرة من أعضاء ميليشيا الزعيم الشيعي هناك، بعضهم يرتدون اللباس الرسمي التقليدي الأسود الذي يرتديه أفراد هذه الميليشيا المسماة بجيش المهدي، وقال أحد العاملين في المشرحة الذي رفض الكشف عن هويته خوفاً من الانتقام إن مهمة هؤلاء مهمة دعائية جزئياً: لضمان عدم صدور معلومات عن المشرحة تتهم جيش المهدي وغيره من الميليشيات الشيعية باعمال القتل.

وقد اتضح أن معظم الجثث التي سلمت للمشرحة كانت لشباب سنيين، وهو ما يشير إلى أنهم قُتلوا على أيدي ميليشيات شيعية مثل جيش المهدي. وكذلك فإن طريقة القتل أثارت الاستهجان. وقال الأطباء إنه في الأسابيع القليلة الماضية، وصل الكثير من الضحايا أيديهم وأرجلهم مقيدة وأعينهم معصوبة وأفواههم مكممة بالأشرطة اللاصقة. ويبدو أن هؤلاء ماتوا ببطء، بعد قطع أوردتهم أو رسغ أيديهم. ووصف طبيب سني طلب عدم كشف اسمه لأسباب تتعلق بأمنه الشخصي ذلك بـ «طريقة حراس الخميني» وهي الطريقة التي كان يُقتَل بها الجنود العراقيون على يد الجنود الإيرانيين في الحرب العراقية الإيرانية. وبالنظر إلى العلاقة الوثيقة لجيش المهدي بطهران، فإن موظفي المشرحة ليست لديهم أي شكوك بشأن الأسباب التي تدفع مسؤولي ميليشيا الصدر إلى إخفاء مثل هذه التفاصيل. وقال الطبيب: «الحكومة العراقية الشيعية تتهم جماعات المقاومة (السنية) بارتكاب مثل هذه الأعمال. ولكن جميع العراقيين يعرفون أن هذه أفعال جيش المهدي».

وتنفي وزارة الصحة العراقية رسمياً أي علاقة لجيش المهدي بإدارة المشرحة، مع أن موظفي المشرحة تحدثوا عن مناسبات قام فيها أعضاء تلك الميليشيا الموجودون في المشرحة بتوجيه الأوامر إليهم بعدم وضع بعض الجثث غير المعروف أسماء أصحابها في ثلاجات المشرحة» مثل تلك الجثث التي لأصحابها لحى، على سبيل المثال، وهي التي قد تكون لأئمة سنيين ينظرون إليهم بازدراء. وأسوأ من ذلك، يقولون أيضاً إن أفراد تلك الميليشيا قاموا في بعض المناسبات بالاستيلاء على الهواتف الخلوية للضحايا والاتصال بذويهم لإبلاغهم بمصائرهم. وحين ياتي ذوو الضحايا إلى المشرحة للتعرف إلى الجثث، يقوم أفراد الميليشيات هؤلاء بتتبعهم حيث يقومون بقتلهم أيضاً.

[نيوزويك ١/٨/٢٠٠٦م]

نصف الفلسطينيين يرفضون التخلي عن هدف تدمير (إسرائيل)

في تأييد واضح لمنهج حركة المقاومة الإسلامية حماس، أظهر استطلاعٌ للرأي أنّ الفلسطينيّين يؤيّدون بشكلٍ متزايدٍ التزام حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التي ترأس الحكومة الفلسطينية بتدمير الكيان الصهيونيّ، وأظهر الاستطلاع الذي أجرته شركة الشرق الأدنى للاستشارات أنّ ٥٥٪ من الفلسطينيين يعتقدون أنّ على «حماس» التمسّك بتوعّدها بسحق الكيان الصهيونيّ لترتفع نسبة المؤيّدين عن ٤٤٪ في أواخر يونيو/حزيران، و٢٥٪ في يناير/كانون الثاني حين فازت حركة المقاومة الإسلاميّة «حماس» في الانتخابات البرلمانية.

كما أظهر الاستطلاع أنّ أغلبيةً ضئيلة من الفلسطينيين يؤيّدون التسوية السلمية مع الكيان الصهيونيّ في انخفاضٍ كبيرٍ عن استطلاعات سابقة، كما أجابت أغلبية ساحقة ممّنْ تمّ استطلاع آرائهم (٩٧٪) بأنّهم يؤيّدون موقف حزب الله من الكيان الصهيونيّ، وقال الاستطلاع: إنّ ٩١٪ من الفلسطينيّين يعتقدون أنّه يجب ألا يتمّ الإفراج عن الجنديّ الصهيونيّ الأسير في قطاع غزة دون شروط.

[المركز الفلسطيني للإعلام ٧/٨/٢٠٠٦م]

إعلان الحرب على البضائع الإيرانية

أعلنت مجموعات من المقاومة في بغداد ومدن عراقية أخرى عبر آلاف المنشورات بدء الحرب الاقتصادية على إيران، ودعت المواطنين وأصحاب المحلات التجارية إلى مقاطعة البضائع الإيرانية نهائياً، وهددت بمعاقبة كل من يخالف هذه التعليمات ويروِّج لتلك البضائع، ولم تعلن هذه الجهات عن هويتها ولكنها نفذت تهديداتها وحرقت عدداً من المتاجر، وهاجمت التجار المخالفين.

[مجلة الوطن العربي عدد ١٥٢٤]

الخطوة التالية: غلق المساجد

«اليوم نحن على موعد مع نكتة عربية جديدة، في ظروف عربية ليست جديدة؛ فهناك؛ مسؤول عربي هو الهادي مهني، يعمل كوزير للداخلية في بلد عربي (مسلم طبعاً) فاجأ بقية المواطنين بقرار يفطس من الضحك، ويدل إلى أي مدى تدهورت أخلاق ونفوس الناس، ويقنعك على الفور أننا أمة تستحق ما يجري لها. إننا، شعوباً وحكاماً، نجري بسرعة الصاروخ نحو المتحف، فمكاننا محجوز إلى جوار الديناصورات والماموث (حيوان غير مهم ومنقرض).

عقد سيادة الوزير مؤتمراً صحفياً كبيراً ألقى فيه القنبلة وقال: إن تونس أقرت نظاماً جديداً لتنظيم صلاة المسلمين، وشرح جنابه كيف قرر الحاكم صانع التغيير أن ينظم للناس كل شيء، حتى مكان وزمان الصلاة.

فقد ذكرت صحيفة (صوت الحق والحرية) التونسية أن وزير الداخلية حذر المواطنين من مخالفة هذا القرار الخطير، وقال إنه يتعين على كل تونسي الحصول على بطاقة مصلٍّ، وأن يودعها عند أقرب قسم شرطة أو حرس وطني، وستحمل البطاقة صورة المصلي وعنوانه واسم المسجد الذي ينوي ارتياده، وحسب الإجراءات الجديدة يتعين وجوباً على المصلي اختيار أقرب مسجد لمكان إقامته، أو عمله.

وزير الداخلية التونسي حرض أئمة المساجد على المصلين وحذرهم من اختراق هذا القرار، وطالبهم بطرد أي مواطن ليس معه بطاقة صلاة، وأن ينبهوا على هؤلاء المصلين بإبراز البطاقة على باب الجامع كي يُسمح له بالدخول!!

الأجمل أن البطاقة لا تجوز إعارتها ويمنع التنازل عنها للغير، وإذا قرر صاحبها الانقطاع عن الصلاة فإنه مطالب بتسليم بطاقته لأقرب مركز شرطة.

شدد الوزير ونبه وعمل ما عليه، وقال للناس حتى تفهم: من حق كل مصل أداء الصلوات الخمس طبعاً والنوافل، لكن في مسجد واحد فقط.

ولم يترك ثغرة في القرار، ولم يفتهم شيء، حتى زوار تونس من المسلمين أبناء البلاد المنكوبة الأخرى فسيطبق عليهم القرار فور دخولهم، بل عليهم أن يطلبوا بطاقاتهم من نقاط شرطة الحدود، لكن يا لحظ وسعادة الزوار؛ فقد سمح لهم الرئيس ووزيره بالصلاة في أي مسجد، أي مسجد؛ فالبطاقة التي يحملونها مثل الماستر كي تفتح أي باب، لكن عليهم إعادة البطاقة قبل المغادرة.

وللأسف اختلط الأمر على بعض المواطنين ممن لم يفهموا ويستوعبوا، واختلط علينا كذلك كمسلمين في دولة إسلامية وعربية مجاورة لتونس.

فلم نعرف حتى الآن هل يسري القرار على صلاة الفرد في منزله أو في أي مكان؟ وماذا لو صلى جماعة بأهله أو زملائه مثلاً؟ هل يقبل الرئيس صلاته ويضمها إلى ميزان حسناته كمواطن أم تعد لاغية لأنها من غير بطاقة؟!»

[خالد الدخيل، الأسبوع القاهرية ٧/٨/٢٠٠٦م]

أخبار التنصير — التنصير يفترس كوريا الجنوبية

بثت قناة GOD TV الكورية الجنوبية، وقائع مهرجان مسيحي كبير جرى في أحد الملاعب الضخمة بعنوان (مهرجان النمو المسيحي) حضره قادة كبار وعشرات الآلاف، في اجتماع صلاة كبير، قدموا لهذه الغاية من كل أنحاء كوريا.

ومن المعلومات التي تحدث بها أحد القادة الكنسيين على الهواء مباشرة، أنه في دولة كوريا الجنوبية: لم يكن عدد الذين يعرفون «الرب يسوع» عام ١٩٠٠ أكثر من مئات محدودة، بينما في العام ٢٠٠٠ الماضي (بعد مائة سنة فقط) سمعنا أن ما يقرب من ٩٥٪ من أهل كوريا الجنوبية أصبحوا مسيحيين مؤمنين.

وقال مقدم المهرجان إن شعب كوريا الجنوبية مؤمن بنشر الإنجيل، وأن معظمهم رهبان صلاة، في البيت، في المكتب، في المدرسة، في المصنع، ولذلك فهم يدفعون العشور (كما أمر المسيح بحسب زعمهم) أو ١٠٪ من دخلهم، لنشر كلمة الله في قارة آسيا حسب قوله.

في سورية

فشل مؤتمر الحوار الأرثوذكسي الكاثوليكي (مستجدات وتصورات). [وكالة الأنباء السورية - ٢٠٠٦/٧/٧]

استجابة لتسليم المنطقة العربية بالنشاط التنصيري في أرجائها، استضافت مطرانية الروم الأرثوذكس بمدينة حلب السورية يوم الجمعة ٢٠٠٦/٧/٧، مؤتمراً عالمياً بكنيسة النبي إلياس، للتنسيق بين الجهود الأرثوذكسية والأخرى الكاثوليكية في المنطقة، تحت عنوان: (الحوار الأرثوذكسي الكاثوليكي. مستجدات وتصورات)، حضره أكثر من (٤٠٠) شخصية كنسية عليا، أملاً في توحيد الجهود؛ لكن الرياح أتت بما لم تشته السفن؛ حيث تأججت عدة خلافات عقدية بين الطرفين، أفشلت التنسيق فيما بينهما.

وكانت الحكومة السورية قد استجابت قبل شهرين فقط من هذا المؤتمر (الجمعة ١٢ يونيو)، لتنظيم مؤتمر تنصيري رسمي، يهدف إلى تنشيط الوجود الرمزي لبعض الطوائف المسيحية القديمة، تحت عنوان (القديس إفرام والمدى الحضاري)، وبرعاية الرئيسين السوري بشار الأسد، واللبناني إميل لحود، وحاضر فيه القس البروفسور سيبستيان بروك من جامعة أكسفورد عن جذور النصرانية في بلاد الشام.

مؤتمر تنصيري لوضع خطط الانتشار السريع

[حامل الرسالة ٢٠٠٦/٧/٢]

وسط حضور ديني وسياسي ومدني حاشد في المركز الملكي بمدينة مونتريال الكندية، وعلى مدى أسبوع متواصل، نظمت كنيسة أنطاكيا الأرثوذكسية في بلاد المهجر، واحداً من أخطر المؤتمرات التي عقدت خلال السنوات العشر الأخيرة، برعاية البطريرك غريغوريوس الثالث لحام، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والإسكندرية وأورشليم .

احتل المؤتمر الترتيب الخامس في سلسلة المؤتمرات السنوية لبطريركية أنطاكيا، وعقد تحت عنوان: (الدعوة في بلاد الانتشار)، وجاء في توصياته الختامية:

- يعمل الآباء على إيجاد وسائل جديدة وجذّابة لإحياء العمل الرعويّ ونشر البشارة.
- وضع رؤية مستقبليّة لكنيستنا في الانتشار.
- إنشاء ميزانيّة خاصّة لتأمين مصاريف نشر البشارة.
- إقامة الصلوات الرعويّة باللغات المحلّيّة، مع المحافظة على اللغة العربيّة.

وبعد المؤتمر، دار حوار موسع مع المشاركين - بحسب تعبير المصدر الإعلامي - تناول العمل الحركي في مختلف وجوهه.

● «الحقيقة أن السوريين هم طرف في هذا الصراع بين إسرائيل وحزب الله، لكنهم ليسوا مفتاح الحل».

[ضابط بجيش الاحتلال الصهيوني لصحيفة هآرتس ٢٠٠٦/٧/١٩م]

● «زعيم حزب الله يجلس الآن تحت أحد مباني مكاتبه التي دمرت بالكامل جنوبي بيروت، لكن يمكنه الهرب وإدارة أعماله كالمعتاد».

[رئيس الأركان العسكرية الصهيوني، دان حالوتس، بمؤتمر صحفي الإذاعة الإسرائيلية ٢٠٠٦/٧/٢٠م]

● «إذا اضطررنا للعمل ضد الرئيس السوري فسنعمل بكل ما نملك من أسلحة، وبدون المناورات البهلوانية التي نقوم بها بين الحين والآخر فوق قصره».

[رئيس حزب «إسرائيل بيتينو» اليميني المتطرف أفيجدور ليبرمان - صحيفة هتسوفيه ٢٠٠٦/٧/١٧م]

● «إن موعد اعتداء حزب الله في الشمال تم تنسيقه مُسبقًا مع إيران بغية تحويل أنظار المجتمع الدولي عن الملف النووي الإيراني».

[رئيس الوزراء الإسرائيلي، إيهود أولمرت، للصحفيين الصهاينة ٢٠٠٦/٧/١٨م]

● «إذا لم نستيقظ مبكراً لما يحدث الآن من تطورات في البنية التحتية لحماس بغزة، فسنجد أنفسنا بعد عامين في نفس أوضاعنا الحالية أمام حزب الله».

[رئيس جهاز الأمن العام الصهيوني، الشاباك، صحيفة معاريف ٢٠٠٦/٧/٢٣م]

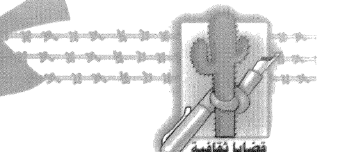
متفرقات عبرية

● «إيهود أولمرت يريد في الحقيقة وقف الحرب في لبنان، خاصة بعد التطورات على أرض المعركة ومقتل عدة جنود في الجنوب، لكن وزيرة الخارجية الأمريكية، كونداليزا رايس، حذرته من إعلان ذلك وإلا فستتوقف جميع المساعدات الأمريكية».

[صحيفة معاريف - ٢٠٠٦/٧/٢٣م]

● «الحرب تُعكر شمال وجنوب إسرائيل فشركة مايكروسوفت الإسرائيلية طلبت من عمالها بحيفا وعددهم ١٨٠ الجلوس في بيوتهم، وأغلقت الشركة، وشركة كوكا كولا فرع إسرائيل ألغت حفلها السنوي في شوارع إسرائيل».

[صحيفة زي ماركر الاقتصادية العبرية ٢٠٠٦/٧/١٩]



التعليم
ودوره في التغريب العقائدي والسلوكي

د. محمد بن عبد الله الشياني

الواقع المعاصر لحال الأمة الإسلامية تجاه الحملة الشرسة على مقوماتها الدينية، والسلبية تجاه هذه الحملة، واستسلام الأمة بكل فئاتها بقبول مقولات الغرب الصليبي ـ بل لقد تعدى الأمر إلى مساندته في إذلال الأمة، وقبول مقولاته، والسعي الحثيث إلى تبني برامجه الاقتصادية والسياسية والثقافية ـ يثير في النفس السوية كثيراً من التساؤلات عن الأسباب التي جعلت الأمة تشرب كؤوس المهانة دون شعور بالذل؛ حيث تنتهك حرماتها وتسلب خيراتها فلا يتحرك عضو ليهشَّ عن جسد الأمة ما تُصفع به ليل نهار، بل لقد استمرأت الهرولةَ خلف الغرب الصليبي مسلوبة الإرادة؛ حيث احتجبت الحقيقة عن الأنظار، فلا تسمع الأمة إلا ما يقوله الغرب، ولا ترى إلا ما يرغب الغرب أن يراه، إن قال أنصتت الآذان لقوله، وإن أَمَر سارعت الأقدام لتنفيذ أَمْره، فهو السيد المطاع فلا اعتراض على حكمه، الحكيم الذي تؤخذ الحكمة منه، وما علينا إلا أن نسمع فنطيع، فمن خالف أمره، أو شكَّ في قوله أو انتقد تصرفه، أو طلب من الأمة رفع هامتها وإزالة الوهن الذي ران على قلبها؛ فهو إرهابي يجب نبذه، ومريض ينبغي عزله؛ حتى لا تنتشر عدوى مرضه إلى الآخرين.

● مراحل الصراع الأربع مع الغرب:

الإجابة عن تلك التساؤلات مرتبط بمعرفة وإدراك نوع وحجم الصراع مع الغرب النصراني؛ فالصراع معه قد مرَّ بأربع مراحل منذ بعثة رسولنا الأكرم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وحتى يومنا هذا؛ كما حدَّدها الشيخ (محمود محمد شاكر) ـ رحمه الله ـ[1].

الأولى: سمَّاها صراع الغضب لهزيمة (النصرانية) في أرض الشام ودخول أهلها في الإسلام.

والثانية: مرحلة صراع الغضب المنفجر المتدفق من قلب أوروبا مشحوناً ببغضاء وجاهلية عاتية، وتغطي هذه المرحلة فترة الحروب الصليبية.

والثالثة: سمَّاها صراع الغضب المكظوم الذي أورثه اندحار الكتائب الصليبية على العالم الإسلامي.

أما المرحلة الرابعة: فقد سمَّاها صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية وتغلل النفوذ الإسلامي في أوروبا من الشرق، بعد أن تراجع النفوذ الإسلامي من الغرب، وخروج المسلمين من الأندلس. لقد نتج عن هذه المرحلة ـ أي: المرحلة الرابعة ـ أنْ حدَّدت أهداف القضاء على الإسلام، والاستعداد لحرب صليبية رابعة ـ والتي نحن نعيشها في عصرنا الحاضر تحت ما يسمى بـ «محاربة الإرهاب» ـ بعد أن يتمَّ القضاء على المقومات الدينية والحضارية للمسلمين.

● سياسة الغرب في حربنا:

لقد أتبعَ الغرب النصراني سياسة طويلة النَّفَس في المرحلة الرابعة؛ والتي تمثَّلت في التغريب الثقافي من خلال ما يعرف بحركة «الاستشراق» التي مهَّدت للاستعمار، واحتلال البلاد الإسلامية، وتنفيذ المخطط الذي قام على صنع أجيال انفصمت عراها عن الإسلام، ووفق الاستراتيجية التي رسمها الغرب النصراني، والتي أشار إليها القس (زويمر) خلال مؤتمر المبشرين الذي عقد في القدس عام ١٩٣٥م حيث قال: «إن مهمة (التنصير) التي ندبتكم دول (النصرانية) للقيام بها في البلاد المحمدية ليس إدخال المسلمين في النصرانية، إن مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، ومن ثَم لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها بذلك، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية»[2].

ويقول المبشر (تكلي): «يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني؛ لأن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للشيخ (محمود محمد شاكر ـ رحمه الله ـ وقد نشرت ضمن سلسلة كتاب الهلال)، وهي في الأصل مقدمة طويلة لبحث الشيخ عن الشاعر المتنبي.

(١) «قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام، أبيدوا أهله»، جلال العالم، الطبعة التاسعة، ١٩٧٠م.

الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية». ويشير (زويمر) إلى أن التعليم على النمط الغربي هو الوسيلة التي يجب اتباعها. وفي هذا الصدد يقول: «ما دام المسلمون ينفرون من المدارس النصرانية فلا بدّ من أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس هي التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب»[1]، ويشير إلى دور التعليم في تغيير الهوية الإسلامية بقوله: «لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً، وانحصرت في طقوس محدودة، وقد تمّ معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ولم يعد من الممكن الرجوع عنه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حدٍ بعيدٍ على القادة والزعماء في العالم الإسلامي وعلى الشباب منهم خاصة، كل ذلك نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني»[2].

لقد بدأ التنفيذ لهذا المخطط النصراني في علمنة العالم الإسلامي والعربي من خلال التعليم والبعثات التعليمية، ووضع المناهج التعليمية بعد غزو (نابليون) لمصر وقيام دولة (محمد علي) في مصر؛ فقد بدأت البعثات إلى فرنسا عام ١٨٠٥م، وكان لأولئك المبتعثين دور في نشر الفكر الإلحادي الغربي، كما تمّ إنشاء أول مدرسة على النمط الغربي العلماني في مصر وهي مدرسة (الألسن) عام ١٨٣٦م، وفي هذه السنة تمّ إعداد نظم التعليم في مصر والتي اقتبست من التعليم الفرنسي، حيث كونت لجنة من الفرنسيين الذين وضعوا اللوائح لمراحل التعليم الثلاث؛ والتي هي السمة البارزة في نظم التعليم العربية المقتبسة من النظام المصري.

● سياسة إفساد الأجيال:

إنّ الناظر في واقع الأمة الإسلامية إلى ما أنتجه التعليم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين من تحقيق لأهداف الاستعمار الصليبي بحرف الأمة عن قيمها وموروثها الحضاري والعقائدي بعد أن دُجِّنت من خلال غسل أدمغة أبنائها من خلال المناهج التعليمية، وتمكُّن المدجَّنين من قيادة الأمة في مختلف المجالات، وإبعاد العناصر المدركة لسياسة الغرب النصراني من تسنم مراكز القيادة، لهذا نجد القبول المطلق والتنفيذ السريع لجميع السياسات التعليمية والتربوية التي يمليها الغرب النصراني.

لقد اتّبع الغرب في سياسته التغريبية للعالم العربي والإسلامي أسلوب إفساد المناهج التعليمية بجعلها وسيلة لنشر الفكر الإلحادي، عن طريق بثّ الأفكار الإلحادية في ثنايا المواد الدراسية لمختلف مراحل التعليم، مع العمل على تقليص الفترة الزمنية الخاصة بالمواد الدينية إلى أقصى حدٍ ممكن، وتجنب تدريس النصوص ذات الارتباط بالانحراف النصراني، مع العمل على تحريف النصوص الشرعية من خلال بترها وتحويرها بالشكل الذي يظهرها على أنها تقدس العقل وحرية التفكير، وإبراز النصوص التي تؤيد حرية التفكير مع فصلها عن سياقها وحرف معانيها، والإشادة بالعلماء المسلمين العقلانيين أو ما يعرف بـ (المدرسة العقلية في التفسير). ولقد كان من نتيجة ذلك أن ظهرت الدعوة إلى التقارب بين الأديان وقبول الفكرة من علماء يُنسبون إلى الإسلام، ويتسنمون مراكز قيادية في الهيئات العلمية الدينية الإسلامية، وهذه الدعوة إلى التقارب بين الأديان، واعتبار اليهودية والنصرانية ديانات سماوية غير محرفة يخلط المفاهيم، كما أنه مخالفة صريحة للوصف الذي أطلقه القرآن على اليهود والنصارى بأنهم كافرون، فهذا التقارب بين الأديان والقبول به خطأ عقائدي حيث يخالف أهم أساس من أسس العقيدة الإسلامية؛ وهي عقيدة الولاء والبراء.

ومن الأساليب التي اتّبعها الغرب النصراني في إفساد التعليم صرفه عن أن يخدم الأمة في تربية أبنائها وإعدادهم للحياة لخدمة الأمة بخلق التماسك؛ بحيث تتّجه نحو مرمى واحد وتنزع إلى غاية واحدة. فأصبح غاية ما يهدف إليه هو حرف أبناء الأمة وتحقيق ما أوصى به (لويس التاسع) ملك فرنسا من ضرورة إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية؛ بالرشوة والفساد والنساء، حتى تنفصل القاعدة عن القمة، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال استخدام التعليم وسيلةً لصرفها عن تحقيق تماسكها، والعمل على أن يكون التعليم وسيلة لغرس الضعف الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي، ومنعه من أن يؤسس على تلبية الحاجات السياسية والاقتصادية والثقافية للأمة.

لقد عمد التغريب إلى التمكين للغة الاستعمارية من خلال نشر اللغات في مختلف مراحل التعليم وإلزاميته؛ وخاصةً اللغة الإنجليزية. ولقد أدّى هذا إلى إضعاف الروابط القائمة بين اللغة العربية والدِّين من خلال إضعاف القدرة اللغوية للأفراد بإضعافه للغة العربية من خلال منافسة اللغة الإنجليزية لها في مختلف مجالات الحياة، وتهميش اللغة العربية في موطنها الأصل. ولا شكّ أن تغلغل اللغة الإنجليزية في حياة الأمة أدى إلى نقص في فهم الدين، ومعرفة أحكامه، والاعتماد على فهمه من خلال فئة محدودة ممن يلتحق بالجامعات الإسلامية والتي أُفسدت أيضاً مناهجها بإدخال كثير من العلوم المزاحمة للعلوم الشرعية، بحيث ضعفت القدرة العلمية لدى خريجي العلوم الشرعية مما أدى إلى ضعف الفاهمين للشريعة الإسلامية ومقاصدها، وقد تولى كثير منهم قيادة الإفتاء؛ فكثيراً ما سمعنا عجباً فيما يتعلق بكثير من الفتاوى المتعلقة بالعديد من القضايا، والمشاكل المعاصرة المستجدة.

لقد نتج عن إفساد المناهج التعليمية القبول والالتزام بما تقرره منظمات الأمم المتحدة، والتي أصبحت النافذة التي من خلالها دلج الصليبيون لتخريب البقية الباقية من قيم الأمة، بالعمل على صرفها عن معتقداتها وتغيير سلوكيات أفرادها، فمثلاً: قامت الأمم المتحدة من خلال منظماتها التعليمية والاجتماعية في السنوات الأخيرة بعد أن تمكّنت فكرة (العولمة) من السيطرة على الأفكار، وأصبح الجميع يلهث للالتحاق

(١، ٢) «قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام، أبيدوا أهله»، جلال العالم، الطبعة التاسعة، ١٩٧٠م.

بقطار منظمة التجارة العالمية، وفُرضت الثقافة والقيم الأمريكية على من يركب هذا القطار، فعُقدت المؤتمرات، وأُصدرت الوثائق التي تلزم بموجبها طمس معالم ثقافة الأمم. فمن تلك الوثائق التي تبنتها الأمم المتحدة وطُلب من أعضائها الالتزام بها ما يعرف بـ «اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة» فالقبول بهذه الوثيقة من قِبَل الدول العربية والإسلامية، وإقرارها، وتنفيذ بنودها لم يتحقق إلا بعد أن تشربت قيادات الأمة ثقافة الغرب وقيمه من خلال التعليم الذي قام بتشكيل عقولها وتأطير سلوكياتها. فقبول ما جاء في هذه الوثيقة - من توجهات والتزامات تُخالف الأسس العقائدية كما نصت عليه مواد تلك الوثيقة - إنما يعود في أساسه إلى انحراف في الأفكار وإيمان بما يقوله الغرب ويُطالب به؛ فمن ذلك مثلاً: ما نصّت عليه المادة الخامسة في الفقرة (أ) حيث نصت على: «ضرورة إجراء تغييرات في الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة، تمهيداً لتحقيق القضاء على التحيزات والعادات الدينية وكل الممارسات الأخرى القائمة على الاعتقاد الذي يكون أي من الجنسين أدنى أو أعلى من الآخر، أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة» وهذه الفقرة تخالف أُسُس وقيم الإسلام من حيث دور الرجل والمرأة في المجتمع. يقول الله - تعالى -: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله - تعالى - حين أوضح أفضل الوسائل لمقرّ المرأة التي تجب أن تكون فيه في قوله - تعالى -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. والمادة العاشرة الفقرة (ج) والتي جاء فيها: «القضاء على أي مفهوم يخص دور المرأة ودور الرجال في جميع مراحل التعليم بجميع أشكاله عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم»، والمادة الخامسة عشرة الفقرة (٤)، التي أشارت إلى منح المرأة الحقوق نفسها فيما يتعلق بالتشريع المتصل بحركة السفر، وحرية اختيار السكن، وفي حق الإقامة. وكذا المادة السادسة عشرة الفقرة (ج)، التي أعطت حق المساواة بين الرجل والمرأة في الطلاق.

● التعليم حينما يكون في خدمة الغرب:

ولأهمية التعليم كوسيلة لمسح الهوية فقد تبنّت منظمة الأمم المتحدة الخاصة بالتعليم ووضع السياسات التعليمية - والتي تعمل على تحقيق أهداف الحركة الصليبية المعاصرة بزعامة أمريكا - الدعوةَ إلى برمجة التعليم وفق التصور العلماني الغربي. فمن تلك المؤتمرات ما عُرف بالمؤتمر العالمي (التعليم للجميع)، الذي عُقد في العاصمة السنغالية (دكار) في الفترة من ٢٦ - ٢٨ إبريل عام ٢٠٠٠م الموافق ٢١ - ٢٣ محرم ١٤٢١هـ؛ والذي شارك فيه أكثر من ١٨٠ بلداً، وقد صدر عن هذا المؤتمر توصيات تهدف إلى محو الهوية الدينية للدول الإسلامية، ومن أهم الأهداف التي أشير إليها في توصيات ذلك المؤتمر: (العمل على القضاء على أوجه التفاوت بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي بحلول عام ٢٠٠٥م، وذلك مرحلة أساسية نحو تحقيق المساواة بين الجنسين في البرامج والمؤسسات والنظم التعليمية بحلول عام ٢٠١٥م)، فهذا الهدف هو جعل التعليم يخدم ما يعرف بالمساواة بين الرجل والمرأة، بحيث تسود النظرة التي يتبناها الغرب. وليس هناك دور للمرأة يختلف عن دور الرجل، إنما دورهما دور واحد. وهذا المفهوم يخالف في حقيقته الأسس والأُطر التي قام عليها التشريع الإسلامي في تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، وهذا الهدف الذي تبناه مؤتمر (دكار) وبدأت الدول الإسلامية بتنفيذه من خلال إعادة صياغة برامج ومناهج التعليم والنظم التعليمية من حيث محتوياتها وأهدافها؛ ومن ثَم إكمال الهدف الذي سعى إليه الغرب الصليبي بتحقيق التغريب الفكري والسلوكي.

ولقد التزم المشاركون في ذلك المؤتمر لتحقيق أهدافه بالعمل على تنفيذ ما جاء في التوصية (و)، والتي نصت على: «تنفيذ استراتيجيات قطاعية متكاملة تستهدف تحقيق المساواة بين الجنسين في التعليم، وتنطوي على الإقرار بضرورة إحداث تغييرات في المواقف والقيم والممارسات».

إن القبول بتلك الأهداف والخطط التنفيذية من قِبَل قادة التعليم في الدول العربية والإسلامية التي شاركت في ذلك المؤتمر وغيره؛ إنما تم بعد تمكن التغريب من صياغة المناهج التعليمية التي تم تنفيذها في العالم العربي والإسلامي، وإخراج أجيال من الرجال الذين أصبحوا أكثر اهتماماً بتبني المناهج التعليمية الغربية ونشر الفكر التغريبي من الغرب نفسه، فغاية هذا المؤتمر هو زيادة التغريب الفكري والسلوكي والقضاء على البقية الباقية من التعليم الإسلامي وجعل التعليم وسيلة لهدم مقومات الأمة.

● القابلية للاستعمار:

إن من مظاهر التغريب التي نتجت عن تبني المناهج التعليمية الغربية ظهور ما سمّاه المفكر الإسلامي (مالك بن نبي - رحمه الله -) القابلية للاستعمار؛ حيث نجد أهم مظاهر تلك القابلية تتمثل في حب اللغة الإنجليزية، وتقديمها، وجعلها لغة ثابتة، والعمل على نشر ازدواجية اللغة الأجنبية في المجتمع بمزاحمتها للغة العربية، حتى إن من الغريب - مثلاً - حين تنظر إلى اللوحات الإرشادية والإعلانية في مدن وطرق الدول العربية والإسلامية تجد اقتران اللغة الإنجليزية باللغة المحلية؛ بل ترجمة الألفاظ الإنجليزية بنطقها لتصبح علامةً أو اسماً تجارياً، وكتابتها باللغة العربية.

ومن تلك المظاهر السلوكية انتشار محاكاة الغرب في مطعمه ومشربه وملبسه، وهكذا.

وفي الفكر نجد بروز الأفكار الحداثية في الشعر والنثر، وتعظيم فلاسفة ومفكري الغرب، وحثالات الممثلين وغيرهم، واعتبارهم قدوة لكثير من شباب الأمة.

إن حماية الأمة من هذا الانحدار لا يمكن أن يتمّ إلا بإعادة صياغة المناهج التعليمية من جديد، وإعادة إحياء الثقافة العربية الإسلامية، وطرد الفكر والثقافة الغربية من مناهجنا ووسائل إعلامنا، وبث وغرس روح الانتماء للفكر والعقيدة الإسلامية.

الآن

مجلة البيان تقدم لقرائها الكرام مشروع..





نهدف

إلى توزيع هذه الحقيبة التي تحتوي على موضوعات تهم المسلم خلال شهر رمضان الكريم.

من أماكن التوزيع

على المعتمرين وخاصة القادمين من الخارج

في مكة المكرمة والمدينة المنورة

عن طريق حملات العمرة

الدور النسائية وحلقات تحفيظ القرآن الكريم






تدبر القرآن — روح الصيام ومعانيه — الافتقار إلى الله لب العبودية

آملين من الله عز وجل أن تكون عوناً على حسن استثمار هذا الشهر الكريم ورفعة لدرجات المشاركين في هذا المشروع إن شاء الله.

الرياض هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ - جوال ٠٥٠٨٢٥٨١٢٢/ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥/ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥/ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠/ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦

الغربية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧/ ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦ الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨



تأسيس رابطة الصحافة الإسلامية

تداعت مجموعة من الصحف والمجلات الإسلامية للاجتماع في العاصمة اللبنانية بيروت في الفترة من (٤ ـ ٥/ ٦/ ١٤٢٧هـ الموافق ٣٠/٦ ـ ١/٧/٢٠٠٦م)، حيث تم الاتفاق على إنشاء «رابطة الصحافة الإسلامية» وإقرار نظامها الداخلي، وانتخاب مكتبها الإداري.

النظام الداخلي للرابطة أشار إلى أنها «إطار صحفي تنسيقي مستقل، يضم صحفاً ومجلات إسلامية ملتزمة مرخصة وتصدر بشكل دوري، يسعى إلى التعاون بين المؤسسات الصحفية الأعضاء لخدمة العمل الصحفي المهني وقضايا الأمّة، مع الحفاظ على الاستقلالية الخاصة لكل مؤسسة».

وحدد الأعضاء المشاركون في الاجتماع التأسيسي للرابطة أهدافها في «النهوض بواقع الصحافة الإسلامية وتطوير أدائها، وتحقيق التعارف بين الصحف والمجلات الإسلامية وتعزيز العلاقات فيما بينها، وتبادل الخبرات، وتنسيق الجهود الإعلامية المشتركة، وتقريب الرؤى والمواقف إزاء القضايا الكبرى، وتشجيع وتحفيز الأبحاث والدراسات العلمية التي تخدم رسالة الصحافة الإسلامية».

وانتخب أعضاء الرابطة مكتباً إدارياً لمدة عامين ضمّ رئيس تحرير مجلة البيان السعودية (أحمد الصويان) رئيساً للرابطة، ورئيس تحرير مجلة فلسطين المسلمة (رأفت صالح) أميناً للصندوق، ومدير تحرير مجلة المجتمع الكويتية (شعبان عبد الرحمن) مسؤولاً للاتصالات، ورئيس تحرير صحيفة السبيل الأردنية (عاطف الجولاني) مقرراً.

الصحف والمجلات المشاركة في الاجتماع التأسيسي لرابطة الصحافة الإسلامية:

١ ـ مجلة الأسرة ـ السعودية.
٢ ـ مجلة الإسلام اليوم ـ السعودية.
٣ ـ مجلة الأسرة العربية ـ مصر.
٤ ـ مجلة الإصلاح ـ البحرين.
٥ ـ مجلة آفاق عربية ـ مصر.
٦ ـ مجلة الأمان ـ لبنان.
٧ ـ صحيفة البصائر ـ العراق.
٨ ـ مجلة البلاغ ـ الكويت.
٩ ـ مجلة البيان ـ السعودية.
١٠ ـ مجلة البيان ـ الجزائر.
١١ ـ صحيفة التجديد ـ المغرب.
١٢ ـ مجلة الحقائق ـ العراق.
١٣ ـ صحيفة دار السلام ـ العراق.
١٤ ـ مجلة الرسالة ـ فلسطين.
١٥ ـ صحيفة السبيل ـ الأردن.
١٦ ـ صحيفة الصحوة ـ اليمن.
١٧ ـ مجلة الفرقان ـ الكويت.
١٨ ـ مجلة فلسطين المسلمة ـ فلسطين.
١٩ ـ مجلة منارات ـ السعودية.
٢٠ ـ مجلة المنار الجديد ـ مصر.
٢١ ـ صحيفة المحرر ـ السودان.
٢٢ ـ مجلة المجتمع ـ الكويت.
٢٣ ـ مجلة المختار الإسلامي ـ مصر.
٢٤ ـ مجلة المستقبل الإسلامي ـ السعودية.
٢٥ مجلة المنتدى ـ اليمن.



التيار الأنثوي

تراجع الرموز.. بعد زمن التنبيه!!

آي. جي ويلكنسن(*)

نشأ التيار الأنثوي أو ما يسمى بالإنجليزية feminism بسبب تردي أوضاع المرأة في القرن التاسع عشر في الغرب، وقد بدأت الحركة بالسعي إلى الحصول على حقوق المرأة وتحسين أوضاعها، ثم انتقلت بعد انتشار الفكر الاشتراكي من حركة لتحرير المرأة إلى الأنثوية أو التمركز حول الأنثى، ورفضت تقسيم عمل المرأة على أساس الجنس، وركزت على علاقات القوة في الأسرة والكنيسة في المؤسسات التي أسمتها: (تقليدية). وتشككت في مضمون الذكورة والأنوثة؛ فأكدت أنها مفاهيم نسبية راجعة للبيئة والتنشئة لا لحقيقة قدرات الطرفين، وركزت على الصراع بين الجنسين، ورفعت شعارات مثل (الحرب بين الجنسين) و (الرجال طبقة معادية) و (القتال من أجل عالم بلا رجال)، ونادت بتفكك الأسرة وانتقدت العلاقات داخلها، وحصر دور المرأة في الأمومة والإنجاب بأنه مجال بيولوجي وهو مجال خاص؛ في حين يعمل الرجل في المجال العام، واعتبرت أن قيم العفة والأمومة إنما هي لتزييف وعي المرأة لتقنع بالمجال الخاص، ونادت باستقلال المرأة مالياً لتتحرر من سيطرة الرجل، ودعت للشذوذ والتلقيح الصناعي كبديل لإقامة علاقة مع الرجل، ثم انتقلت بعد ذلك إلى أفضلية المرأة وطرحت الأمومة بدلاً عن الأبوة.

إن التساؤل الهام الذي يفرض نفسه هذه الايام في خضم مطالبة رائدات الحركة الأنثوية بحقوق المرأة هو: هل نجحت الفلسفة الغربية والحركة الأنثوية في تحقيق طموحات المرأة والتخفيف من معاناتها؟! الإجابة تتضح من خلال التجربة؛ ففي الغرب تخضع فلسفة الثورة الأنثوية إلى مراجعة خطيرة شاملة على ضوء تجربة التطبيق العملي، ومحور تلك الفلسفة كما عبرت عنها (بتي فريدان) في كتابها (سر الأنوثة الغامض) في عام ١٩٦٣ أن حصر عمل المرأة في البيت وما يتطلبه ذلك من طبخ وحياكة ونظافة، وخدمة زوجها وطاعته والعناية بتربية أطفالها، ضرب من العبودية واستغلال للمرأة وتعويق لقدراتها الفكرية والإبداعية يحولها إلى عالة على الغير وإلى مخلوق سلبي تعس. واستجاب لهذه الدعوة مئات الألوف من النساء خرجن ينشدن السعادة والحرية بعيداً عن مسؤولية البيت والزوج والولد. وبعد سنوات طوال من التجربة المريرة وخيبة الأمل ومحاولة تحقيق المستحيل، وفقدان مشاعر الأمومة، وتفكك الأسرة وتفشي الطلاق والفساد والعنف والانحلال الخلقي والجريمة والانتحار، يعود الغرب إلى مراجعة حساباته، ويبدأ موسم العودة إلى البيت والأسرة لا قهراً ولا إذلالاً، ولا تسليماً بتدني المرأة عقلياً وخلقياً، ولا إنكاراً لإنسانيتها ودورها في الحياة، ولا رفضاً لحقها في الاختيار وفقد خصوصيتها وظروفها، بل عن قناعة رسختها التجربة. وخرجت أفلام سينمائية تلفزيونية أبرزها (زوجة الأب) و (الشيء الحقيقي الوحيد) وكلها تمجد دور

(*) مسلمة بريطانية مقيمة في المملكة العربية السعودية.

المرأة كأم وربة أسرة.

وبرزت كاتبات شهيرات منهن (كارولين جراقليا) و (دانييل كريتندال) يهاجمن الحركة الأنثوية، ويؤكدن أن استرجال المرأة لم يؤد بها إلا إلى التعاسة واليأس، وأنهن لن يحققن طبيعتهن وتطلعاتهن إلا من خلال رعاية أطفالهن وربط أسرهن؛ والعودة إلى البيت لا تقلل من شأنهن ولا تحرمهن حقاً دستورياً أو قانونياً من دون الرجل.

وقد تعرضت الحركة الأنثوية للهجوم في عقر دارها، وهناك منظمات كثيرة مناوئة لها شاركت في مؤتمر المرأة العالمي الرابع، منها على سبيل المثال لا الحصر (منظمة اتحاد المرأة والطفل) و (المنظمات الكاثوليكية) و (منظمة ميرج) ولكن الأمم المتحدة اختارت هذا الفكر في مؤتمراتها؛ لأنه يخدم مصالحها العالمية. وقد اعتمدت الأمم المتحدة في مؤتمرات المرأة المساواة الكاملة والتماثل التام بين الرجل والمرأة في العمل وفي كل شيء متجاهلين أن المرأة قد تحمل وتلد وترضع؛ زاعمين أنه إذا لم تخرج كل النساء للعمل فلن تتحقق التنمية؛ فإذا أُخرجت جميع النساء من بيوتهن للعمل المأجور، وتدرجن جميعاً في سلك الوظائف حتى وصلن إلى مراكز اتخاذ القرار فسيتضرر المسنُّون والعجزة والأطفال في الأسر، وستجد المرأة العاملة نفسها مضطرة إلى استخدام موانع الحمل للتقليل من نسلها لتَعارُض الحمل المتكرر مع التقدم في السلك الوظيفي نسبة لمعاناة الحمل ورعاية الأطفال في السنين الأولى من أعمارهم مع مهام المنزل ومسؤوليات العمل، وهذا ما توصلت إليه الأمم المتحدة في الإحصاء الذي أجرته في أربعين دولة نامية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. ولاحظت ان العاملات ينجبن عدداً من الأطفال أقل من المتفرغات، وأنهن لا يستخدمن الرضاعة الطبيعية كوسيلة لمنع الحمل لطول غيابهن عن المنزل، وأنهن يملن لاستخدام الموانع الصناعية التي تحتوي على مخاطر صحية كبيرة.

وهناك محاولات في العالم الإسلامي تحذو حذو الأفكار السائدة في الغرب على تغيير اجتماعي يقود إلى آثار سلبية منها:

١ - رفض حقيقة وجود اختلاف أو تمايز بين الرجل والمرأة والدعوة إلى القضاء على مثل هذه المفاهيم.

٢ - تحقير دور الأم المتفرغة لرعاية أطفالها والزوجة المتفرغة لعمل البيت وتسميتها بـ (الأدوار التقليدية والنمطية) والدعوة إلى القضاء عليها.

٣ - الدعوة إلى التعليم المختلط، وعدم السماح بوضع مستويات تعليمية خاصة بالذكور، والمناداة بتدريب المرأة في المجالات الصناعية، والنص على التلمذة الحرفية والتدريب المهني المتقدم والمتكرر في مادتي التعليم والعمل على قدم المساواة مع الرجل.

٤ - وصف الأمومة بأنها وظيفة اجتماعية، والدعوة إلى وضع نظام إجازة للآباء لرعاية الأطفال، وإنشاء شبكات من دور رعاية الأطفال حتى تتفرغ الأمهات للعمل.

٥ - عدم توجه المرأة إلى عمل المرأة التقليدي، والدعوة إلى وضع أنماط ثقافية واجتماعية بديلة تجعل المجتمع يقبل وجود المرأة في مهن مختلفة كثيرة أسوة بالغربية التي قادت التاكسي والشاحنة.

٦ - الدعوة إلى تعميم استخدام موانع الحمل والترويج لها والدعوة إلى التثقيف بها ضمن مناهج التعليم، والدعوة إلى تحديد النسل ووصفه بأنه حق من حقوق المرأة.

وفي ما يلي عرض لشيء من كتابات بعض المفكرات والكاتبات الغربيات اللاتي خضعن لأفكار الحركة الأنثوية وتأثرن بها لمدة من الوقت ثم تركنها عندما تبين لهن أن هذه الأفكار تجر وبالاً على المجتمع بكل فئاته، وتأتي بمصائب وأزمات نفسية واجتماعية وصحية لا حدود لها؛ سائلين المولى - جل وعلا - أن ينفع بها.

١ - روز ميري تشادويك:

تقول (روز ميري تشادويك): «لقد نجحت رائدات الحركة الأنثوية في إقناع المرأة والرجل على حد سواء بأن تكريس الجهد للبيت والأطفال تضحية عظيمة بحياة الحرية، وسعي عديم الجدوى لا يعطي أية فرصة لاستعمال الطاقات والذكاء حتى عند المرأة العادية، وأقنعت المرأة بأن الزواج اتفاق قاسٍ وظالم بالنسبة للفتاة التي تتزوج في سن المراهقة أو في بداية العشرينيات من عمرها، ودائماً ما يذكّرونها وباستمرار بالفرص التي ستفوتها إذا ما أقدمت على الزواج؛ ونتيجة لهذا فقد أصبحت كثيرات من النساء أنانيات ومنهمكات في شؤونهن الذاتية إلى حد يعزين أسباب كافة مشكلاتهن إلى الرجال أو المجتمع أو الزواج. لقد فطنت النساء في الغرب إلى زيف هذه الأقوال والادعاءات، وأُلفت كتب كثيرة، كما ظهرت مقالات كثيرة في هذا المجال لكشف حقيقة هذه الشبهة».

٢ - كارولين جاركليا:

هذه المرأة محامية مؤهلة، ولكنها تركت وظيفتها لتكون ربة بيت باختيارها؛ لصرف اهتمامها لزوجها وأطفالها الثلاثة. وتبين في كتابها «الراحة المنزلية» زيف خرافة القول بالمساواة بين الجنسين. تقول (كارولين): «إن البقاء في البيت ليس في حقيقة الأمر تضحية بحياة الحرية. إن التضحية الحقيقية هي التضحية بالأطفال والزوج؛ وذلك عندما تقصر في العلاقة الحميمية بينها وبين أطفالها. لقد أجبَرْنا أطفالَنا على المكوث معهم في البيت بسبب الجاذبية العاطفية القوية التي يمارسونها علينا. إن قضاء حياتنا في الاهتمام بالأطفال مفيد لنا نحن أيضاً. والمجتمع يكنّ لنا كل التقدير والاحترام بسبب قيامنا بهذا العمل الجليل الذي لا يُقوَّم بمال. لقد

حطمت الحركة الأنثوية ثقة المرأة بنفسها عندما اتهمتها بكونها زوجة صالحة وأماً».

٢ـ دانييل كريتندن:

تقول الكاتبة (دانييل كريتندن) في كتابها «الأشياء التي لم تطلعنا أمهاتنا عليها» (ص ٣٥):

«لقد كانت لجداتنا حياةٌ جنسية نظيفة ومستورة عن طريق الزواج، وفي الوقت ذاته قمن بمنع الاختلاط الجنسي من الحدوث. فقد قمن بوضع قواعد للممارسة الجنسية، وذلك بممارسته في إطار الزوجية فقط، وكل من تسوِّل له نفسه خرق هذه القواعد من الرجال أو النساء فإنه يتعرض لدفع ثمن غال مقابل ذلك بفرض عقوبة عليهم سواء بإجبارهم على الزواج أو نبذهم وحرمانهم من الصحبة الجديرة بالاحترام. تؤدي القواعد الجنسية إلى خلق تضامن جنسي بين النساء. ولهذا إذا وجد الرجال الفرصة مهيأة لهم للانتقال من امرأة إلى أخرى فإنهم سيفعلون ذلك لا محالة، وسوف يتمتعون بنا ما دُمنا متاحات وميسرات لهم ويستغلوننا استغلالاً فاحشاً لتحقيق مصالحهم. ولكن إذا تضامنت النساء وبدأن يطالبن بالالتزام الحقيقي المتمثل في الزواج بدلاً من ممارسة الجنس مع كل من هب ودب، عندئذ فقط ستتغير الأمور لصالح النساء».

وتقول الكاتبة في كتابها آنف الذكر: «لن تدرك المرأة حقيقة الحرية حتى تقوم بوضع طفلها الذي من أحشائها بين ذراعيها، ولن تحرز شعور الثقة بالنفس الذي تتوق إليه حتى تصمد أمام ثقل المسؤولية الذي تضعه عليها الأسرة وتتفوق عليها، وهو ثقل يجعل الأعمال التي تقوم بها في المكتب تبدو خفيفة للغاية وليس لها أهمية تذكر. وينطبق الشيء نفسه على الرجل. إننا نعمل على تقوية عضلة من العضلات باستعمالها، وهذا صحيح أيضاً بالنسبة للحب والعاطفة؛ فإنه بطول الانتظار وبدون نتيجة للاقتران بشخص وإظهار المودة له تضمحل قوة الحب والعاطفة وتتلاشى. وهذا لا يعني بأية حال من الأحوال أن يقوم الرجل أو المرأة بالزواج من أي شخص يريد الزواج، أو الاقتران بشخص لا يبعث شكله ومظهره على الحب؛ ولكن ينبغي أن ندرك في سن مبكرة من حياتنا خطورة ضرب المواعيد للُقاء بشخص من الجنس الآخر ونشرع في الاستعداد للاستقرار في ظل الحياة الزوجية؛ لأنه بلعب الأدوار التي تعلمنا من الصغر تفاديها أو تأخيرها، أي أدوار الزوجة والزوج والأم والأب، سنقيم هويتنا الذاتية، ونقوم بتوسيع مجال حياتنا وتحقيق الشخصية الكاملة التي نرنو إليها.

«ولكن ما زال النقاد يحاولون البرهنة على أن الطريقة التقليدية في التعامل مع الجنس ـ أي بالزواج ـ ليست بحال أفضل مما هو عليه الأمر اليوم من التسيب والحرية الجنسية غير المقيدة، وأن الخسارة الفادحة التي تتعرض لها المرأة بسبب تأخير الزواج أو الأمومة أرجح وزناً من فداحة الخسارة التي تتعرض لها المرأة بإقدامها على الزواج المبكر. إن إعادة النظر في الزواج على أنه عقد ظالم وقاس بالنسبة للمرأة عادةٌ راسخة في المجتمع حتى وسط النساء اللاتي لا يدعين أنفسهن من القائلات بالمساواة بين الجنسين، وقد رأيت عرائس وقد بدا عليهن منظر السعادة والابتهاج يعتذرن إلى ضيوف حفلة الزفاف عن استسلامهن للتقاليد وكأن بعضاً منهن لا زلن يشعرن بالارتباك والضعف عند موافقة امرأة ذكية وطموحة على الزواج. ولكن هل هذا الشعور حقيقي أم أنه عذر سلمته لنا الأجيال السابقة من النساء لتبرير حياة العنوسة المريرة وغير السعيدة؟

وقد كتبت (دي بوڤوار) بخصوص المرأة التي تنفق كل شيء في سبيل أنوثتها «بأنها في مرحلة من مراحل عمرها سترسم خطاً عبر الصفحة لتحسب حساباتها؛ وذلك برصد الحساب والمقارنة بين جانبيه السلبي والإيجابي؛ وعندئذ سترتاع عند معرفة القيود الضيقة التي فرضتها عليها الحياة. ولكن الحياة ليست أقل ضيقاً إذا قمت بتضييق كل شيء لمحاولة الهروب من قيود التكوين البيولوجي كما اكتشف هذا الجيل من النساء. وفي آخر المطاف ستشعرين بالاستعداد لتصبحي أماً في سن الأربعين، وسترتاعين بأنك لن تصبحي أبداً كذلك، أو قد تطلِّقين زوجك في سن الخمسين، وسترتاعين بأنك لن تتمتعي برفقة حميمة مع رجل آخر ثانيةً. أو قد تحرمين أطفالك من صُحبتك عندما يكونون في طور النمو وذلك لمزاولة وظيفة من الوظائف، وعندئذ سترتاعين عندما يعاملونك باللامبالاة وعدم الاكتراث أو حتى العداء والكراهية عندما تلتمسين صُحبتهم وأنت امرأة عجوز. ولعل هذه أسوأ نتيجة تتعرض لها المرأة عندما تحاول تجاهل أهمية تكوينها البيولوجي. إن محاولة المرأة تجاهل أهمية تكوينها البيولوجي لن يعرض حياتها إلا للمزيد من الخطر والتهديد كلما تقدم بها السن».

وتقول في الصفحة ١٣٥:

«على الرغم من ادعاء رائدات الحركة الأنثوية بأن زمن مكوث المرأة في البيت ولى إلى غير رجعة فإن الحقيقة التي تفرض نفسها هي أن النساء أنفسهن يتمنين البقاء في البيت مع أطفالهن إذا تيسر لهن ذلك؛ فقد جاء في استفتاء أن ثلثاً واحداً فقط من مجموع ٧,٢ ملايين امرأة متزوجة لهن أطفال يقل سنهم عن ثلاث سنوات يعملن طوال ساعات الدوام. كما أظهرت نتيجة استفساء (روبر ستارتش) حول وجهة نظر المرأة بخصوص العمل أن الأغلبية الساحقة من النساء المتزوجات يفضلن البقاء في البيت إذا تيسر لهن ذلك، وأن هذه الأغلبية في تزايد مطرد منذ عام ١٩٨٥م».

وتقول في الصفحة ١٤٠:

«تحكي الكاتبة (آن رويف) في كتاب لها عن الأمومة يحمل عنوان Fruitful الذي نُشِرَ عام ١٩٩٦ القصة التالية: «في مدرسة بنات خاصة ومعروفة بالامتياز الأكاديمي في الجهة الشرقية العليا من (جزيرة مانهاتن) الأمريكية قبل عدة

سنوات، عقدت مديرة المدرسة لقاءً خاصاً لتتمكن الطالبات من لقاء محامية شهيرة كانت شريكة في مؤسسة قانونية رئيسية في أمريكا، وكان قد طُلب منها حديثاً العملُ في لجنة مدينة مهمة... وقد تحدثت هذه المحامية إلى الطالبات عن عملها، وتدريبها في مجال المحاماة واهتمامها بالمواضيع التي تطرقت إليها التعديلات الأولى في الدستور الأمريكي. وعندما انتهت من حديثها كان أول سؤال وُجّه إليها عن الساعة التي تصل فيها إلى البيت عائدة من العمل. وكان السؤال الثاني عمَّن يتولى أمر الإشراف على تربية أطفالها أثناء النهار، وكان السؤال الثالث عمَّا يمكنها القيام به إذا تعرض أحد أبنائها للمرض، غير أن الطالبات اللاتي كان معظمهن بنات نساء عاملات ومهنيات تُرك أمر رعايتهن لخادمات من جامايكا وترينداد لم يُظْهِرْن وداً ولا إعجاباً بهذه المحامية أو بإنجازاتها، ولكنهن بدأن يهمسن بإجاباتها على هذه الأسئلة على سبيل التهكم والسخرية».

وتقول الكاتبة ما بين صفحتي ٦٩ و ٧٠: «عندما تؤجل المرأة الزواج أو الأمومة فإن هذا التصرف لا يمنعها من صرف تفكير أقل في موضوع الحب كلما تقدم بها السن، بل إن هذا التفكير في هذا الموضوع يكون في ازدياد مطرد يصل في بعض الأحيان إلى حد تسلط هذا الشعور عليها تسلطاً مقلقاً غير سوي. وتتساءل قائلة: لماذا لا زلت وحيدةً؟ لماذا لا أستطيع أن أجد أحداً يكون مرافقاً لي في درب الحياة؟ ما هي مشكلتي بالضبط، وأين الخلل؟ أما صديقاتها اللاتي تزوجن فقد حصل لهن تقدم في حياتهن: فقد بدأن في ادخار ما يكفي لشراء السيارات والبيوت، والأطفال ملؤوا البيت بهجةً وسروراً. قد لا تحب زواج بعض صديقاتها؛ فقد تظن أن زوج أقرب صديقاتها غبي أو أحمق، أو أن تصرف إحدى صديقاتها تغير إلى الأسوأ منذ أن تزوجت، ولكن مع ذلك ستكون متأكدةً بأن حياتهن تقدمت إلى الأمام على الأقل؛ أما حياتها هي فتوقفت تماماً. وكلما تقدم بها الزمن كلما أصبحت أكثر انشغالاً واهتماماً بنفسها وبالعيوب المحتملة في أعين الرجال لتفاديها حتى تكسب ودهم إلى درجة تصير لا تكاد تفكر في شيء آخر غير ذلك».

٥- الأنوثة الساحرة للكاتبة هيلين أندولين:

تقول هذه الكاتبة في كتابها «الأنوثة الساحرة» (ص ٢٨٦):

«ألقى نجم الأوبرا ومدير الفرقة الشهير (بيفيرلي سيلز) كلمة أمام خريجات كلية برنارد بنيويورك جاء فيها: لقد تم إقناع المرأة بأنها تستطيع أن تحصل على كل شيء: على الوظيفة والزوج والأطفال. إن الذي تحتجن إليه لتحققن آمالكن هو التعهد والالتزام. لِتُلْقِ إحداكن نظرة وجيزةً على أطفالها. إن أطفالكن لا يريدونكن أن تكنّ ذكيات أو موهوبات أو أنيقات، أو أي شيء آخر من هذا القبيل؛ إنهم فقط يريدون منكن الحب. وسوف يكون هؤلاء الأطفال هم الذين يدفعون الثمن غالياً؛ لأنكن ترغبن في الحصول على كل شيء. فكِّرن جيداً في إنجاب مثل هؤلاء الأطفال الذين سيتعرضون للحرمان بسبب بحثكن عن أشياء لا طائل من ورائها. ثم إن عدم الرغبة في الإنجاب ستكون خسارة كبيرة، وتأخير الإنجاب سيزيد من الخطورة على صحتكن وصحة أطفالكن، كما أن إنجاب الأطفال دون تحمل المسؤولية الكاملة تجاههم ستكون مأساةً كبيرة».

وتقول الكاتبة نفسها (ص ٢٨٥) وهي تقدم نصيحة للنساء:

محاولة التخفيف من أعباء الزوج:

«عندما ترين زوجك يعاني من وطأة الضغوط والإجهاد، همه في ذلك العمل على تحمل مصاريف الأسرة المتنامية، فإنه قد يخطر ببالك أنه من واجبك البحث عن عمل لمساعدته. لكن على الرغم من أن هذه النية طيبة وتهدف إلى النفع العام على ما يبدو إلا أنه ليس من الضرورة القيام بذلك وليس هناك تبرير لهذا العمل. لقد حبا الله الرجل بالقوة والقدرة على التحمل والبنية العاطفية ليقوم بعمله على أحسن وجه، ولهذا بدلاً من محاولة القيام بمشاركته هذه الأعباء قدمي له العون ليقوى على تحملها. قدِّري ما يقوم به حق قدره؛ لأن هذا سيقوي ثقته بنفسه وسيساعده على النجاح في عمله. خفِّفي أعباءه في البيت، وذلك بالتقليل من كثرة الطلب على وقته وماله وكذلك بتوفير جو هادئ وخالٍ من الاضطراب يمكِّنه من الشعور بالانتعاش».

وفي حديثها عن أدوار المرأة والرجل كتبت (هيلين آندولين) في كتابها آنف الذكر (الصفحات ١٠٠، ١٠١، ١٠٢ و١٠٣):

«دور الرجل والمرأة:

دور الرجل:

القائد، الحامي، العائل.

دور المرأة:

الزوجة، الأم، مدبِّرة المنزل.

وعلى الرغم من اختلاف دور المرأة والرجل من حيث الوظيفة إلا أنهما يتساويان من حيث الأهمية. ويشبِّه (هنري بومان) في كتابه (الزواج للمعاصرين شراكة الزواج بين المرأة والرجل بالقفل والمفتاح اللذين يلتحمان تماماً لخلق وحدة وظيفية). يقول هنري بومان: «يمكنهما (المفتاح والقفل) معاً تحقيق شيء لا يمكن لأحدهما أن يحققه بمفرده، ولا يمكن بأية حال من الأحوال تحقيق الشيء نفسه باجتماع قُفلين أو مفتاحين؛ فكل واحد منهما مختلف ومتميز عن الآخر ولكن لا يرقى إلى درجة الكمال وحده إلا بوجود الآخر. فدورهما ليسا متشابهين ولا متعاوضين بحيث لا يمكن استعمال أحدهما مكان الآخر. كما أنهما لا يتفوقان على الآخر؛ لأن كلاهما ضروري. كلاهما يحظى بالأهمية نفسها، وكل واحد منهما يمكن الحكم عليه من خلال الوظيفة المنوطة به. إنهما يكمِّل بعضهما بعضاً».

٦ـ تايلر كالدويل:

تعد (تايلر كالدويل) من الكاتبات الذائعات الصيت اللواتي ألَّفن كتباً باللغة الإنجليزية، وقرأ لها الكثير من الناس. وقد كتبت التصريح التالي في الصحافة: «لا يوجد البتة إرضاء تام في أية وظيفة مهما كانت لامرأة مثلي. ليس لديَّ بيت ولا حرية حقيقية ولا أمل ولا سعادة ولا تطلُّع للمستقبل ولا قناعة. إن الأحرى بي أن أطبخ وجبةً لرجل وآتي له بحذائه وأشعر بحماية ساعديه في مقابل ذلك على الحصول على كل الإنجازات التي حققتها والجوائز التي حصلت عليها في الكثير من بقاع الأرض بما في ذلك وسام جوقة الشرف الذي حصلت عليه وأملاكي وكافة حساباتي البنكية. إن هذه الأشياء لا تعني شيئاً بالنسبة لي، وأنا فقط واحدة من ملايين النساء اللاتي يشعرن بالحزن والأسى مثلي».

● تقسيم العمل:

من الملاحظ أن تصميم الأسرة الإنسانية يقوم على تقسيم العمل، ومن الملفت للنظر حقاً أن البحوث التي أُجريت في العصر الحديث أثبتت أن هذا التصميم التقليدي هو أفضل طريقة يمكن للذين يعملون معاً أن يتبنوها. فقد شاركت مجموعة من الشركات الصناعية الكبيرة في أمريكا في السبعينيات في القيام بمشروع بحث للتوصل إلى معرفة أفضل نظام للعمل في مجموعات وصولاً إلى حصول الانسجام مع الآخرين في المجموعة وتجنب الخلافات. وقد أُجري جزء من هذا البحث في مجموعات (الهبيز) التي كانت قد ظهرت كحركة في فترة سابقة في الستينيات. يجب الإشارة إلى أن مجموعات (الهبيز) المثالية هذه لا تعتمد على مبدأ تقسيم العمل ولكن على ما يسمّونه: المساواة. ولهذا تجد المرأة تشارك الرجل في كافة المهام اليومية، وتعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في الحقول والمصانع، ويشارك الرجل المرأة في أعمال البيت والاهتمام بتربية الأطفال.

والنتيجة المشوّقة التي أسفرت عنها هذه الدراسة هي أن المساواة لم تتلاءم والفروق الموجودة بين الرجال والنساء. فقد برعت النساء في بعض الأعمال في حين برع الرجال في أعمال أخرى. فقد ثبت أن النساء قمن بأعمال الإصلاح والخياطة وتثبيت الأزرار على أحسن وجه وبشكل أفضل بكثير من الرجال بسبب التكوين الرقيق لأيديهن، في حين ثبت أن الرجال قاموا بأعمال خشنة كالدفع والسحب على أحسن وأفضل من النساء. إلا أن الاكتشاف الأكثر إثارة هو أنه عندما عملت النساء جنباً إلى جنب مع الرجال في مجموعات تبين بأنهم لم ينسجم بعضهم مع بعض إطلاقاً؛ فقد ظهر الشقاق بينهم وظهرت العداوة بل الضغينة، وأدى هذا الشقاق في آخر المطاف إلى سقوط تقسيمات إدارية بكاملها.

ويمكن أن نستنتج من هذا البحث أن أفضل طريقة لنجاح العمل في مجموعات هو تقسيم العمل؛ وذلك لأن هذا التصميم تصميم إلهي كامل لا يرقى إليه النقص.

ويُكتب للحياة الزوجية النجاح عندما يقوم الزوج والزوجة بأدوارهما المنوطة بهما بكل تفان وإخلاص؛ كما أن المشاكل الزوجية المستعصية الحل تحصل عندما لا يقوم أحدهما بالأدوار المنوطة به أو عندما يقوم أحدهما بتجاوز حدود أدواره ويقوم بدور الشريك الآخر، أو عندما يُظهِر مبالغة في القيام بهذه الأدوار أو عدم القيام بها إطلاقاً.

● ثلاث حاجات رجولية:

ولتحقيق المزيد من النجاح في حياتِك الزوجية، ساعدي زوجك ليقوم بدوره؛ وذلك بتفهّم ثلاث حاجات رجولية؛ هذه الحاجات الرجولية وما تتطلبه هي الآتي:

- حاجته للقيام بدوره الرجولي كقائد وحامٍ وعائل.
- حاجته للشعور بأن أسرته تحتاج إليه للقيام بدوره هذا.
- حاجته بتفوقه على المرأة في القيام بهذا الدور.

١ ـ **حاجته للقيام بدوره الرجولي:** يحتاج أولاً: إلى أن يؤدي عمل رب الأسرة وإلى إجلال ودعم أسرته أثناء قيامه بهذه الوظيفة. ويحتاج ثانياً: إلى النجاح في الحصول على لقمة العيش وإلى سد الحاجات الأساسية لأسرته وإلى القيام بهذا العمل بمفرده دون الحاجة إلى مساعدة الآخرين. ويحتاج ثالثاً: إلى القيام بدور الحامي؛ وذلك بتوفير الأمان لأسرته من كل أذى أو خطر أو صعوبة.

٢ ـ **حاجته للشعور بأن أسرته تحتاج إليه للقيام بدوره:** يحتاج للشعور بأن أسرته تحتاج إليه فعلاً كقائد وحامٍ وعائل. وعندما تصبح المرأة قادرةً على إعالة نفسها ومستقلةً عن زوجها فإنها تفقد الشعور بالحاجة إليه، وهذا بالنسبة إليه خسارة فادحة.

٣ ـ **حاجته بتفوقه على المرأة في القيام بهذا الدور:** لا يدرك الرجل دائماً حاجته إلى التفوق على المرأة إلا عند ظهور ظرف يهدده، كأن تتفوق عليه امرأة بذكائها في مجال تخصصه أو عند ارتقائها إلى منصب أعلى أو حصولها على راتب أعلى، أو تتفوق عليه في أي عمل يتطلب القوة أو المهارة أو الكفاءة أو القدرة التي عند الرجال.

● الفشل الاجتماعي:

مما يُؤسف له أن نرى هذه المبادئ مهجورة بل ومُنتهكة في عصرنا الحاضر؛ فهناك أجيال من الأمّهات الموظفات اللاتي يتنافسن مع الرجال من أجل تحقيق إنجازات أكبر أو مناصب أعلى أو مرتّبات أفضل.

ويبدو الوضع في البيت بنفس الدرجة من السوء تقريباً. فتجد المرأة تتحكّم في الأمور وتحاول إدارة الأمور بطريقتها الخاصة. والشيء المفقود في البيت هو الزوجة التي تثق بزوجها وتتوق إلى توجيهاته الرشيدة وساعده القوي الذي يمكنها الاعتماد عليه. فالساعد الرجولي موجود ولكنها لا ترغب في الاعتماد عليه. فتراها تقوم بالكثير من الأعمال

الرجولية بنفسها؛ ولهذا فإن استقلالها بذاتها يجعل من الاهتمام والحماية الذكورية أمراً غير ضروري، وهذا في الحقيقة يعتبر خسارةً لكليهما معاً.

وإذا حُرِم الرجل من وظيفته الذكورية داخل البيت فإنه يشعر بأن أسرته في حاجة أقل إليه كما يشعر أيضاً بأن هناك خللاً مًا في رجولته. وعندما تقوم المرأة بأعمال رجولية فإنها تنتحل خصائص ذكورية من أجل القيام بهذا العمل على أتم وجه. وهذا يعني فقدانها لأنوثتها ونعومتها. كما أن المسؤولية الرجولية التي تتبناها تزيد من إجهاد حياتها وإلى المزيد من التوتر والقلق. وينتج عن هذا كله فقدان خاصية الهدوء والسكون النفسية التي تحتاج إليها لتقوم بتدبير أمور بيتها بنجاح تام. كما أنها عندما تقضي وقتها وتفني جهدها في القيام بأعمال الرجل فإنها تُهمِل وظائف مهمة في الدور الخاص بها كامرأة.

● رسائل نابعة من القلب من متخصصين:

وجاء في مقال مطول للكاتبة (كاثي ميرز) ظهر عام ١٩٩٨ بعنوان (رسائل نابعة من القلب من متخصصين):

في عشية مؤتمر رعاية الأطفال الذي عُقد في البيت الأبيض، نشرت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية مقالاً يحمل عنوان «أسباب اعتمادنا على دور الحضانة بشكل أخف» بقلم (الدكتور ستانلي جرين سبان) وهو طبيب نفساني وطبيب أطفال وكاتب. وكان آخر كتاب صدر له هو «نمو العقل ومصادر الذكاء المعرَّضة للخطر» الذي أصدرته دار إيدسن ويزلي عام ١٩٩٧م. وفيما يلي مقتطفات مما جاء في هذا المقال:

«في الوقت الذي نسعى فيه لتحسين الرعاية بالطفولة وزيادتها فإننا في الحقيقة نتجاهل حقيقةً أساسية وهي أن معظم محاولات الرعاية بالطفولة المتوفرة في هذا البلد - ببساطة - ليست جيدة لهم... فبدلاً من زيادة الاعتماد على دور الحضانة يجب علينا الشروع أساساً في إعادة النظر في طريقة تنظيم العمل والرعاية بالطفولة.

ولقد شاهدنا في أرقى دور الحضانة كثيراً من الأطفال الذين يبلغون ثمانية شهور ييأسون من رؤية المربية، وبدلاً من استقبالها بوجه بشوش يُعرضون عنها وينظرون إلى الجدار؛ ذلك أنها ما إن تمر على أسرَّتهم حتى تتركهم سريعاً لتستجيب لبكاء طفل آخر.

والأسوأ من ذلك أن المربيات في هذه الدور لا تتمكنّ من إنشاء علاقات طويلة مع الأطفال الذين يشرفن عليهم، والسبب في ذلك تغيير المربيات كل سنة في معظم هذه الدور عندما ينتقل الرضع إلى حجرة أخرى. كما تستبدل المربيات بشكل مستمر في دور الحضانة التي تتوفر على تدريب أقل وأجور متدنية، والعدد الكبير للأطفال الذين يلتحقون بهذه الدور.

قام (المعهد الوطني لصحة الطفولة ونموها) بدراسة لدور الحضانة، وقد أظهرت نتائج الدراسة التي لا تَدْعو إلى التفاؤل والارتياح أن الأطفال الرضع الذين يلتحقون بدور الحضانة بكامل ساعات الدوام نسبياً معرضون لفقد الصلة بآبائهم وفقد مودتهم إذا لم يهتم آباؤهم بحاجاتهم ومحاولة إدراك الإشارات العاطفية في المساء عندما يجتمعون بهم، أي إذا لم يوفروا لهم أنواع التجارب التي افتقدوها في دور الحضانة.

إننا في حاجة إلى إعادة تقييم أهمية الأطفال التي ندّعيها. يجب أن يحظى الأطفال بالرعاية والنظر إلى ذلك بالأهمية القصوى وإعطاء الأولوية لهذا الأمر، على نطاق الأسرة والمجتمع على حد سواء.

لقد ثبت لنا أن التفاعلات المستمرة والمتواصلة بين الأطفال وآبائهم أساسية لنمو سليم وصحيح لدماغ وعقل الطفل. وتؤدي أنواع التفاعلات هذه إلى إيجاد مواطنين تأمليين بالإضافة إلى إنشاء روح التناغم والانسجام التي توفر الأجواء للمجتمعات للقيام بعملها بنجاح».

ويقول الدكتور (جوزيف زنكا) الذي عُين مؤخراً رئيساً للأكاديمية الأمريكية لأطباء الأطفال:

«ليس من المهم الوقت الذي نقضيه - نحن أطباء الأطفال - مع الأطفال، بل المهم في نهاية الأمر هو الوقت الذي يقضيه الوالدان مع أطفالهما، وأقصد بالوقت هنا الوقت الحقيقي لا الوقت الذي يقضيانه معهم في نهاية اليوم بعد عودتهم من الحضانة. فقد بدأ يظهر للعيان وبشكل واضح أن توفير أفضل البرامج في دور الحضانة لرعاية الطفولة لا يمكن أن يحل محل الوقت الذي يحتاجه الطفل من أبيه وأمه.

نسمع كثيراً هذه الأيام عن حقوق الأطفال، ولكن على الرغم من أهمية ضمان هذه الحقوق لهم إلا أن الشيء الذي نادراً ما يطرح على بساط النقاش هو حقهم في آباء ملتزمين بتحمل مسؤولية تربيتهم تربية كاملة.

يعتبر أطفال اليوم صحياً وبدنياً أفضل من الأطفال في الماضي بكل أنواع المقاييس، إلا أن صحتهم النفسية سيئة وتزداد سوءاً، وهذا انعكاس واضح لسوء معاملة الأطفال وإهمالهم واستخدام العنف في سلوكهم معهم، ولانتشار الأمراض الجنسية والحمل غير الشرعي والمبكر للفتيات المراهقات.

لقد أظهرت نتائج استبيان دوري أُجرِيَ قبل بضع سنوات على أعضاء الأكاديمية أن معظمنا يعتقد وبشدة أنه من المهم جداً أن يتفرغ أحد الوالدين للبقاء مع الأطفال في البيت، وتشتد الحاجة مع صغر سن الأطفال.

وتتحدث الدراسات الواحدة تلو الأخرى في نشرات العلوم الطبية والاجتماعية عن أهمية دور الوالدين الحيوي في تربية الأطفال...

لا حاجة للاعتذار، فالأمهات غير الموظفات سعيدات بالبقاء في البيت.



تقول (هايدي بريبان) الرئيسة السابقة لـ (جمعية الأمهات المختارات البقاء في البيت): «الأمهات اليوم متعلمات ومنجزات أكثر من نساء الأجيال السابقة من الأمريكيات، وبعد قضاء ما يقرب من عقدين من الزمن في محاولة الموازنة بين البيت والعمل اتجهت الكثير من هؤلاء الأمهات إلى وظائف بساعات عمل أقصر من السابق حتى يتاح لهنَّ قضاء أكبر وقت ممكن مع أطفالهن. وبعكس ما يعتقده الكثير من الناس فإن الأمهات اللاتي اخترن البقاء في البيت بدلاً من الالتحاق بالعمل خارجه اكتشفن أن تربية أطفالهن جهد حسن وعمل معطاء. كما لوحظ أن سبعة ملايين امرأة اخترن ترك العمل والتفرغ لتربية أطفالهن، وهذه النسبة في تزايد مستمر.

وفي الوقت الذي يولي فيه الرأي العام اهتماماً أكثر بالبيت والأسرة؛ حيث يقرر الكثير من الأمهات قضاء وقت أكثر في البيت، تعتقد (جمعية الأمهات المختارات البقاء في البيت) بأننا لا نزال نعيش في مجتمع يجعل الأمر صعباً للنساء من ناحية مالية ونفسية لاختيار البيت. وعلى الرغم من أن العديد من استطلاعات الرأي التي أُجريت في الآونة الأخيرة تشير إلى أن الآباء والأمهات في طول البلد وعرضه يرغبون في قضاء وقت أطول مع أطفالهم، إلا أنه لم يتم الاعتراف ولا دعم اتجاه العمل لساعات أقل وقضاء وقت أطول مع الأطفال في حلبة السياسة العامة. بل حقيقة الأمر أن تشريعات رعاية الطفولة المقترحة تتجاهل اتجاه معظم أولياء الأمور إلى تفضيل توفير كافة الرعاية اليومية لأطفالهم أو معظمها.

● الإيجابيات قصيرة الأجل وطويلة الأجل للتربية في البيت:

أصدرت (شبكة الأسرة والبيت) مقالاً بعنوان «الإيجابيات قصيرة الأجل وطويلة الأجل للتربية في البيت» جاء فيه:

يمارس الوالدان أكبر تأثير في تشكيل الجانب الأخلاقي لأطفالهم:

لقد تلقينا خطابات من آلاف الأمهات في كافة أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٨٤، وجاء في هذه الخطابات قناعات الأمهات التالية:

■ الآباء الذين يقضون وقتاً أكثر مع أطفالهم يحرزون أكبر فرصة للتأثير في حياة أطفالهم وتشكيلها، ومن جملة ذلك تعليمهم التمييز بين السلوك الحسن والسلوك السيئ، وتأديبهم بالطريقة التي يرونها مثالية، وعمل ما يرونه مهماً لنمو أطفالهم عقلياً ونفسياً وبدنياً.

■ يتعلم الأطفال ويختزنون في أنفسهم السلوك الأخلاقي والقيم الأخلاقية من الأشخاص الذين يقضون أوقاتهم معهم بحيث يصبح هذا السلوك الأخلاقي وهذه القيم الأخلاقية مبادئ راسخة عندهم تهديهم في حياتهم. ويقضي الكثير من الآباء وقتاً كبيراً مع أطفالهم؛ لأنهم يطمعون في غرس قيمهم الأخلاقية ومعتقداتهم ومواقفهم وإدراكهم الحسي في عقول أطفالهم، ويعتقد الكثير من الآباء أنه بقضاء أيامهم مع أطفالهم يحرصون على إنشاء علاقة حميمة ووثيقة لا بديل عنها مع أطفالهم.

■ إن قرب الأم الدائم من أطفالها يعطي فرصةً للأطفال لإطلاع الأم على ما يجول بخاطرهم في الوقت الذي يحدث، وإلى أي شيء يحتاج الأطفال؟ إن الأطفال في حاجة إلى شيء أكثر من الأشياء المادية التي يمكن لراتب الأم شراءه وتوفيره. إنهم في الحقيقة بحاجة إلى وجود الأم بجانبهم كل الوقت لتوفير الشعور بالألفة والأمن. يستفيد الأطفال عندما يعلمون بالوجود الدائم لشخص مخلص يكرس وقته وحياته لهم بالكامل. وتعترف الكثير من الأمهات بأن الأطفال يحتاجون إلى الوقت والعناية والاهتمام والحب غير مشروط أكثر من أي شيء آخر.

■ إن قضاء الوقت مع الأطفال أمر بالغ الأهمية مهما كانت سن الطفل. فقد أظهرت الدراسة الوطنية الطولية لصحة المراهقين، وهو مسح أجري على ٩٠٠٠٠ طالب من الصف الأول المتوسط إلى الصف الثالث الثانوي ونُشر عام ١٩٩٧م، أن احتمال لجوء المراهقين الذين يتمتعون بارتباط عاطفي قوي مع آبائهم ومعلميهم إلى تعاطي المخدرات أو شرب الخمر أو استخدام العنف أو حصول النشاط الجنسي لديهم في سن مبكرة - هذا الاحتمال ضعيف للغاية بالمقارنة مع المراهقين الآخرين الذين لا يتمتعون بهذه الميزة.

■ وأشارت (لندا بورتن) وهي إحدى النساء اللاتي قمن بتأسيس جمعية الأمهات المختارات للبقاء في البيت في حديث لها قائلةً: «وظيفة الأم خلق الذكريات؛ فعندما نشرع في توضيح الأنشطة التي يجب أن تُعطَى لها الأولوية بشكل يومي في حياتنا، فإننا سرعان ما ندرك أنه سواء قضينا ساعات طويلة في قراءة قصص لأطفالنا أو تحضير أطباق شهية... فإننا نسهم في إنشاء المفهوم الذي يتكوَّن للأطفال عن البيت. إننا بهذا نخزن احتياطياً ذكريات للُجوء إليها في السنوات المقبلة. إننا بهذا العمل نقوم بملء الفراغات الكامنة في عقولهم بالصور والأصوات والروائح التي ستظهر ثانيةً عندما يحتاجون إلى تذكر أنهم في مكانٍ مّا يحظون بالحب والمودة.

وبعـــد:

إن عدم زواج المرأة سواء أكانت مطلقة أم لم تتزوج أصلاً يعتبر تعطيلاً لها عن وظيفة هامة من وظائفها. ومن المعلوم أن الزواج هو أكبر وظيفة للمرأة بعد عبادة الله جل ذكره، وزواجها عبادة، والإنسان خُلق لعبادة الله بدليل قوله - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعلى الفتاة ألا تمتنع عن الزواج بأسباب غير مقنعة، وألا تجعله مستحيلاً بشروطها الواجب توفرها في فارس أحلامها، ومن المشاهَد الملموس أن هناك بعض الفتيات لا يرغبن في الزواج متذرعات بأعذار واهية أو غير مقنعة؛ فمثلاً هناك من تمتنع عن الزواج حتى تكمل تعليمها الجامعي فإذا حصلت

على الجامعة رفضت الزواج إلا بعد الحصول على الماجستير وربما الدكتوراه؛ مما يجعل قطار الزواج المبكر يفوتها فينظر على أنها كبيرة في السن فلا يميل إليها أحد فتلتحق بركب العنوسة، وهي السبب الرئيسي؛ حيث كان يمكنها أن تتزوج ثم تشترط مواصلة تعليمها الجامعي أو العالي.

أما إذا كان تعليمها سيصبح سبباً في عنوستها فإنه والحال هذه يصبح غير ضروري؛ لأنه قد يؤدي إلى مشاكل لا تحمد عقباها؛ وهذه المشاكل يعلمها الجميع: انحرافات عن الطريق السوي، والإصابة بالأمراض العصبية والنفسية والحرمان من الأبناء الذين هم زينة الحياة الدنيا.

فالزواج ليس سجناً بل هو قمة السعادة؛ حيث تصبح المرأة ربة أسرة وتملك بيتاً وأبناءً وشريك حياة يحقق لها من الراحة والسكنى ما لا يحققه الوالد أو الأخ. يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فأين كانت ستجد السكنى والرحمة والمودة؟!

يظهر داء العنوسة وينتشر في مجتمعنا المسلم بسبب الانحراف عن الطريق السوي؛ حيث انتشرت هذه الظاهرة بين بناتنا؛ وكما هو معروف أن الإسلام يحث على الزواج في سن مبكرة ويحارب العزوبة؛ لأنها تتعارض مع الفطرة السليمة، ومن المؤكد أن لها آثاراً سيئة؛ حيث إنها إذا انتشرت في المجتمع فإن هناك أمراضاً ستطل برأسها، أمراضاً نفسية، وأمراضاً عصبية، وأمراضاً أخلاقية وغيرها من الأمراض التي تؤثر على الصحة العامة للأفراد والمجتمعات.

ومن المعلوم أن الوالد إذا انشغل عن تربية أبنائه، وكذلك إذا أدى عمل المرأة إلى انشغالها عن الأولاد؛ فهذا بلا شك سيحرم الطفل من عطف أبويه ورعايتهما له وحنانهما عليه، وسيكون مثل اليتيم؛ فهل هناك مبرر يجعل الأمور تصل إلى هذه الدرجة؟!

يجب على الأم ألا تترك تربية الأولاد «وهي مهمة جليلة» للخادمات والمربيات من أجل خروج المرأة للعمل الذي تحفه محاذير كثيرة ينبغي عليها أن تتحرز منها، وترجع إلى كلام أهل العلم الذين أسهبوا في التحدث عنها.

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة لدى عديد من الرجال عدم الرغبة في الزواج من الطبيبات وبعض الموظفات؛ وذلك لأنهم ينظرون إلى الطبيبة على أنها لا يمكن أن تحقق الاستقرار الزوجي المطلوب؛ نظراً لمشاغلها في وظيفتها وما يترتب على ذلك من مناوبات ليلية ونهارية مما يضطر الزوج للجلوس في البيت وحيداً، وكذلك متاعب الأزواج في إيصال الزوجات إلى أعمالهن ذهاباً وإياباً وقد يكون ذلك في أوقات غير مناسبة بالنسبة للزوج، وإذا خرجت الزوجة لعملها الليلي وتركت الأطفال والزوج فإن الزوج سوف يصاب بخيبة أمل؛ لأن الزوج لا يصلح للتربية كما تصلح الأم، وقد يقول قائل: إن هذه المسألة يمكن أن تحل بواسطة الخادمات؛ ولكن هل الخادمة مثل الأم؟ وهل كل خادمة مخلصة؟

إننا رأينا المرأة في أحيان كثيرة تمسكت بحقها في العمل، وخرجت تبحث عن نفسها وزاحمت فيه الرجال، وبحثت عن أم بديلة لأولادها، وأقنعت نفسها بأنهم في يد أمينة، حتى لا يتكدر صفوها ولا يحول شيء دون خروجها، وأجادت تحسين مظهرها وضيَّعت في ذلك كثيراً من وقتها ومالها، وتباهت بأنها عاملة ناجحة، وأم ناجحة أيضاً، وانطلى ذلك الكلام عليها وعلى أمثالها؛ وذلك لأنها اعتبرت عملها أسمى غاية وأعظم حق لها لا ينبغي التفريط فيه أو الرجوع عنه.

يقول «هبرت مونتاجنر» العالم الفرنسي المهتم بسلوكيات الأطفال: «وقد لاحظت أن الأطفال الذين يتمتعون بروح قيادية هم في معظم الأحوال أطفال من أسر متفاهمة تسودها روح الحب، تقوم الأم دائماً بالتحدث مع طفلها بلطف وحنان، ولا تقوم بأي عمل عدواني نحوه إن هو أخطأ، بل تعرف كيف توجهه بحزم، ولا تدلله إلى حد التسيب»، ويوجه نصيحة للأم فيقول: «إن طفلك يردد اللغة التي تعلمها منك، فأي لغة تلقنينه..؟»».

أجريت في أمريكا دراسة عن انحراف الأحداث، اشترك فيها علماء في التعليم وبعض أعضاء الكونجرس ومسؤولون حكوميون، وقد أشارت هذه الدراسة إلى أن أحد أسباب انحراف المراهقين هو أن الوالدين يقضيان أوقاتاً طويلة في العمل، كما أشارت أيضاً إلى أن عدد الأسر ذات العائل الواحد أصبح كبيراً مما يعني قضاء وقت أقل مع الأطفال، وقد أجريت الدراسة على عدد من المراهقين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والرابعة عشرة، وقال (٢٥٪) منهم إنهم تناولوا مشروبات كحولية، كما أن أكثر من (١٨٪) منهم يدخنون السجائر، و (١٣٪) يدخنون الحشيش، وأثبتت الدراسة أن واحداً من كل أربعة أشخاص اشترك في نوع ما من الأعمال المؤذية قبل بلوغه السابعة عشرة.

فالأسرة التي يعمل فيها الرجل والمرأة تحطمت؛ لأنها فقدت رباطها العاطفي والوجداني الذي كان يمسك بالأطفال في ترابط، ويبذر في قلوبهم الحب والمودة.

إن لنا في الإسلام ما يغنينا عن كتابات هؤلاء الغربيين بهذا الموضوع، ولكن نود أن نعرِّف بأن الكثير من النساء الغربيات اللاتي كن ينادين بالمساواة بين الجنسين ويتبنين أفكار الحركة الأنثوية الهدامة، بل إن بعضهن كن منظِّرات لهذه الحركة، قد تُبن إلى رُشدهن وعرفن حقيقة هذه الحركة المفلسة؛ فهل فكرت بعض نسائنا ممن تأثرن بهذه الحركة في العودة إلى دينهن ونبذ أفكار هذه الحركة الهدامة؟

قصة قصيرة

صفوان.. يُطاردُ الجَراد!

عبد الغني محمود عبد الهادي(*)

اعتاد صفوان حياة حرّة كريمة على تُراب وطنه، حيث عاشَ حالماً كفراشة نيسان. وكان دَخْلُ والده يكفل له من العيش أحسنه.

فقد كان لوالده حقل مزروع بالأشجار المثمرة؛ من برتقال وإجّاص وليمون وتفاح وغيرها... ذات يوم رأى صفوان في الحلم أن الجراد يغطي أرض مزرعته، فقام مذعوراً بعينين مفتوحتين متوقّدتين، يحدّث والديه بما رأى.

طمأنه والده وهو يرى في ولده معاني الرّجولة والانتماء، وطلب منه أن يرافقه حيث مخزن الحبوب التابع لهم.

هناك أطلعه أبوه على كافّة الاحتياطات، التي اتّخذها لمواجهة مثل هذه الحالة من غزو جراد وحشرات وغيرها، قد تزحفُ إلى الحقل.

كان أبو صفوان قد اشترى أصنافاً عدّة من المبيدات والرشاشات ليضمن سلامة حقله. كبرت الدّهشة في عيني صفوان مما قاله أبوه، وبحماس الرجال طلب من والده أن يدرّبه على كيفية استعمال المبيدات وإعدادها لرشّ النبات، وبعد أن اطمأن لمعرفة ابنه بالطريقة أثنى عليه وراح يُعدّه ليومٍ لا بُد منه!

في أحد الأيام، قام صفوان مع أصدقائه برحلةٍ مدرسيةٍ إلى أحد المروج المترامية فوق جبل الكرمل... هذا الجبل الفلسطيني الذي يقف بشموخ وإباء في شمال الوطن الفلسطيني، مثل شعبه النبيل الأبي منذ أن خلقه الله.

هُناك وعلى ربوع هذا الجبل، وفي شعاب مروجه الوسيعة، جال صفوان وهام وكاد أن ينسى نفسه بين أزهار الكرمل ونوّاره، أخذته الدّهشة والإعجاب وجعلته يُطرِق مليّاً لجمالِ هذا الجزء العزيز من بلاده الحبيبة، وراح يحدّث أصدقاءه كمحاضر بهم عن ضرورة الحفاظ على هذا التّراب الذهبي، وتلك الرائحة التي تفوحُ بالأريج الزّاكي.

قام صفوان مع رفاقه فرحين جذلين يمرحون طوال اليوم، حيث عاد مع رفاقه الأتراب، ومنافذ إحساسه قد ازدادت شرعةً وانفتاحاً.

في المساء جلس صفوان يُحدّث أهله بما رآه وشاهده خلال رحلته... كان يتحدّث بفرح طُفوليّ عذب، نقل لهم الصُّور الرائعة التي أحضرها في نفسه، وراحَ يُمنّي نفسه ببقاء هذه المناظر، وهذه المروج التي سرحت بخاطره الصّغير المفعم بكلّ جميل ساحر.

وفي صباح يوم آخر، صحا صفوان على حقيقة مُرّة مؤلمة! فقد وجد نفسه مع أسرته خلف أسوار ذلك الوطن الذي طالما جرى لسانه وصدقت أحاسيسه في الحديث عنه، وبات صفوان الآن في مشكلة من نوع آخر.

لقد أصبح يتحدّث عن موجة غزو جديد من موجات الجراد الزّاحف؛ إنها أسرابُ الطامعين غزت حقله، لا لتأكله فحسب؛ بل لتجتثّه من أصوله... فتبقيه أثراً بعد عين، ولكنّ السؤال الذي ما زال يبحث له عن جواب هو:

إلى متى يظلّ صفوان يحلم بمطاردة جراد العصر؟!

(*) عضو رابطة الأدب الإسلامي.



جمعية الأمهات الفلسطينية لرعاية الأسرة جمعية أهلية غير ربحية.
تأسست عام ٢٠٠٠ ميلادي وتم ترخيصها في وزارة الداخلية الفلسطينية برقم تسجيل (٦٠٩١)

أهدافنا

١. المساهمة في تحسين حياة الأسرة الفلسطينية من خلال برامج الرعاية الصحية والتعليمية.
٢. تقديم المعونات لإغاثة الأسر الفقيرة والمنكوبة.
٣. كفالة اليتيم الفلسطيني وكفالة الأسر المعدمة.
٤. المساهمة في خلق فرص عمل للمرأة الفلسطينية.
٥. الارتقاء بمستوى الأمهات والنساء الفلسطينيات ثقافياً وفكرياً، والعمل على تنمية قدراتهم ومهاراتهم.

مشاريعنا

- مركز للتدريب المهني النسائي يتم خلاله تدريب المرأة الفلسطينية على المهن والحرف اليدوية. ومن ثم خلق فرص عمل لهن.
- مركز للحاسوب والإنترنت.
- مشاريع السلة الغذائية وتوزيع لحوم الأضاحي.
- منتدى طلابي يتم من خلاله تنمية مهارات ومواهب الفتيات.
- مشاريع المخيمات والأنشطة الصيفية.
- كفالة اليتيم الفلسطيني والأسر المعدمة.
- مشروع الحقيبة المدرسية والزي المدرسي.
- محاضرات وورشات عمل منوعة.

طموحاتنا

- إنشاء مقر دائم للجمعية.
- إنشاء مركز طبي نسائي متخصص.
- إنشاء نادي للأسرة الفلسطينية.

عنواننا

فلسطين - غزة - حي الرمال الجنوبي - بجوار الجامعة الإسلامية
عمارة أبو دللا الدور الثاني.
تلي فاكس: ٢٨٢٨١٦٠ - ٨ - ٠٠٩٧٢
محمول: ٩٩٦٠٦١٣٦ - ٥ - ٠٠٩٧٢
ص. ب: ٥٣٢٠
بريد إلكتروني: omahatpalestine@yahoo.com

للتبرع:

البنك العربي - فرع الرمال - حساب رقم: ١٠٠٥١٢
بنك الأردن فرع ميدان فلسطين حساب رقم: ٢٣٢٤٢٩٨



الدُّعاة بين وصايا المثقفين والأتباع

ماجد الحمد

لا شيء أشقّ على نفس الداعية الأبيّ من أن يُرى مأسوراً بوصاية تحكُم الطوق حوله، يغدو معها عاجزاً عن البوح بما يعتقد أحقِّيته، فلا السكوت يسعه والأمة تتخبط في ظلمة البدع والأهواء، ولا نفسه تجيبه لما في الانعتاق من هذه الوصاية من أذى يناله، فيعيش حالة قلقة مع هذا الواقع المأزوم.

ولا شكَّ أن الواقع - بمكوِّناته الاجتماعية والسياسية - يفرض على الداعية وصاية توجب عليه حسن التعامل معه، فالخضوع الكامل له يكبِّل الداعية بأغلال تمنعه من الحركة والعطاء، والإعراض عنه بالكلية لا يخفى على أحد ما فيه من خطورة قد تكون سبباً في فشل مشروعه الدعوي برُمَّته، ونفور الناس من قبول الحق الذي يحمله ويدعو إليه.

والداعية الذي آتاه الله موهبة مؤثرة في جماهير الناس وعامَّتهم؛ ترى الكل يسعى لاحتوائه وفرض وصايتهم عليه؛ ليكون رجع صدى لما يقولون.

والمتابع للمشهد الدعوي الراهن في زمن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني والحوار مع الآخر التي نقلتها رياح التغيير الغربية يلحظ أن الدعاة يتجاذبهم تياران: تيار الأتباع، وتيار المثقفين.

فالأتباع هم منظومة الداعية الفكرية التي رضع لِبَانها في صغره، وجماعته التي درج في محاضنها التربوية، ونهل من معينها القَرَاح، وهم أحبابه الذي يشاطرونه أفراحه وأتراحه، لذا يرون لهم من الحق عليه ما يوجب ردَّ الجميل منه حين نضج فكره واستوى سوقه أن يكون حامياً للمنهج الذي اجتمعوا عليه لا أن يكون عوناً للخصم في هدم ما شيَّدوه سوياً.

وليس بخافٍ أن الداعية والأتباع يتبادلون وصاية أبوية حانية، فهو يعلِّم جاهلهم ويقوِّم معوجَّهم ويكبح جماع غلوِّهم، وهم إن رأوا منه ضعفاً قوّوه وشدُّوا من أزره، أو ميلاً عن الحق قوَّموه بالنصح والتوجيه؛ إذ لا معصوم إلا خير الخلق ﷺ، في وصاية خفية حين يكون هناك تناغم بينهما، ولكنها تطفو على السطح إذا صدر من أحدهما صوت نشاز خرج به عن المألوف الفقهي أو الدعوي.

فبعض الدعاة لا يمكن توقّع ما يفعل، ولا أي طريق سيسلك، إنما أتباعه يلهثون خلفه لرَتْق ما يفتق، ولتدارك الشقوق التي تحدث؛ لرَقعها قبل أن تتّسع، فهم في كَبَدٍ ونصب معه.

وبعض الأتباع فيهم من الجمود والانغلاق على ما ألفوه، فهم أشبه بالعامّة، يعيش الداعية معهم في عَنَتٍ ومشقة، لا يطرح رأياً - بذل جهده وأفرغ وسعه في بحثه - إلا أنكروه واستهجنوه، شعارهم: ﴿ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وليس ثمَّة شك أن في حذر الأتباع من بعض الآراء المستجدة لدى فئة من الدعاة له ما يبرّره؛ ففي حالة العراك الفكري مع خصم يستقوي بعدوِّ الأمة؛ ما يجعلهم يحذرون من كل جديد ويجفلون من كل رأي ملبس، خوفاً أن يكون هذا قمة

جبل الجليد الطافية، أو أنه مشروع انتكاسة في طور التكوين.

أما المثقف فهو يعيش أزمة مع مجتمعه؛ لما يحمل من أفكار نخبوية لا تلامس هموم العامة عادةً، مع توجّس يلحظه في أعينهم نحوه، حيث هو موضع شكٍّ وريبة عندهم، بسبب الأفكار المصادمة لثوابت الشرع عند بعض المحسوبين في عداده، لذا لا يستغرب - مع استماتته في فرض وصايته - محدودية تأثيره في عامّة الناس.

لذا يلجأ المثقف عادة - لنشر أفكاره ورُؤاه - إلى البحث عن قناة يتسلّل لواذاً من خلالها إلى المجتمع المحيط به، تحمل طهراً ولا تبعث ريبة، ولن يجد خيراً من داعية يسلّمه قياده.

فهم قد عجموا عيدان الدعاة؛ فمتى ما رأوا من أحدهم قابلية للتأثير أقبلوا إليه يخادعونه تارة ويغرونه تارات وتارات!

يزعمون أنهم سيخرجونه من ضيق المحلّية إلى سعة العالمية، ومن محدودية التأثير إلى وهج الإعلام الجماهيري!

فيبدؤون بزحزحته عن بيئته التي أحبها وأحبته وعاش في كنفها سنوات عمره الأولى، فيكثرون فحيحهم عن وصاية أتباعه عليه وأنه أسير فكرهم، لذا كثيراً ما يشيعون - في زمن الانكسار - أن ذا الداعية أو ذاك يحمل همّاً تجديدياً ورؤى إصلاحية يبثّها إلى خاصّته ولا يجرؤ على البوح بها علانية خوفاً من نفور أتباعه أو من سياط النقد التي يوجهها إليه مريدوه، وحقيقة مرادهم رمي الواقع المعاش بالفساد؛ والدعاة بالجُبْن.

فإن هو أصاخ بسمعه إليهم ورضي قولهم وأشرب قلبه شبهتهم، دعوه إلى مصادمة أتباعه ومحبّيه، إذ لا يمكنه الانعتاق من إسار وصايتهم عليه إلا بالمجاهرة بمخالفته، فيبدأ مشروعه معهم بالترويج لفتاوى فقهية ليس عليها العمل في بلاده تكون متّكأً لما بعدها، فإن رأوا منه إحجاماً أو تردّداً عادوا لتعييره بخوفه من وصاية أتباعه، فأصبحت هذه الوصاية فزاعة ينخسونه بها كلما تلكّأ، حتى تراه يخوض في ثوابت الشرع والعقيدة، فإذا هو يردّد ما يقولون ويكتب ما يملون، ما إن تقع معركة فكرية بين أتباعه الإسلاميين وخصومهم إلا وجدته حيث ينبغي أن تفقده، وهو بعمله هذا يحسب أنه كسر طوق الوصاية عنه، وما علم أنه ما زاد أن استبدل وصاية الأدنى بالذي هو خير، وصاية أشد حدية وأكثر شراسة وقمعية للآخر المخالف لنَسَقها الفكري، وهم بعد لا يُؤمن لهم جانب، فساعة حاجته لهم يخذلونه، فكم داعية أجابهم لبعض ما يريدون ظنّاً منه أنّ تنازلَه هذا سيخفّف من كَلَبهم على الدعوة ويمنحه صورة مشرقة لديهم، فإذا هم يبتزّونه كل ساعة حتى يتبع منهجهم ويكون أُلعوبة في أيديهم وإلا هدّدوه بالإقصاء والهجر من قنواتهم الإعلامية.

بل متى ما رأوا أن هذا الداعية فَقَدَ بريقه الإعلامي واحترقت أوراقه، وأنكرته قلوب العامّة - لكثرة لهاثه خلف رغبات أعداء الأمة - قلوه وأقصوه واستبدلوه بداعية آخر يتصيدون به دهماء الناس.

وكثيراً ما يستشهد أولئك المثقفون على أن الأتباع عديمو الفائدة - فهم يكثرون عند الطمع ويقلون عند الفزع - بقصة الإمامين أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية، كيف أن الأمة خرجت تشيع جنازتهما وتظهر الحزن على فقدهما، فبغداد كلها خرجت في جنازة الإمام أحمد حباً وإجلالاً لهذا الإمام القدوة، وشيخ الإسلام ابن تيمية خرجت دمشق عن بكرة أبيها تعلن محبتها لهذا الإمام الذي وافته منيته سجيناً.

فيتساءل أولئك: أين هذه الحشود عندما سجن الإمامان؟!

ألا تجيد هذه الحشود إلا عمل النائحة التي تتنظر موت صاحبها - بفارغ الصبر - حتى تبدأ في ممارسة عملها بجدارة؟!

والمصيبة تشتد حين تتسق نظرة بعض المثقفين الإسلاميين مع نظرة العلمانيين حيال الدعاة وطلبة العلم، فهم في نظر البعض سُذج وبُلْهٌ ولا يدركون كُنْه الواقع وفقهه، ولا يحسنون التعامل مع المخالف، لذا على الدعاة أن يصدروا عن رأي هذا المثقف، وأن يوقّعوا على بياناته في وصاية مقيتة وأستاذية متعالية، فإن رأى من الدعاة رفضاً لمشروعه الدعوي لما فيه من مخالفة لقطعيات الشرع، عاد باللوم عليهم ورماهم بالهلع من الأتباع تبرئةً لمشروعه المتهالك، فأصبح الأتباع مشجباً يعلق عليه كل استعصاء أو تمنّع يبديه الدعاة على ما يطرحه المثقف.

وإذا كان المثقف يرى خضوعه لوصاية واقعه السياسي حكمةً وبُعْد نظر؛ أفلا يعذر الداعية حين يلين لوصاية أتباعه تأليفاً لهم وحسن سياسة منه نحوهم؟

فعلى الداعية أن لا يلتفت إلى مثل هذه التخرّصات، وأن يحرص على تأليف قلوب أتباعه، والبُعْد عما يكدر صفو الودِّ بينهما، إذ هم سنده بعد الله، فهم ناشرو علمه، وحاملو فكره، والذابّون عن عِرْضه حين يسلقه خصومه بألسنة حدّاد، خصوصاً في زمن هذا المخاض العسر الذي تعيشه الأمة، فـدَرْءُ مفسدة الخلاف داخل الصف الإسلامي مُقدَّم على مصلحة اجتهاد تنفر منه القلوب، فإن فساد ذات البَيْن هي الحالقة.

وله أسوة حسنة بسيد ولد آدم ﷺ، الذي حبُّه إيمان وبغضه كفر ونفاق؛ وطاعته واجبة وأمره ونهيه معصومان من الزّلل والخطأ، حيث كان يترك بعض الاختيار مخافةَ افتتان بعض أصحابه، فقد ترك هدم الكعبة وإعادتها إلى قواعد إبراهيم - عليه السلام - لحداثة عهد قريش بجاهلية، وترك ﷺ مصلحة قتل المنافقين - مع عِظَم خطرهم على الإسلام - لمفسدة أعظم منها؛ كي لا يتحدث الناس أنه ﷺ يقتل أصحابه، أفلا يسع الداعية ذلك وهو لا يَبْلغ مُدَّ أحد أصحاب محمد ﷺ ولا نصيفه؟


Nawazi
نوازي الفندقية
★★★★
الفندق مصنف بأربع نجوم فئة (أ).
صالات استقبال واسعة و متعددة.
غرف واسعة ، بتأثيث فاخر.
يبعد عن الحرم ٢٥٠ متر.
مطل على الحرم.
دورة مياه مستقلة.
أسعار مناسبة جداً.
قناة هادفة تليق بالمكان .
فندق نوازي
مكة المكرمة - أجياد السد - بجوار فندق مريديان
هاتف : ٠٢٥٧٤٦٦٦٦ / فاكس : ٠٢٥٧٢١٧١٦ / جوال : ٠٥٠٥١٥٥٥٨٨
KIIW@HOTMAIL.COM